الحب فى لندن

وأشياء أخرى

obeikan.com

obeikan.com

رقم الإيداع ١١٥١٠ / ٢٠١٤
ISBN - 978 - 977 - 90 - 1786 - 0

المدير الفنى
محمد الغول
الإشراف الفنى
محمد عبدالفتاح

الحب فى لندن

وأشياء أخرى

محمد مصطفى عرفى

obeikan.com

obeikan.com

الإهداء

إلى والدتى الحبيبة
وشقيقتى د. مشيرة

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

القراء الأعزاء

بين أيديكم صفحات رواية « الحب فى لندن « للكاتب محمد مصطفى عرفى .. ، وهى عمل أدبى ممتع يمزج بين كثير من الحقيقة وبعض الخيال ، وتدور أحداثه فى لندن احدى كبريات العواصم العالمية قاطبة .

أبطال الرواية هم نخبة من شباب مصر قاموا بالهجرة إلى الشمال بحثا عن العلم والحرية . ورغم انشغال هذة المجموعة الطامحة فى الحصول على درجة الدكتوراة إلا أن ذلك لم يمنعهم من اللقاء الدورى ومتابعة أنباء الوطن ، ومن ثم الدخول فى حوارات ممتعة متنوعة وساخنة فى آن واحد تعكس موقع كل منهم الطبقى والثقافى فى المجتمع المصرى .. أما عن الزمن ، فهو رصد للعالم السابق على أحداث يناير 2011 ، فجاءت الرواية كاشفة – وربما محاكمة - لمحددات فترة حكم مبارك والتى أفضت بالضرورة إلى ما يحدث الان .

يستعرض الكاتب عبر صفحات روايته بأسلوب أدبى رصين تفاعلات الأحداث وتحليلاتها . ففضلا عن رصده لمكنون النفس البشرية لكل شخصية من شخوص الرواية ، بطموحاتها وانكساراتها ،وأحلامها وعثراتها من خلال رصد سلوكياتهم وتفهم دوافعها ازاء المحاور الرئيسية (الدين – السياسة – التعليم – العدالة الاجتماعية – التنوير والحداثة – الغريزة الجنسية) ، تناولت الرواية قضايا مصر الانية ووضعتها تحت المجهر ، وحملت بين جنباتها مكونات فسيفساء المجتمع المصرى بخصائصة المميزة ورغباته واحلامه التى بدت حينا عصية على التطويع ...وجاءت تلك التفاعلات المتمازجة بسرعات متفاوتة كى تضمن عنصر التشويق الروائى والحبكة الدرامية .

لقد عرفت الكاتب وقت أن تزاملنا فى العمل بسفارة مصر فى الخرطوم . فألفيت فيه

obeikan.com

الدبلوماسى الشاب المجتهد ، فضلا عن شغفه بالاطلاع المستمر على أفاق الثقافات المختلفة . ثم امتدت صداقتنا عبر سنوات أخرى طوال تابعت فيها حصوله على درجة الدكتوراة فى العلوم السياسية من لندن . كما أطلعت بصورة منتظمة على مقالاته السياسية والاجتماعية فى كل من الاهرام والشروق والاهرام ويكلى خلال السنوات الفائتة ، فضلا عن عمله كمحاضر أكاديمى بالجامعة الأمريكية فى القاهرة.

وختاما ، فأنه ليشرفنى أن أقدم للقراء الأعزاء من ذوى الذوق الرفيع والمتابعين بنهم للثقافة بروافدها المتنوعه وأفاقها الرحبة ، هذا العمل الممتع ..الذى أتوقع له أن يصل الى عقول ومشاعر أولئك الذين وهبهم الله تعالى القدرة على التأمل فى أحوال البشر .. أنها - بحق - وجبة دسمة للباحثين عن متعة الإشباع الذهنى .

محمد عاصم إبراهيم

سفير مصر السابق لدى أثيوبيا
وكينيا والسودن وإسرائيل

openeikan.com

مقدمة!!

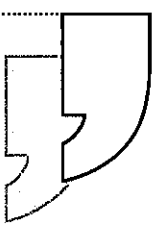

طلاب مصريون
فى مدينة الضباب

obeikan.com

« لندن أجمل مدينة عربية »، هكذا وصف الشاعر الكبير نزار قبانى العاصمة البريطانية لندن، التى طالما دمغت بكونها عاصمة الضباب نظرا لعدم سطوع الشمس بشكل كاف أغلب أيام السنة. هى عاصمة اعتاد العرب، على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم، زيارتها لاسباب متباينة.. فعشق العرب للندن يمكن تتبعه منذ آماد بعيدة لعلها تتجاوز عهد الاستعمار البريطانى لعدد من الدول العربية فى القرنين التاسع عشر والعشرين..

هذا الوله وذاك الولع بلندن توارثته أجيال عديدة...، فلندن هى قلب العالم بل وسقفه أيضا فى عيون هؤلاء..الباحثين عن المتعة أو السياحة أو العلاج أو التبضع أو الدراسة وغيرها. هكذا تترك تلك المدينة الساحرة،التى تتنسم فيها عبق التاريخ بحلاوته وحضارته وقسوته ودمويته فى كل شارع أو حارة صغيرة بها.، بصمتها بداخلك لو زرتها مرة.....ولأن للناس فيما يعشقون مذاهب، فأن هناك أيضا من لا يهيمون حبا بها.. فغالبا هذة المدينة إما أن تعشقها وتعشقك أو تمقتها وتكرهك..!! هكذا بدون سبب واضح!!!.

أول ما يتبادر إلى ذهن الزائر عموما لتلك المدينة هو أن يسير بمنطقة وسط البلد (أكسفورد استريت- البيكاديللى -ريجنت - نوتهام جيت). فى تلك المنطقة العامرة بشتى أنواع المحلات الفاخرة، لا تستشعر إغترابا أبدا بها، فكل جنسيات العالم من كل حدب وصوب موجودة وتسير جنبا إلى جنب، حتى مواطنى أصغر جزر الكاريبى تجدهم أيضا هناك..شئ ما فى هذة المدينة بصفة عامة.. وتلك المنطقة منها بصفة خاصة.يجعل الجميع يتطبع بطباعها.. وكأن كلا منهم يتحول فى غمضة عين إلى ترس من تروس الالة اللندنية العملاقة..الكل - أو لنقل الغالبية - يتصرفون وكأنهم عاشوا عمرهم كله هنا.، فتجد الجميع وقد تآلف مع سلوكيات التحضر واستمرئها، بل أن بعضهم يبالغ فى اللطف الزائد والأدب الجم والسلوك الراقى.. وكأنهم بذلك يدافعون ويدفعون عن أنفسهم شعورا بالنقص لسلوكياتهم المعوجة ببلادهم، أو تأكيدا على أنهم على نفس العتبة الحضارية للقاطنين هنا!!.

عادة فأن أول ما يحرص عليه الزائر العربى التقليدى لمدينة الضباب لندن، هو زيارة شارع ادجوارد او ما يسمى « ادجوارد رود « الكائن فى قلب العاصمة متقاطعا مع شارع أوكسفورد الشهير بمتاجره الكبيرة..والذى هو يعد أحد أغلى البقاع فى العالم على الاطلاق، ويتوسطه محل صغير جدا يعمل به مصريون يبيعون البيتزا وساندويتشات الطعمية وغيرها... تعامد الشارعان معا أوكسفورد وأدجوار يلتئم فى «ماربل أرش»، وهو بناء رخامى تم اقامته فى القرن التاسع عشر ليكون بمثابة بوابة أو مدخلا يفضى الى قصر باكينجهام الشهير.. وتاريخيا لم يكن يسمح بالمرور اسفله إلا

لأعضاء العائلة الملكية والعروض العسكرية....

عندما تقف أسفل « المرابل ارش » وتنظر الى « ادجوارد رود » ستجد أمامك دار سينما أوديون – التى تعرض افلاما عربية ومصرية أحيانا -، وخلفك..على بعد أمتار قليلة تقع حديقة الهايد بارك الشهيرة.. والتى يعد اشهر ما بها هو « ركن المتحدثين ». لو مررت به يوم الأحد صباحا، ستجد فيه شتى جنسيات البشر يتحدثون ويخطبون ويصرخون ويتوعدون وينذرون ويبشرون فى موضوعات متنوعة ومتباينة.. بدءا من الدين والسياسة وحتى الرياضة والفن.. كل شخص يتحدث أمام تجمع بشرى بما يحلو له.. بلا قيود أو موانع.. فهناك من ينكر وجود الاله..،وهناك من يسب الملكة.. هكذا فى هدوء وتحضر بلا تشنج أو عنف أو حتى عواطف مشبوبة، اللهم إلا بعض صيحات الإستحسان أو الاستنكار والإستهجان على النهج البريطانى المعتاد!!.

فما أن تسير قليلا فى شارع أدجواررود حتى تستشعر فجأة أنك صرت فجأة فى قلب عاصمة عربية، إذ تنتشر القهاوى العربية والصيدليات والمطاعم اللبنانية والعراقية والمصرية والايرانية والهندية وغيرها... هذا هو مقصد السائحين العرب.. وكأنهم قصدوا لندن خصيصا ليعيشوا فى الجزء العربى بها..!! بهذا الشارع تستطيع أن تميز وجوها سمراء وشعورا سوداء ولهجات عربية مختلفة وسط الموازييك البشرى الاثنى الذى تموج به شوارع لندن العامرة. فإذا كنت ممن لا يألفون الغربة سريعا، فستجد فى هذا الشارع غايتك ومقصدك... وكأنه مأوى للحالة النفسية الجنينية التى لا يجد المرء فيها راحته الا متقوقعا على ذاته وملتحفا بأهل وطنه. أما إذا كنت من راغبى الاندماج السريع فى المجتمع الغربى أو ممن يتأففون سريعا من بنى جلدتهم سواء لمتاعب نفسيـة أو ذكريات غير سعيدة..، فستجد نفسك حريصا أكثر الحرص على الابتعاد عن هذا الشارع بمسافة كافية..، وكأن إقترابك منه ولو قليلا سيجلعه قادرا على ابتلاعك مثلما فعل الحوت مع ذى النون...، فوجودك هناك كفيل عادة بأن يجعلك تلتقى زوار لندن من معارفك سواء أحببتهم أم لا...!!!

فى مقهى عربى صغير، أعتاد مجموعة من الدارسين المصريين المبتعثين للخارج على الإلتقاء بصفة شهرية للتسامر وتدخين الشيشة، فضلا عن شراء بعض المأكولات العربية التى لا تجدها الا هناك مثل الجبنه الرومى والطعمية وبعض الخضروات والفاكهة بأسعار مخفضة من سوق «شرش استريد». هم ليسوا أصدقاء ولكنهم زملاء دراسة بجامعات مختلفة. مجموعة متباينة المشارب ومتمايزة التوجهات شاءت الظروف أن تحملهم جميعا إلى مدينة الضباب العتيقة خلال العام الدراسى 2009/2010، فمنهم من هو بالسلك الجامعى وحصل على منحة الدولة لدراسة

الدكتوراة، وهؤلاء عادة ما يكونوا فى مطلع أو منتصف الثلاثنيات وأحيانا أكثر، ومنهم من هم اصغر سنا الحاصلين على منحة المجلس الثقافى البريطانى للحصول على درجة الماجستير خلال عام واحد، وهؤلاء عادة ما يكونوا فى العشرينيات أو لا يزيد عمرهم عن 33 عاما على الاكثر، ومنهم من جاء دارسا على نفقه منح أخرى أو نفقته الخاصة.

دعونا إذن نتعرف عليهم فردا فردا...

محمود عز الدين.. يبلغ من العمر 38 عاما وحضر خصيصا إلى لندن لدراسة دكتوراة القانون التجارى الدولى بجامعة ويستمنستر الكائنة بشارع ريجنت بقلب العاصمة..يعمل موظفا مرموقا بوزارة الاقتصاد، ولانه ضاق كثيرا من الحياة فى مصر وصعوباتها، قرر فجأة أن يستكمل دراساته العليا فى القانون التجارى فى لندن باعتبار ذلك نافذة للعمل المستقبلى باحدى الشركات متعددة الجنسية العملاقة. هو وحيد أبويه اللذين مازالا على قيد الحياة... وميسور الحال وغير متزوج حتى الان..هل ذلك بسبب أنه يبحث عن شئ غير موجود أساسا أم نتيجة لحرصه على حسن الاختيار؟ من الصعب أن نجزم بذلك.. المؤكد أنه انسان طيب القلب ومهذب الى حد كبير، بسيط،متواضع، مثقف، يفهم الدين على أنه معاملة وتعامل وليس مجرد طقوس وعبادات وهو ما تلقاه من أبويه المستشار السابق وربة المنزل، ومن ثم، فهو حريص على الا يتجاوز الخطوط الحمراء فى السلوك بصفة عامة، وإن كان هذا لا يستوجب الظن أنه كئيب أو انطوائى.. فقط هو لديه قيود ومحاذير حرص طول عمره على الحفاظ عليها.!!

سها النجاد المحاسبة بأحد فروع البنك التجارى المتحد الجميلة الفاتنة ذات القد الطويل الممشوق التى تستطيع أن تلفت إنتباه وتسلب عقل أى رجل بذات الدرجة منذ أن كانت طفلة فى العاشرة وحتى الان حينما بلغت الثالثة والثلاثين.. هى بدورها تدرس على نفقتها الخاصة.. سها بطبيعتها تحمل كافة الصفات الجذابة و المنفرة للرجل المصرى فى آن واحد، فهى جميلة جدا وعصبية جدا، ومنضبطة جدا، ومادية جدا، وجادة جدا، ومتحكمة جدا.... هكذا اذا سبرت أغوار سها فلابد أن تستخدم كلمة (جدا) فى وصف أى شئ تقوم به!!!. هل نقول أنه من الطبيعى أن سها لم تجد - رغم جمالها الباهر- رجلا مصريا واحدا قادرا على أن يتحملها، فلا زالت عازبة حتى الان! والداها متوفيان ولها عدد من الشقيقات المتزوجات..عموما، هى جاءت إلى هنا للحصول على ماجستير إدارة الاعمال بمدرسة لندن للأعمال... الواقعة بالقرب من بيكر ستريت الذى يصل ما بين وسط البلد ومنطقة سان جونز وود الشهيرة التى يقطنها كبار القوم والممثلون و جالية يهودية كبيرة ويوجد بها معبد يهودى و المركز الثقافى الاسلامى والذى شاركت مصر فى تأسيسه وإدارته

منذ السبعينيات وحتى الان.

على عكس محمود، فإن أحمد مشتهر 31- عاما - الذى يدرس ماجستير الاقتصاد بمدرسة لندن للاقتصاد الشهيرة بموجب منحة المركز الثقافى البريطانى – لا يضع حدودا لاستمتاعه بالحياة.. هذة هى طبيعته.. فهو على استعداد أن ينهل من أى منبع للسعادة أيا كان بكل أريحية بلا أى عوائق أخلاقية أو دينية!!!. أحمد الأعزب متفتح انبساطى يسعى للتعارف واجتذاب الاصدقاء – أو بمعنى أصح الصديقات – من جنسيات مختلفة سواء للاستمتاع بالثرثرة أو التنزه أو الوصول الى حد المضاجعة..فهو يجيد حلو الحديث منذ أن كان صغيرا ولديه قدر من الكاريزما التى تجعلك تنجذب اليه رغما عن إرادتك. أما عن اسرته، فما نعرفه عنه أن والده متوفى منذ أمد بعيد ووالدته متزوجه بأخر ولها ابناء منه.

الدكتورة نادية البيلى.. ، فى أواخر العشرينيات من العمر لها أخ صغير ووالديها متوفين، وجاءت إلى لندن للحصول على المعادلة ثم الماجستير أو الدكتوراة فى أمراض القلب،وذلك على نفقتها الخاصة.. هكذا تقول، ولكنها فى الواقع لم تكن ترغب قيد أنملة فى البقاء فى مصر، ومن ثم فقد وجدت فى الدراسة بلندن غايتها كسفينة هروب.. هى أنسة وشخصية مركبة يصعب وصفها فى كلمات أو سطرين، فلنتركها الى حين ثم نعود اليها لاحقا..!!

مدحت نبهان... هو أكبرهم سنا.. لعله فى منتصف الاربعينيات.. تأخر كثيرا فى الحصول على فرصـــة الدراسة بالخارج لأسباب شتى، منها أنه تزوج مبكرا وحرص على الاستقرار طويلا مع أبنائه، ولربما كانت جامعة الزقازيق التى يعمل بها مدرسا للأدب الانجليزى ليست الأفضل حظا عموما بين جامعات مصر فيما يتعلق بالحصول على منح الدولة للدراسة بالخارج.. مدحت ذو اصـــول ريفيـــة،و هذة هى المرة الأولى التى يسافر بها إلى الخارج بصفة عامة...، بل لعلها المرة الأولى التى يكون فيها بمفرده، فمنذ أن تزوج فى الثالثة والعشرين من عمره، إنتقلت الولاية – ولو جزئيا – من والدته إلى زوجته، ومن ثم، فهو يعتاد ويألف أن يكون هناك من هو مسئول عنه ومنه..

ثم آخر العنقود سلوى مفيد.. التى تدرس السياسة بمدرسة لندن للدراسات الأفريقية.. وهى فى أواخر العشرينيات وهى حاصلة من قبل على ماجستير بجامعة القاهرة، ثم حصلت على منحة المركز الثقافى البريطانى للحصول على درجة أخرى للماجستير، ولكنها كانت ترغب فى استغلال السنة الدراسية فى جمع المادة العلمية اللازمة للاعداد لرسالة الدكتوراة بجامعة القاهرة خلال العام المقبل. هى عملية جدا..وتجيد تحديد أهداف مصلحتها ثم تعمد بكل طاقتها إلى الوصول اليها.

ووالدها لواء سابق بالشرطة، كما أن والدتها أستاذة جامعية.

كان اللقاء الأول لتلك المجموعة غير المتجانسة فى المركز الثقافى المصرى..،وهو مركز أنيق عبارة عن مبنى أثرى يقع على بعد مئات الأمتار من مبنى السفارة المصرية الفخم بمنطقة مای فير الارستقراطية.. يقال إن المبنى كان دار سكن للملك فاروق.. يقال ويقال.. هكذا تمضى حياتنا نحن المصريين دون أن نعرف من هم فى حقيقة الأمر الذين قالوا ولماذا قالوا؟.. وأبدا لا نستطيع أو حتى نرغب فى أن نتحقق من صحة ما نسمعه حينا وما نردده احيانا!!.

تقاطر هؤلاء وغيرهم من الطلبة المصريين على المكتب الثقافى لتسجيل بياناتهم. فالمبتعثون الحكوميون ينبغى عليهم أن يخضعوا أنفسهم لاشراف المكتب الثقافى حتى يتقاضوا رواتبهم الشهرية من الدولة، أما الدارسون على نفقاتهم الخاصة فهو غير مضطرين لذلك، ولكن بعضهم يرغب فى إيجاد صلة ما بالمكتب الثقافى لكى يستغلوه فى تسهيل اجراءاتهم هنا وهناك.. و المقصود بـ «هنا» القنصلية المصرية بلندن.. والمعنى بـ « هناك « جامعاتهم أو مقار أعمالهم فى مصر..

إنتظر هؤلاء فى ردهة المركز الثقافى المصرى والتى تستخدم يوم الجمعة كقاعة للصلاة حيث يتوافد موظفو السفارة ومكاتبها الفنية وبعض المصريين للصلاة ويؤمهم الامام الازهرى الموفد للعمل بالمركز الثقافى الاسلامى. ويبدو أن جو لندن البارد نوعا وضبابها الذى يلف الافق.. قد اثر على أعضاء مجموعتنا فجلسوا صامتين دون أى رغبة من أحدهم لكسر الجليد أو حالة الصمت غير المبررة بفتح المجال لأى حديث..!

فى الساعة التاسعة والنصف، دخل المستشار الثقافى - وهو عادة يكون أستاذا جامعيا مخضرما - الى القاعة حيث بدت على وجهه ابتسامة حكومية مصطنعة لا تخفى وجود قدر من الاستعلاء!!. فهو هنا مبعوث من الحكومة للاشراف على الطلاب المصريين.. وهؤلاء يعرفون بالضرورة أن مثله لابد أن يكون « واصلا « حتى يحظى بشرف تمثيل مصر فى عاصمة هامة مثل لندن. ولذا فهو يستطيع تسهيل أمور كثيرة سواء بالقنصلية أو لدى جامعاتهم أو الهيئات المصرية بصفة عامة...

رحب بهم المستشار الثقافى ترحيبا قصيرا مرتجلا، ثم أستدعى احد موظفيه الاداريين لتسجيل بياناتهم كاملة، حسبما تقضى التعليمات. ثم بكلمات قصيرة اختزل لندن بوصفها عاصمة الدراسة بالعالم، إذ يبلغ عدد الدارسين الاجانب بها قرابة ربع مليون طالب يدرون دخلا صافيا ربما يفوق دخل قناة السويس.. ثم نصحهم بالالتفات الى الاستذكار وضرورة الوصول سريعا الى مرحلة إجادة اللغة كتابة وتحدثا حتى يمكن إجادة الدراسة ذاتها خلال الفترة المقبلة. اضاف بذات الاسلوب المقتضب أن عدد المبتعثين المصريين فى عموم بريطانيا يبلغ قرابة الالف دارس ونسبة النجاح مائة

فى المائة كل عام، وذلك بسبب الاصرار والعزيمة التى يتميز بها الطلاب المصريون عادة.. مؤكدا أنهم جميعا « سفراء لمصر » وأنه يتمنى لهم التوفيق وأن المركز الثقافى هو بيتهم الذين يستطيعون زيارته فى أى وقت.. ثم حث الجميع على ضرورة المحافظة على جوازات السفر والاكتفاء بحمل صور لجواز السفر.. إذ أن مواطنى بريطانيا لا تصدر لهم بطاقات شخصية أو بطاقات رقم قومى.. ومن ثم لا توجد عادة إستيقاف رجل الشرطة لاى شخص لسؤاله عن بطاقته.. بل أن الاخير يستطيع عند الضرورة استطلاع الأمر واستيضاحه عبر بعض الاسئلة للشخص مثار الشك ثم يتأكد منها عن طريق الكومبيوتر الشخصى أو بالاسلكى. بشكل أو باخر. سرت روح البيروقراطية المصرية بكل أوجها فى هذا اللقاء بكل ما فيها من علوية للمسئول يستشعرها حيال من هم دونه، ورغبة فى إنهاء الأمر على عجل دون إستطراد أو تريث.

عقب اللقاء المختزل، بدأ الطلاب يتعرفون على بعضهم البعض.. فأخذوا يتنادون على بعضهم البعض بلقب « دكتور ». بدرجات متفاوتة من الترحيب والحذر والحماس والفتور والابتهاج والتحفظ تعرفوا جميعا على بعضهم البعض... كانت سها - بطبيعة الحال - أكثرهم تحفظا فلم تغير وضعيتها الجالسة ساقا على ساق بحيث تظهر جودة حذائها من ماركة بيريرى الذى اشترته من محل لويس فيتون قبل ايام.، وكان أكثرها انفتاحا كما هو متوقع أحمد مشتهر.. محاولا أن يجذب انتباه كافة الاناث من حوله. محمود عز الدين، وفقا لطبيعته، بقى متحفظا.. حاول أن يقيم حوارا مع سها باستطراد، إلا انها اكتفت بكلمات أحادية (أه.. نعم... بجد... مش معقول) فيما يفهم من ذلك عدم اهتمامها بالمحادثة... فانتقل بهدوء الى سلوى مفيد.. الذى بادلته حديثا بحديث واهتماما مصطنعا باهتمام...!!!

أما نادية البيلى ومدحت نبهان فقد وجدا نفسيهما مضطرين لاقامة حوار لانشغال الاخرين.... بخبث الفلاحين، استشعر مدحت أن نادية عازفة عن الحديث ربما لأنها كانت تود أن تتحدث مع أخرين، فأراد أن يعاقبها بأن أخذ يصول ويجول ويستطرد فى الكلام عن الادب الانجليزى، وعن تفوقه منذ صغره فى نظم الشعر، وهى تقابل كل هذا بابتسامة فاترة!!

عقب اللقاء القصير بدأ الطلاب الاخرين فى الانصراف...، وفجأة حضر الملحق الثقافى الدكتور جورج نسيم - وهو غالبا ما يكون بدرجة أستاذ مساعد باحدى الجامعات المصرية - مستخدما كرسيه المتحرك- فهو من ذوى الاحتياجات الخاصة-، ليجد طلابنا الست فقط هم المتبقين. رحب بالجميع بحراره وأعتذر عن تأخره بسبب تعطل المترو، حيث يقيم فى المنطقة الرابعة بلندن، فالمدينة ذاتها مقسمة الى ست دوائر، فاضطر إلى استبدال المترو بالحافلة وهو ما إستغرق وقتا

أطول مما هو متوقع. أضفى وجوده - بكرسيه المتحرك - نوعا من الفضاء العاطفى بالقاعة، فتحلق الستة المتبقين حوله أثناء إلقائه بعض النصائح المختصرة عن كيفية إستخراج « الأويستر كارت « الذى يتيح لهم ركوب الأتوبيس فى كافة أنحاء لندن، وأهمية ألا يغفلوا إظهار كارنية الجامعة الذى يتيح خصما على المواصلات أو تذاكر السينما أو المسرح. عرج بالحديث إلى إدجوار رود الشهير مادحا فى مزاياه العديدة، لاسيما شراء الأكل العربى بأسعار معقولة، ثم ذكر أنه وبعض دبلوماسي القنصلية المصرية، كثيرا ما يتجمعون على مقهى اللؤلؤة أو مقهى الدار اللبنانى أو ابو على المصرى أو الجزيرة مساء كل جمعة.،. وأن بامكانهم أن يلتقوا بكل هؤلاء بعيدا عن الاجواء الرسمية إن أرادوا. على عكس المستشار الثقافى، كان مساعده الدكتور جورج نسيم أستاذ الإعلام يتكلم بحماســة تجعلك تستشعر الاخلاص فى كل كلمة يقولها... ما ذكره لقى هوى فى نفوس مستعميه، لاسيما عندما ذكر أن القناصل يشاركونه الجلوس على المقهى كل أسبوع..!!

القنصل فى الخارج مثل ضابط الشرطة فى الداخل... ليس فى المهام بالطبع، ولكن من حيث رغبة المصريين فى التعرف عليه والتودد له لانجاز معاملاتهم.. نوع من المكانة الاجتماعية بالخارج أن تكون صديقا للقنصل، بامكانك أن تتصل به فى أى وقت للاستفسار عن معاملة قنصلية مثل تجديد جواز أو استخراج شهادة أو حتى للتوصية على مصرى آخر. أغلب المصريين يستشعرون راحة ما إذا ما كانوا على صلة بأجهزة السلطة المصرية أو امتدادها بالخارج.. ليس عن حب بالطبع، بل بسبب عدم ثقتهم فى كفاءة تلك الأجهزة أو حياديتها، فأغلبهم يريد أن يؤمن نفسه بصلة خاصة قد تتيح له معاملة استثنائية أوعدم الانتظار فى الطابور أو ما شابه...كذلك، فإن لدى المصريين توهما مؤداه أن القنصل عادة ما يمتلك سلطات مطلقة تتيح له أن يخاطب السلطات البريطانية أو المصرية بل ويؤمرهما أن يفعلا كذا وكذا لأى شخص، فلا يكون هناك مفر لدى سلطات الداخل والخارج إلا أن تقول آمين..!!!! هذة الصورة الوهمية الخيالية ترسبت وترسخت لدى أجيال من المغتربين ومن الصعب تغييرها..أو إقناعهم بأن القنصل يتحرك فى إطار صارم من قوانين واجراءات الدولة المصرية، وهو ملتزم فى الوقت نفسه بحدود ونواهى القوانين البريطانية... غاية الأمر انه يستطيع أن يتساهل فى أمر ما أو أن يبذل مجهودا اضافيا لتسهيل وتسريع إنجاز خدمة ما فى حدود المعقول والقانونى ليس أكثر.

لم يكن من الغريب إذن أن ذكر أسماء مثل القنصل « ياسر عثمان « أو القنصل «هبة زكى « أو القنصل «محمد عزمى «، كافية لان تجذب انتباه الجميع، فتبادلوا على الفور مع الدكتور جورج نسيم وبعضهم البعض أرقام الهواتف، واتفقوا على أن يلتقوا مساء كل جمعة كلما وحيثما اتفق.

Obeikan.com

انطباعات مختلفة تولدت عن الاجتماع لدى كل منهم... كل منهم فى جامعة مختلفة.. ويسكن فى دار الطلاب بها أو بسكن خاص به... فلا بأس إذن إن يرتبطوا بنوع من الحبل السرى يتمثل فى لقاء الجمعة المشار إليه.. لكسر حاجز الاغتراب من جانب، ولتأمين علاقات خاصة مع كل من القنصلية المصرية والمكتب الثقافى من جانب أخر.. فمن يدرى ماذا يمكن أن تحمله الأيام القادمة من إحتياجات أو حتى نوائب؟!!. عموما الصلة مع هؤلاء القوم أما أن تجلب فائدة أو تمنع ضررا لو جدت فى الامور اشياء لا يعلمها إلا الله. فى كل الاحوال، هى لن تضر فى شئ.

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول:

آلام وآمال

obeikan.com

(١) محمود عز الدين...

وصل محمود إلى لندن حاملا آمالا كبيرة.. أهمها أن يحصل على دكتوراة فى القانون التجارى الدولى.. مل الحياة فى مصر وملته هى بدورها.. لم يوفق كثيرا فى مشروعات الارتباط رغم أنه لا يطلب المستحيل.. أو هكذا يعتقد.. هل من الكثير أن يطلب فتاة جميلة ومثقفة وحسنة الخلق؟؟ لا ليس كثيرا.....على ضفـاف بحيرة حديقة هايد بارك ثانى يوم الوصول أخذ يحدث نفسه :

-»المشكلـــة أننا شعب مشوه نفسيا.. فالفتاة الجميلة فى بلادنا هى بالفعل عملة نادرة...، بالطبع لابد أن تكون عملة نادرة....عندما تكون هناك جميلة وسط متوسطات الجمال أو ما دون خط الجمال بكثير... هذا يجعلها محط الأنظار منذ صغرها... ولأننا شعب متخلف.. فالذكور منذ بداية سن المراهقة وحتى يلقوا حتفهم لابد أن يلاحقوا الاناث بنظراتهم بشكل شهوانى مقزز.. هذا بدوره يمثل عبئا نفسيا على الفتاة الجميلة تجعلها تستشعر أنها من عالم آخر.. فينعكس هذا بالسلب على شخصيتها.. قابلت عشرات الفتيات منذ أن تخرجت من الجامعة.. كما أن طبيعة عملى بوزارة الاقتصاد تجعلنى ألتقى بالكثيرات منهن.. أظن أننى قابلت ما لا يقل عن 75 فتاة... كلهن بهن عيوب نفسية رهيبة.. كلهن لسن باهرات الحسن.. يعنى يمكن منحهن درجة سبعة من عشرة فأكثر.، ورغم ذلك فإن شذرات الغرور والكبرياء المفتعل تكاد تتساقط من أنفوهن وأفواههن عند الكلام.. هن يظن أنفسهن طبقة أخرى من البشر.؟!.. لم يطمسهن أنس ولا جان.. استغفر الله العظيم.. صعب جدا أن تجد فتاة مصرية جميلة ومتوازنة نفسيا.،فإن وجدت المتوازنة نفسيا ألفيتها مثلك أو مثل أحد أصدقائك من الرجال..، تخاصم الأنوثة ويقاطعها الجمال..،ناهينا عن ضعف مستوى الثقافة.. عشرات الفتيات ممن قابلتهن لا يشغلن أنفسهن بأى شئ مفيد.. حتى قراءة الصحف والمجلات تبدو مجهودا شاقا عليهن... لا يرين فى أنفسهن إلا مجرد أدوات للجنس والتكاثر.. لماذا تدنت قيمة المرأة فى بلادنا فى عيون المرأة قبل الرجل نفسه «؟!!

ouelkam.com

-»كيف كان يتزوج أباؤنا وأجدادنا؟!!... كان المجتمع منفحتا على الأجانب.. فمصر استقبلت على مر العصور الألبان والأتراك والشراكسة وغزاة من كل حدب وصوب.... يقال إن الاسكندرية كانت تعج باليونانيين والايطاليين..، يقال كذلك أن موظفى قناة السويس كانوا أغلبهم من جنسيات الدول المالكة.. بعض العائلات هنا وهناك كانت تقتنى خادمات من النمسا وسلوفينيا للعمل لديهم... تخيل خادمات من النمسا وسلوفينيا لخدمة المصريين ابان الحرب العالمية الاولى أو الثانية وما بينهما!!»مع قدوم ثورة يوليو.. هجر الأجانب مصر... وهاجر معهم الجمال والاحساس بالجمال فى أى شئ وكل شئ.. مجتمع يعايش القبح كيف يكون أناسه على درجة من الجمال والأناقة؟!!!.. كيف تهتم النساء بالثقافة فى مجتمع يعانى من كل شئ وأى شئ.؟!!. هذا ترف بالنسبة لحجم المشكلات المتراكمة من الفشل المركب لنظام ثورة يوليو المتوارث حتى الآن!! أنا لا أحلم بشارون ستون أو كاترين زيتا جونز.. ولكن قدر معقول من الجمال والثقافة.. هل هذا مستحيل على شخص مثلى يعمل موظفا مرموقا بوزارة الاقتصاد ولديه ماجستير فى إدارة الاعمال من الجامعة الامريكية، وسيرث -بعد عمر طويل لوالديه - مزرعة بقليوب.. وعددا من المقار السكنيـــة؟؟.. هل هذا محال؟!!..بالطبع لا... لا لن أستسلم.. إن ضاقت عليك الأرض بما رحبت، فعليك بالهجرة.. أنا لست كبيرا بعد الى الحد الذى يردعنى عن المغامرة.. كل ما ينقصنى بعض الدراسات العليا كى أستطيع أن أجد وظيفة فى لندن أو غيرها من الدول الاوروبية.. الحياة فى مصر رغم ارتفاع مرتبى غير جاذبة.. لابد من التغيير.. هكذا تولد قرار الدراسة لدى وأنا فى الثامنة والثلاثين ونفذته بلا أدنى تردد رغم الحاح رؤسائى على أن أبقى قريبا من وزير الاقتصاد الجديد.. لعله يدفعنى معه إلى الامام أو أن يلحقنى يوما بلجنة سياسات الحزب الواطى..قصدى الوطنى لكى أكون قريبا من جمال مبارك!!. أريد أن أتزوج.. وأعمل هنا.. فى بلد محترم.. مصر تحولت الى شبه دولة.. الفوضى والهرجلة فى كل مكان.. لا قانون ولا يحزنون... والبلد تورث من الأب إلى الابن.. وكأن أهلها يسامون الذل ويساقون كالنعاج.. وهم راضون بذلك.. رغم أن الفساد منتشر فى كل مكان كالماء والهواء.. إذن فماذا على أن أفعله.. ولم أكترث بهم؟!! «...

توجه محمود فى اليوم التالى لإستلام غرفته التى حجزها عن طريق الانترنت بمقر سكن الجامعة ثم بعدها بساعتين توجه إلى حضور ما يسمى " الاندكشن " أو الجلسة الاستهلالية للطلاب الجدد، والتى يحضرها عادة رئيس الجامعة وعدد من القيادات والاساتذة، ويتم خلالها تعريفهم بالجامعة وتاريخها، وكيفية الاستفادة من الخدمات المكتبية بها أو عدد من التسهيلات الاجتماعية الاخرى، مثل قاعة الرياضة أو حضانة الأطفال أو المطعم الجامعى الذى يقدم الوجبات

بأسعار مخفضة.. فى تلك الأثناء، يقوم عادة بعض من الطلاب القدامى أو الموظفين بتوزيع بعض الكتيبات الصغيرة الارشادية (المسماه بروشورز) على الطلاب الجدد، مع تبادل الابتسامات بأكبر قدر ممكن سواء بشكل طبيعى أو إصطناعى!!

دخل محمود عز الدين قاعة جامعة ويستمنستر الكائنة بشارع ريجنت بارك.. هى عبارة عن مسرح كبير أو قاعة إحتفالات.، ليرى عددا هائلا من الفتيات من كل حدب وصوب.. فتيات جميلات للغاية، كلهن ممشوقات..وكأنهن خارجات للتو من مسابقة جمال أو قاعة رياضة.، من الصعب أن تكون كل تلك الفتيات بريطانيات..!!

"فى كتيب الجامعة الذى قرأته قبل قدومى إلى هنا.. علمت أن تلك الجامعة هى أحد المقاصد المفضلة للطلاب الأجانب نظرا لتواجدها فى قلب لندن ورخص مصاريف التعليم بها مقارنة بالجامعات الأخرى.. ما كل هذة الحلاوة المتقدة المتنوعة وكأنهن زهورا متشابكة...(ده أحنا هنعوم فى القشطة)"!!!

أسر محمود تلك العبارة الساخرة فى ذهنه،ثم جلس بهدوء فى آخر القاعة كى يتابع الموقف بأسره.. لاحظ أن أغلب الطالبات يرتدين البنطلون الساقط (اللو ويست)....أدار رأسه يمينا ويسارا، فوجد أن الفتيات سواء كن يرتدين البنطالون أو الجيب.. عندما يتحركن للقيام أو الجلوس.. فأنهم يكشفن جزءا معتبرا من المؤخرة.... ما هذا الجنون..؟؟!!. لقد تفنن مصممو الأزياء فى كشف أجزاء من جسم المرأة على مر التاريخ.. زوايا مختلفة.. لأعضاء مختلفة.. ولكن أن يصل الأمر الى كشف المؤخرة.. أو جزء منها.. فهذا هو الخطل بعينه.. هل مل الرجال من النظر الى الأجزاء الأخرى؟!! الاجابة بالطبع لا.. هى إذن مسعى محموم نحو الغريب وغير المألوف.. نوع من الفانتازيا التى تبحث عن أقصى درجات الاستمتاع عن طريق إشعال الخيال.. بعد أن تم إستنفاد مستويات الامتاع الأخرى..... نوع من السلوك الجماعى غير المبرر أو المنطقى و المفهوم.. المؤخرة العارية هى مجرد تقليعة.. انتشرت إذن مثل النار فى الهشيم، مثل ظواهر اجتماعية أخرى لا يوجد ما يبررها.. سلوك البشر متغير ومتقلب.. ويبدو أن الانسانية لم تكتشف بعد هذا كيفية عمل العقل البشرى..

جاءت إيزابيلا الطالبة الأسبانية للجلوس بجواره.. وتبادلا الإبتسامات.. لاحظ أنها ايضا من متبعى تلك الموضة.. إلا أنها تكشف فقط جزءا كبيرا من الملابس الداخلية السفلية.. لون تلك القطعة يتناغم بدرجة ما مع ملابسها الخارجية.. كما أنها تحرص على إظهار الماركة. بالطبع محمود لا يعرف الفارق بين ماركات الملابس الداخلية للنساء.. ولكنه أضحى فاهما لتطورات الموضة المجنونة..أما أن تكشف الفتاة على جزء طبيعى من مؤخرتها..أو أن تقوم – فى حالة ما اذا كانت

obeikan.com

أكثر احتشاما – باظهار جزء أكبر من الملابس الداخلية على سبيل تحقيق الشفافية والتواءم مع الذات والاخرين!!! ماذا تعنى الموضة التى يحرص على اتباعها كثير من البشر عن غير هدى؟!! أنها صرخة أو تأكيد أننى مثلكم...أنا أنتمى الى نفس طبقتكم بسلوكياتها وعاداتها وملابسها..محمود بطبيعه شخصيته أقوى من أن يهتم باثبات تماهيه مع أى طبقة!!. ضحك محمود فى سره كثيرا، وهو يتخيل ماذا سيحدث لو انتشرت تلك الموضة فى مصر؟؟ بالتأكيد أن الفتيات اللاتى يقمن بإتباعها لن يعدن إلى بيوتهن ثانية، إذ سيتم اختطافهن ثم إغتصابهن ثم أكلهن أحياء!!.

-"على أية حال – هكذا حدث محمود نفسه – البداية مبشرة جدا علينا أن نتفاءل فكل الحسابات المنطقية تبدو إيجابية.. عدد الطالبات لا يقل أبدا عن 300 فتاة ونحو ستين أو سبعين طالبا فقط، وبالتالى فأنه لن يكون هناك تنافس أو تزاحم على الفتيات الجميلات مثلما يحدث فى مصر.، كما أن أغلب الفتيات بالفعل جميلات.، يبدو أن أغلبهن من دول الكتلة الشرقية.، يقولون أن خط الجمال يتسق مع الجنس السلافى الذى يعيش فى روسيا وأوكرانيا وبولندا والمجر ورومانيا.. هناك عدد من الفتيات الأفارقة السوداء.، أو لعلهن من دول الجزر الكاريبى..ولكنهن لا يزدن عن 20 فتاة وسط هذا الطوفان الجميل"..

لحظات وبدأ مقدم الحفل.. ينبه الطلاب أنه سيتم توزيعهم على زوايا مختلفة من القاعة كى يمكنهم التسجيل فى الأقسام الخاص بهم.. فنادى " قسم القانون الدولى " فتحركت قافلة من الجمال البشرى..نحو 50 او 60 فتاة نحو الزواية المحددة.، ثم قال " القانون الدولى الانسانى " فتحركت فتيات كثيرات وعدد محدود من الطلاب الى زوايـــة أخرى.، ثم نادى مجددا " قانون الملكية الفكرية..والمواد الترفيهية "، فتحركت سحب الفتنة والابهار معه.. ثم ذكر أخيرا " القانون التجارى الدولى "، ليجد محمود نفسه يتحرك مع عدد من الطلاب كلهم من الذكور فيما خلا عدد محدود جدا من الفتيات الأفارقة أو الوافدات من جزر الكاريبى.. وكلهن أقل منه هو شخصيا فى الجمال.، لينزعج محمود أشد الانزعاج.....، وليتضرج وجهه بالحمره ويتقطب جبينه.، وليصرخ داخل جنبات نفسه ناعيا حظه.، "يعنى قليل الحظ يلاقى العظم فى الكرشة "!!

(٢) سها النجاد...

طوال الرحلة من القاهرة إلى لندن،والتى تستغرق عادة أربع ساعات وربع - كانت سها تراجع حساباتها. فى الحقيقة، كانت تحاول جاهدة اقنـــاع نفسها بأنها فعلت الشئ الصحيح. تقصد بذلك إنهاءها لمشروع زواج من الدكتور هيثم النشوقاتى أخصائى الجراحة والتجميل.. دار حديث داخلى أشبه ما يكون بالصراخ المكتوم حتى يطغى ويغطى على هاتف الندم بداخلى على افشالها لمشروع زواج واعد بينما هى باتت فى منتصف الثلاثينيات.

-. "كيف لى أن أعيش فى بلد مثل مصر، هو أشبه ما يكون بالعبارة السلام 98..... يعنى غارق فى بحور الجهل والفقر والتطرف والفساد..... أننى كنت دوما استشعر إغترابـــا فى هذا المجتمع الملئ بالنفاق الاجتماعى!!!. يدعون العفة والتعفف ويهرعون إلى الصلاة ويحرصون على الصوم، ولكنهم لا يمانعون من تلقى الرشوة والاختلاس والكذب..... أعداد الرجال الذين تحرشوا بى أو حاولوا ذلك لفظا وفعلا..... لا تحصى..كيف أعيش فى بلد لا أستطيع أن أسير فى طرقاته دون أن يتحرش بى أحد؟؟؟!!!. الناس فى مصر جوعى جنسيا... فما أن يشاهـــدوا فتاة جميلة إلا وذهبت عقـــولهم، كأنهـــم حيوانـــات سائبة على بعضها البعض...!!! لا لا لا يمكننى أن أبقى فى براثن هذا المستنقع. يقولون عليها أم الدنيا.. لابد أنها أم غير شرعية."..!!!

-"ثم ما هذا الذى أفكر فيه؟!!... من هذا " الدكتور هيثم "... هو بالتعبير المصرى الدارج إنسان " قتم وسخيف ومغرور "..هو صحيح محترم ومستقبله واعد، ولكنه يبالغ كثيرا فى تقدير نفسه!!!!. ثم ما هذة " الفذلكة الفارغة " فى الحديث، فما أن تتاح له فرصة إلا وانتهزها لاستعراض ثقافتـــه، فيتحـــدث عن أن إبن خلدون كتب فى مقدمته كيت وكيت...، بينما الفيلسوف الالمانى نيتشه قال كذا وكذا، أما بالنسبة للأديب الروسى تولستوى فان أدبه لا يقارن إلا بفلان وعلان.... لا لالا لا يمكن أن أتزوج مثل هذا الراديو المتنقل. أنه حتى كان لا يعطينى فرصة للحديث، وكأنه

يوصل لى رسالة ضمنا.. ماذا يمكن أن تقوليه أو تضيفه الى ما أقوله؟!!.الشئ المزعج فيه حقا هو كونه شخصا قابلا للكسر وليس الانحناء.. لاحظت أنه ليس أبدا مثل سابقيه يمكن تطويعه والتأثير عليه"..

تذكرت الان كيف كانت تمرر المتقدمين اليها بخطوات اختبار الثقة والثبات الانفعالى،.... فلا ترد المكالمة الا اذا اتصل بها الطالب ثلاث أو أربع مرات... أو ترد المكالمة وتتعلل أنها مشغولة حاليا، وأنها ستعاود الاتصال لاحقا..ثم تترك هذا الشخص أو ذاك عدة أيام لكى يقـــوم هـــو بمعاودة الاتصال بها بعد ذلك... كنوع من التعويد لضبط السلوكيات المستقبلية.!!!. مع الدكتور هيثم لم ينفع هذا الأسلوب... حاولت مرة ومرات.. ولكنه كان يتركها عدة أسابيع حتى تقوم هى برد المكالمة اليه.. كان حريصا على أن يوصل اليها دوما أنه على إستعداد لإنهاء المشروع لو لامس ما يعتبره الخطوط الحمراء لكرامته... شخص مثل هذا سيكون متعبا... لا لا لا يمكن تطويعه.. فلماذا إذن الندم أو العتاب النفسى؟!!. أنها الان على مشارف مرحلة جديدة... قبل الرحيل باعت سها فيلا القطامية التى كانت تبنيها، وكأنها تتأسى بمقولة طارق بن زياد... "العدو أمامكم والبحر من خلفكم"..، ثم أنها تنوى استغلال الثمن كوديعة للرهن العقارى لشقتها الجديدة فى لندن للاستقرار بعد إتمام الدراسة. أنها بالفعل ستبدأ حياة جديدة سعيدة، لا مكان فيها لشخص مثل هيثم. إن لندن كمدينة تسبق القاهرة بنحو 300 سنة، مثلما قدرت هى بنفسها فى زيارة سابقة، فلماذا إذن التفكير الذى لا ينفع أو يفيد!!!

ما أن وطأت قدماها أرض لندن، وداعب الهواء وجنتيها ومرح بخصلات شعرها، حتى تنفست بعمق وإستشعرت وكأنها تتنفس هواء من نوع مختلف..، كأن كله أوكسجين... ولا مكان فيه لشئ غير الاوكسجين...، كل شئ يسير بل يعدو بدقة ونظام....، ما أن وضعت ترحالها فى استديو صغير فى وسط المدينة... الا وذهبت على الفور- رغم الإرهاق - لتتجول فى المنطقة المحيطة..هى بالمصادفة منطقة بادنجتون القريبة من إيجوارد رود. الناس السائرون والغائدون "شيك".. تصرفاتهم شيك.. ملابسهم شيك...يمشون بطريقة شيك... هم مبتسمون وجادون دائما...، شئ جميل حقا أن ترى وجوها مبتسمة، بعد أن قضت 33 عاما، هى كل حياتها، وسط وجوه عابسة ونفسيات مهترئة...، كل شئ جميل..، كل شئ يغنى..، كأن الزهور نفسها تغنى... الزهور فى لندن جميلة والحدائق الشهيرة فيها مثل الهايد بارك وريجنت بارك وسان جيمس شاسعة ومبهرة... تأففت كثيرا عندما وجدت أن الزهور هنا تعادل فى كثرتها القمامة فى القاهرة.... لا لا لا أنها أتخذت بالفعل القرار الصحيح... على الأقل هنا "سيستم" حياة وعمل... المجتهد يجنى ثمار اجتهاده... وليس مثل المدينة

التى تقبع خارج دائرة أى قانون.!!

فى أولى أيام الدراسة، استقبلها عدد من الطلاب بالترحاب.... جلست سها فى باحة مدرسة لندن للأعمال، والتى تتهافت الشركات العالمية على طلابها للعمل بها حتى قبل تخرجهم...، وأثناء تجول عيناها فى وجوه المحيطين، حدث أن إنفجرت فجأة ضاحكة حتى إغرورقت عيناها بالدموع، عندما لاحظت أن الموظفين والطلاب يذهبون ويجئيون حاملين معهم القهوة الساخنة او الكابتشينو من ستار باكس.... وبعض قطع الشطائر والحلوى...تذكرت الأن كيف صرخت فى شاب صغير حديث التعيين فى البنك الذى كانت تعمل به بالقاهرة، من ذوى الأصول الريفية، عندما وجدته يتناول وجبة فول مدمس وطرشى فى المكتب... تذكرت كيف احمر وجهه وطرقرت أذناه من الخجل...!!!

لابد أيضا أن الطعام يؤثر على السلوك.. هل يستوى الذين يجترون الفول المدمس والطعمية آناء الليل وأطراف النهار، مع من يأكلون ساندويتشات السيمون أو التونه من ماركس أند سبنسر أو سلاسل محلات فود اند بيفريج؟!!...، وإلا ما هو تفسير سلوك الهمج وضجيجهم الذى لا يحتمل فى مصر!!!...هنا الناس متحضرون – أو على الاقل يدعون التحضر - بينما أغلبهم فى مصر " فالجير " –أى وقحين شعبويين-.... تنهدت كثيرا وندمت على أنها أضاعت كل هذة السنين فى بلد مثل مصر!!.

-" الآن.. فلتنفس حرية وعلما.. أنا الان فى سقف العالم.. لندن الحبيبة.. تمكنت خلال الأيام الأولى للدراسة من التعرف على عدد من الطلاب والطالبـــات.. بقـــدر المستطاع،تجنبت الطلاب المصريين والعرب.. يعنى ما فيش داعى للزوجة والسخافة التى تقطر من هؤلاء.. عشت معهم طول عمرى، ومن ثم فلن أفتقدهم كثيرا خلال تلك الفترة!!!. تمكنت كذلك من العثور على إستديو بمنطقة سان جونز ووود.. واحدة من أرقى مناطق لندن.. صحيح أنها أغلى المناطق إلا أنها أكثرها أمانا ونظافة.. هل لانها منطقة يقطنها اليهود؟!... هل جينات اليهود عامة مرتبطة بالتقدم والعلم والنظافة.. على عكس جينات الناس فى المنطقة العربية المرتبطة بالتخلف والهوس الجنسى والقذارة؟!!..

-"لا داعى لتلك الأسئلة الفلسفية التى لا تقدم ولا تؤخر.. أنا الان سها طالبة ماجستير إدارة الأعمال.. ما هى إلا شهور قليلة، وتبدأ عروض العمل تنهال على، لن أقبل إلا بشركة متعددة الجنسيات وسأشترط عليها أن تقوم بعمل تصريح لى للعمل فى لندن... هذة هى أرقى معاهد إدارة الاعمال تتكلف الدراسة للماجستير ما لا يقل عن 17 ألف جنيه أسترلينى كمصاريف.. ومثلهم أو أقل كنفقات إقامة وتنقلات ومعيشة، وهكذا.. هل أخطأت بالمغامرة بالجزء الكبير من مدخراتى فى

هذا المشروع...؟.. بالطبع لا.. أنا بمفردى فى الدنيا.. لا أسرة ولا أولاد... ووالداى متوفيان.. وشقيقاتى لديهن أسرهن وأطفالهن.. ولا يكترثن كثيرا بى.. لعلهن مازلن على عهدن من الغيرة من جمالى... وكأننى أنا الذى منحت كل واحدة منهن نصيبا أقل من الجمال... يتوفر لى ما يكفى من أموال.. ولن أحتاج إلى أحد."!!

-"الزواج... هل سأتزوج أم لا...؟!!.. هى إرادة الله أولا وأخيرا.. أنا إنسانة غير عادية.. يعنى حلوة جدا - يمكن أكون أحلى بنات مصر على الإطلاق - وطويلة وبنت ناس ومثقفة ومتعلمة كويس.. وأتحدث عدة لغات.. ومرتبى فى مصر الفقيرة يتجاوز العشرين ألف جنيه منذ أن إنتقلت إلى قسم الائتمان بالبنك. لماذا إذن أقبل بزوج غير عادى.. أو شخص معقد نفسيا.. أو شخص فقير أو متوسط الحال..؟!! الفقير عليه أن يبحث عن فقيرة مثله.. كل شخص يجب أن يتزوج من نفس مستواه المادى والاجتماعى والعلمى..".

-"لم أندم يوما على خطيبى الأول.. كان خريج الجامعة الأمريكية ويتحدث ست لغات.. إلا أن بداخله فلاحا بدرجة "قفل"..أبدى غيرته وإنزعاجه من كثره السفر والترحال ودعوات الغذاء التابعة للبنك.. قلت له " معطلكش".. إذا كان يقيد حركتى ونحن مازلنا مخطوبين.. فماذا سيفعل إذن بعد الزواج؟!!... الثانى.. لم أستشعر معه بالأمان بدا عصبيا وعينياه زائغتان دوما وكأنه لم يقدر ما كان سيكون له لو تم الزواج.!!! أنا الان فى قلب العالم.. ممكن أن أتزوج من مصرى..رجل أعمال مثلا.. يقولون أن الجالية المصرية تصل إلى عشرات الألاف ببريطانيا.. ممكن أن أتزوج من شخص عربى.. لبنانى مثلا.. الشعب اللبنانى راقى بطبعه.. يجيد معاملة النساء.. وليس مثل المصريين الفلاحين الأجلاف.. ولماذا لا أتزوج شخصا بريطانيا؟!!...يوجد مسلمون كثيرون سواء أبناء البلد أو الوافدين.. يعنى فرص الزواج هنا أفضل بكثير من مصر بكل ما يحيق بالحياة بها من صعوبات وسوءات"..!!!

-"عموما.. لدى مهمة ثقيلة نوعا... يجب أن أكون متفوقة.. حتى تكون الدرجات النهائية عالية.. كى أستطيع أن أجد فرصة العمل التى أتمناها.. سأحافظ على تلبية دعوة الملحق الثقافى الخاصة بلقاء إديجوارد رود.. حتى ألتقى بالمجموعة التى تعرفت عليها من قبل.. ألطف شئ أن كل شخص فى مكان وجامعة مختلفة... وبالتالى لن يلتصق بى أحدهم مثلما يحدث دوما بمصر..... سيكون فى كل الأحوال... اقترابا حذرا.."!!

(٣) أحمد مشتهر

كعادته، كان أحمد مشتهر طالب الماجستير فى الاقتصاد ينشغل أكثر ما ينشغل بكل ما يتعلق بسعادتـــه!!. كيـــف هو مفهوم السعادة لديه؟!! لا يقتنع كثيرا بالمقولات التقليدية المعروفة مثل أن السعادة تكمن فى القناعة وأن الاخيرة كنز لا يفنى، أو أن السعادة هى أن تدخل السرور على نفوس الاخــرين. السعادة لديه هى إشبـــاع الرغبة الجنسيـــة بلا أى حدود أو عوائـــق دينية أو إجتماعيـــة أو أخلاقية أو نفسية!!!. وكأنه يعيش على حافة الشهوة ذاتها.. كل شئ مسخر لذات الهدف!!. نصيبه من الوسامة قليل، ولكن لديه شيئا ما فى شخصيته يصعب تحديد كنهه، ربما يكون فى صوته أو طريقه الكلام، يجعلك منجذبا دائما لشخصيته. بعين الخبير، يستطيع أن يقيم الفتاة أو المرأة التى أمامه.. عصبية أم هادئة.. مثقفة أم مدعية.. لديها مشاكل نفسية أم انسانة سوية، ثم يضع إستراتيجية الاقتراب وتكتيكات الهجوم بحذق كبير وبما يتناسب مع كل واحدة.. فما يصلح مع هذة.. لا يستقيم مع تلك، وهكذا.. هل يعتنى أحمد بالجمال ويفتتن به؟!! طبيعى أن تكون الاجابة نعم.. ولكن أحمد فى عشقه للنساء يميل إلى الفكر الاشتراكى أو اليسارى عموما المنادى بمبدأ المساواة.. فلا يتمنع عن مصادقة القبيحة أو سيئة السلوك والسمعة أو كبيرة السن أو المتزوجة، فهو يقبل على مرافقة "خادمة" بنفس الرغبة المتأججة التى يستشعرها لو كان مستهدفا راقصـــة أو ممثلة معروفة....المهم ألا تفلت أى إنثى من دائرة نفوذه وسطوته..!!

هل إقتصرت دائرة نشاطاته على عرق معين؟؟!بالطبع الاجابة مثلما تتوقع لا وألف لا.. فلقد شمل أحمد فى الاغراق بحنانه نساء وفتيات من جنسيات شتى..تعرف عليهن سواء فى شرم الشيخ والغردقة أو خلال سفرياته للخارج.. حتى أنه فى أوقات فراغه كان يمسك جهاز (اللاب توب) لحصر عدد النساء اللاتى ضاجعهن، فيسجل جنسياتهن وكم مرة مع هذة وتلك.. ثم يدون ملاحظاته عن كل تجربة على حدة!!.

يروى أحمد لاصدقائه ضاحكا.. "كان أحد أعمامى رجلا صالحا متدينا.. ينفق ببذخ على أوجه الخير.. يتبرع للكنيسة بنفس الحماس الكائن لديه عند التبرع للجامع.. (ولا تطلع العيبة من فمه)، وكان يطيب له أن يجمع أبناءه وأحفاده.. لكى يلقنهم خبراته فى الحياة.. وكانت إحدى تلك النصائح الغالية هى أنه يجب على الرجل فى جميع مراحل عمره ألا يفقد أى فرصة لمصادقة أى أنثى مهما كانت ظروفه أو ظروفها أو الظروف المحيطة"!! يضحك الجميع عند تلك الخاتمة غير المتوقعة.. فيعقب أحمد قائلا " ماذا عساى أن أفعله سوى أن أتبع نصيحة عمه وأقتدى به "!!

بالطبع، فأن أحمد لا يعانى أية متاعب نفسية أو ضميرية من جراء ذلك.. هو متصالح مع نفسه دائما.. يقول" ربنا كبير.. ربنا لن يحاسبنا أو سيغفر لنا مثل تلك الأشياء.. طالما أننى لا اؤذى أحدا أو أكذب أو أخدع أو أغش.. فلا توجد مشكلة.. هل إغتصبت واحدة أو أجبرت أخرى على شئ؟! بالقطع لا... كل شئ يتم بالهدوء والتراضى.. فقط يمضى كلانا وقتا سعيدا مع الاخر.. فما الضرر إذن"؟!!!..

نشأ صاحبنا فى أسرة متوسطة، وتمكن بفضل إجتهاده من أن يحصل على عمل مجز بإحدى الشركات الاستثمارية الكبرى فى مجال المقاولات..،ثم حصل على ماجستير ادارة الاعمال من كلية التجارة الخارجية بالزمالك..، ثم إستشعر الحاجة إلى دراسة الماجستير فى الاقتصاد لرغبته فى تطوير نفسه والبحث عن فرص أفضل للعمل، ومن يدرى لعله يجد فرصة للهجرة الى إستراليا أو نيوزلندا أو كندا مستقبلا.

عندما وصل أحمد إلى دار السكن الخاصة بالجامعة وتسلم غرفته.. وجدها معقولة تحوى الأساسيات.. أمسك بورقة التعليمات السكنية التى تقول إفعل ولا تفعل ثم ألقاها دون إهتمام.. كان أول ما فعله هو محاولة إستكشاف الغرف المحيطة ثم حساب المسافة من الغرفة إلى دورة المياة، ومعرفة هل هى مختلطة أم لا..؟!!!! على الفور، بدأ فى قرع أبواب الغرف المجاورة متصنعا الأدب الجم، فتظاهر بأنه يود أن يعتذر عن الضجة التى سببها أثناء حمله للحقائب إلى غرفته.. كان حظه العاثر أن وجد طالبا أفريقيا طويل القامة فى الغرفة المجاورة له..، فنظر اليه بعدم إكتراث.. ثم قال (لا مشكلة يا رجل). بعد قليل أعاد أحمد نفس الفعل مع الغرفة المجاورة، فخرجت سيدة مسنة تتثاءب، قائلة بملل واضح أنها لم تستيقظ من الضجة ولكنه أزعجها بالطرق على الباب.. ثم إستدارت بهدوء وأغلقت الباب!!. تساءل أحمد هل يمكن أن تكون تلك السيدة التى جاوزت الخامسة والستين طالبة بالجامعة..؟!! كل شئ جائز.. لحظات قليلة، ثم أعاد الطرق على غرفة ثالثة، فطلت فتاة صينية قصيرة جدا متسائلة بإستغراب عما يريد..، فلما أعاد الجملة

obeikan.com

الاعتذارية الاصطناعية إياها، لوحت بيدها.. وإفتغر ثغرها عن ابتسامة هادئة قائلة (انها أمور معتادة فالطلاب دائما يجيئون ويذهبون).. وتعرفت عليه قائلة " أنا لى من شنغهاى وأدرس العلاقات الدولية".. قدم لها أحمد مشتهر نفسه متظاهرا كعادته أنه لا يكترث كثيرا.. ثم إبتسمت فى هدوء وأغلقت الباب..!! هنا قال أحمد لنفسه:

- " صحيح هى قصيرة جدا.. ولكنها قد تصلح فى أوقات الفراغ.. ثم أن الفتاة غير الجميلة قد يأتى من صحبتها بعد حين الفتاة الجميلة، لذا ستكون الأخت الصينية الفاضلة (لى)، هى نقطة الارتكاز " لى" فى السكن الجامعى.. فماذا عن الكلية (مدرسة لندن للاقتصاد).. تعد تلك الكلية الأشهر والأكثر جدية بين الجامعات البريطانية، حتى أن مجرد التقديم لها يتطلب أموالا.. ويدرس بتلك الجامعة المشاهير من أبناء أسر الملوك والرؤساء ويحاضر بها أحيانا كبار الساسة والمتميزون فى مجالاتهم. على أية الحال، لابد أن تكون الجدية البالغة هى السمة الغالبة على الجميع. علينا أن نؤمن مصادر التموين.. قصدى مصادر الحريم.."!!،

قصد أحمد مشتهر مكتبة الكلية الشهيرة.. وأخذ يجول بها مثل الصائد المتمرس.. حتى وقعت عيناه على طالبة إنجلوساكسونية.، بيضاء وشقراء.، جالسة بمفردها.. فى أقصى المكتبة.. فاقترب بحذر وجلس أمامها بهدوء.. متظاهرا بأنه يقرأ كتابا.. ثم ترك حقيبته أمامها.. وإستأذنها أن تبقى عيناها على الحقيبة حتى يعود بعد خمس دقائق. إبتسمت الفتاة بلطف قائلة (شور- أى بالتأكيد).. نطق تلك الكلمة وحدها أكد له أنها ليست إنجليزية.. المهم عاد أحمد بعد خمس دقائق.. ليقدم لها قطعة من اللبان الخفيف، فالأكل والشرب والتدخين كلها أمور ممنوعة فى أى مكتبة، فابتسمت بهدوء وتناولتها دون تعليق. كعادته.. لا يندفع أبدا نحو أى فتاة، بل يكتفى باظهار قدر معقول من الاهتمام ثم يختفى... ليعاود الظهور فى الوقت المناسب عندما تكون الثمرة قد نضجت وآن وقت اقتطافها!!!.

-"غادرت المكتبة بعد ذلك متجها إلى شئون الطلاب للتسجيل وإستخراج الكارنية الخاص بى.. عموما الفتاة لابد أننى سألقاها فى المكتبة مجددا.. من الشكل والنطق أستطيع أن أخمن أنها من روسيا أو احدى دول الكتلة الشرقية.. ما على الان، سوى معرفة " الريدنج ليست" - أى قائمة المواد المطلوب قراءتها-، وشراء عدد من الكتب الرئيسية... وكذلك بعض الملابس.. وتأمين الاحتياجات التموينية... بما فى ذلك المعسل الخاص بالشيشة الصغيرة التى اصطحبتها معى من القاهرة "!.

-"دخلت القسم فألفيت مجموعة من الطلاب الإنجليز متجمعين، وعدد آخر من الطلاب الأجانب متفرقين بالقاعة الرئيسية.، ألقيت التحية وتبادلت الابتسامات ثم جلست فى هدوء..

لإعداد خطة التحرك المستقبلى.. تبدو " أماندا " اكثرهن حيوية وطاقة.. وهى تتحدث كثيرا وتحرك يديها وتميل بجسدها اثناء المناقشة، وهو ما يعنى أنها " إنفعالية " مقبلة على الاخرين.. لمحت فى أقصى القاعة فتاة محجبة تبدو من المنطقة، لعلها من المغرب أو الجزائر، وهى هادئة لا تحادث أحدا. ابتسمت لها، فتجاهلت الأمر وكأنها لم تتنبه... ثم التفت الى اقصى اليسار لأجدها.. أنها الفتاة التى جلست بجوارها فى المكتبة.. ها هى الأقدار ترتب لنا بأفضل مما نطمح بكثير.. تقدمت على الفور اليها، وبدون استئذان... فالامر مع الفتيات كثيرا ما يحتاج الى المواءمة ما بين الحاجة إلى المباغته والهجوم، والاقتراب الحذر لتلافى رد فعل سلبى، وابتسمت بهدوء وألقيت التحية، فقلت لها أننى رأيتها فى المكتبة صباح اليوم، وأننى عدت بعد قليل، فوجدت قلما - أخرجت فى تلك الاثناء قلمى الخاص من جيبى - فخمنت أنه لها.. ندت عنها إبتسامة رائعة قائلة (شكرا ولكنه ليس قلمى).. بدون إضاعة الفرصة قدمت لها نفسى " أحمد " من مصر.. فأجابت " ليدميلا " من روسيا البيضاء (بيلاروس).. ثم أردفت وقد توردت وجنتاها بحمرة ربانية مدهشة بأنها سبقت أن زارت شرم الشيخ والغردقة العام الماضى..."!!

-"لم أضع الفرصة السانحة للاسترسال فى الكلام.. فقلت أننى شخصيا أحرص على زيارة شرم الشيخ والغردقة مرة كل شهر على الاقل - بالطبع كنت أكذب -، وهى مناطق جميلة خلابة.. ولكن توجد مناطق أخرى اكثر إستحقاقا للزيارة مثل الأقصر التى تحوى ثلث آثار العالم، وأسوان، والواحات... وأنه بامكانها أن تقوم بزيارة لتلك المناطق بأموال زهيدة للغاية... تمكنت خلال الخمس دقائق التالية من أن أستحوذ تماما على إنتباهها، بتكرار الحديث الذى قلته من قبل مئات المرات عن السياحة فى مصر، وكيف أنها يمكن أن تعتمد على فى ترتيب الزيارة المقبلة. للحق، كان رد فعل ليدميلا إيجابيا نوعا.. هى فتاة من روسيا البيضاء - وهى واحدة من الدول القلائل فى العالم الاكثر إبتعادا عن الديمقراطية والانفتاح - وتدرس فى لندن، إذن فهى فى مرحلة الصدمة الحضارية.. التى تجعلها تبحث دائما عن صديق ليؤنس وحدتها..إذ انه ليس من السهل عليها الاندماج السريع مع الطلاب الغربيين.. إستخدمت كل الحيل التى أجدتها مرارا لاطالة الحديث لأكثر ما يمكن.. ولم أكن لأسمح أن ينتهى دون تبادل أرقام التليفون المحمول.. والبريد الألكترونى. هكذا مضت أولى الايام بنجاح.. تمكنت من ايجاد نقطتى إرتكاز فى السكن والجامعة....على الان أن اثبت جداره فى الدراسة.. بتلك الكلية العريقة".

(٤) نادية البيلى

فتاة فى نهاية العشرينيات أو لعلها بداية الثلاثينيات...لا نعرف تحديدا.. ولكنها فتاة متفتحة متألقة دوما.. عيناها تتوهج بالطاقة الهائلة..التى تجعلها قادرة على الإعتناء كثيرا بمظهرها سواء بالنسبة للزينة أو الملابس.. وفى نفس الوقت تكد وتكدح فى المذاكرة بصبر ومثابرة كبيرين.. تستطيع الدكتورة نادية التى جاءت للتخصص فى جراحات القلب بمدرسة لندن للطب الواقعة فى حى بادنجتون القريب جدا من إدجوار رود الشهير.. أن تعزل نفسها أياما وأسابيع طويلة من أجل الاستذكار.. والاستذكار فقط.. خلال فترات البيات الاستذكاري لا تشغل نادية نفسها بأى شئ قد يستهلك سعر حرارى واحد من طاقتها، فلا ترد على مكالمات أو تتبضع أو تتمشى أو أى تفعل أى شئ باستثناء الأكل وقضاء الحاجة وربما الصلاة أحيانا..!!

هل معنى ذلك أن نادية كئيبة أو جادة؟!!.. على العكس.. هى تعشق الخروج والتنزه وإرتياد البارات والرقص بأنواعه.. بشرط ألا ينعكس ذلك سلبا على المذاكرة.. هى تعرف قدرها فهى ذكية وجميلة.. ليست باهرة الجمال مثل سها.. ولكنها بمقاييس المصريات تعتبر جميلة، ومثقفة وبنت ناس.. وبالتالى فهى لم تقبل كل من تقدم إليها.. فهذا لا يتناسب مع طموح الدكتورة نادية.. وذاك نطقه فى اللغات يشى أنه تعلمها على كبر. الأمانة تقتضى ذكر أن نادية كانت تمثل فى حد ذاتها عنصرا رادعا لكثير من الرجال.. فكثيرون لا يحبون أو على الاقل لا يستشعرون راحة من الزواج من الفتيات الأكثر تألقا عما يجب.. أو ذوات العمل المرموق بأكثر مما هو مقبول.. أو اللاتى يتوهجن طموحا ويسعين للدراسة والسفر والترحال وهكذا!!

كرهت نادية الطب فى مصر... فقررت الدراسة بالخارج ولو بعض الوقت وبغض النظر عن النتائج المستقبلية!! أما لماذا كرهته، فالأسباب تتعدد منها أنها لا تستشعر لا متعة ولا حتى راحة ضمير فى العمل.إذ عليها أن تكشف على عشرات المرضى حيث تعمل فى معهد القلب بامبابه، وهو

آمر مجهد وغير علمى وغير أمين.. فالطبيب طاقة نفسية.. لا يمكنه أن يعالج كل هذا العدد كل يوم.. اللهم إذا كان مقتديا بزملائها الذين لا يستمعون للمرضى بالقدر الكاف ويسارعون إلى كتابة الروشتات بالفورمات المتكررة بذات الأدوية المعتادة بغض النظر عن التباين بين حالة وأخرى!! لا تفهم كيف يمكن لأطباء أن يتصرفوا هكذا بعشوائية دون ضمير.. ويرددون دعابات سمجة وطرائف قميئة، بما لا يجعل فارقا بينهم وبين الفئات الدنيا قليلة الحظ فى التعليم والثقافة. المشكلة لا تكمن فقط فى قلة الامكانيات؟!!. بل تتسع لتشمل كذلك نوعية المرضى..!. هل يصدق أحد أن بعض الأطباء يتعرضون للاعتداء والضرب والإهانة لأنهم لا يستطيعون تأجيل الأجل و إحياء الموتى، ناهينا عن سوء الأدب من قبل المرضى أنفسهم ومطالباتهم للأطباء بكتابة أدوية معينة.. بتكرارية معينة.. حتى يستطيعون صرفها من قبل التأمين الصحى بالمجان ويستفيدون من ثمنها!! شعرت بالاختناق من فرط ما عانت خلال سنوات عملها.. لهذا كان قرار الدراسة حتميا وإجباريا للحفاظ على ما تبقى من توازنها النفسى وطموحها العلمى.

هى أيضا يتيمة الأبوين ولديها أخ صغير طالب بكلية الشرطة، وهو أصبح رجلا يستطيع الإعتماد على نفسه، فلا يوجد الآن ما يمنع إنطلاقها العلمى والمهنى.. ترك لهما والدهما ثروة معقولة جدا من عمله بالمقاولات.. تكفى نفقات الدراسة الان ومستقبلا وتزيد.. لديها شقة جاهزة إن تزوجت كما أن لدى شقيقها شقة أخرى، وكل منهما لديه سيارة معقولة جدا... لماذا تبقى فى بلد مثل مصر طاردة للكفاءات.، وكأنها تستحرم أن تستفاد من أبنائها... ولكن هل المشكلة تكمن فى مصر أم المصريين؟!!!

-"لعل تلك هى الفرصة الأخيرة لى....قبل سنوات كانت لندن – أو لنقل بريطانيا العظمى – تمتلئ بالأطباء المصريين.. كان من الصعب أن تجد أى مستشفى ببريطانيا إلا به رئيس قسم مصرى ومساعده إما عراقى أو سودانى.. فضلا عن العديد من الأطباء الاخرين.. الان أغلقت بريطانيا أبوابها أمام الأطباء المصريين بالضبة والمفتاح.. لسببين أو لنقل ثلاثة أسباب :.. سياسة العمل التى يتبعها الإتحاد الأوروبى التى تعطى الأولوية لأبناء أوروبا فى العمل.. ولا تسمح بأى فرصة عمل لأى جنسية أخرى إلا لذوى الخبرات النادرة أو المتميزة (مثلا طبال.. عامل فطير مشلتت.. عالم ذرة، وهكذا).، وكذلك تزايد الاقبال على الأطباء الهنود والباكستانيين بعد أن أثبت هؤلاء تفوقهم ومهاراتهم فضلا عن استعدادهم للعمل لساعات طويلة.، ثالثا تدهور سمعة الأطباء المصريين بسبب تدنى سمعة كليات الطب المصرية.. وقلة إمكانياتها.."

-"ما يكسب الطبيب المصرى عادة تميزا هو خبرته العملية.. فالدولة فى مصر تسمح لأى طبيب

مبتدئ أن يعبث بجسد المريض دون حساب.. فاذا أصاب خير وبركة.. وإذا أخطأ فانه " النصيب والقضاء والقدر! آه...كم من الجرائم الطبية إرتكبت تحت لافتة " القضاء والقدر".. "واحنا عملنا اللى علينا والباقى الى ربنا".!!!. لدينا ثقافة مجتمعية سلبية يتساوى فيها الجميع.. من أخطأ ومن أصاب...، والمريض بقى يعوضه ربنا.. هنا فى الدول المحترمة.. لو أخطأ الطبيب.. قيد أنملة....، فإن المريض من حقه أن يرفع قضية ويطالب بالتعويض..، هنا قيمة الانسان عالية ومرتفعة أما فى مصر والبلاد المتخلفة الأخرى.. فالبشر أكثر من الهم على القلب.. لا يشعر أحد بفقدانهم"..!!!

-"الأمور تسير سيرا طيبا.. تمكنت من العثور على غرفة للإقامة فى المقر السكنى للطلاب " براسل سكوير".. كما لم أستشعر صعوبة فى فهم المحاضرات... فقط أحتاج أن أعود أذناى ولسانى على اللكنة البريطانية... الطبيب المصرى إعداده النظرى خلال سنوات الدراسة معقول.. المشكلة هى قلة التدريب المفترض قبل ممارسة المهنة وكذلك عدم إستطاعته شراء المراجع العملية لتطوير نفسه... وهذة هى ميزة لندن العبقرية.. أن كل ما سبق متاح.. تعليم نظرى مرتفع الجودة..، تدريب راق،.. إطلاع مجانى على كل ما توصل إليه العلم..، فماذا يحول إذن دون أن تتبوأ الدكتورة نادية البيلى مكانتها المرموقة فى كبرى المستشفيات البريطانية.. كجراحة قلب.. شأنها فى ذلك شأن الدكتور مجدى يعقوب!. سأبلغ شهرته وعلمه.. ولم لا.. فأنا ذكية وصغيرة ومجتهدة.. ولا ينقصنى شئ.؟!!!.. لن يتسع الوقت لدى.. لجلسات السمر والقيل والقال.. التى يستمرئها المصريون والعرب.. والأفضل البعد عنهم قدر المستطاع حتي لا تضيع الطاقة والوقت فيما لا يفيد... فقط سوف أحاول – كل عدة أسابيع – حضور لقاء إدجوارد رود مع من قابلتهم بالمركز الثقافى المصرى."

obeikan.com

(٥) مدحت نبهان

-"كيف يمكن للمرء أن يظل مخلصا لزوجته وسط هذا الطوفان من الجمال الذى يتهادى فى كل شارع.. إن من يفعل ذلك لابد أنه يتبطر على النعمة أو يرتكب إثما "!!.

هكذا حدث مدحت نبهان أستاذ الأدب الانجليزى نفسه، منذ أن وطأت قدماه ميدان البيكاديلى قادما من السكن الجامعى لجامعة سيتى إلى منطقة وسط البلد. أخذ مدحت نبهان الرجل الأربعينى يتفحص وجوه البشر من شتى بقاع المعمورة...

-"إيه يا ربى الناس دى، عايشين إزاى.. حوريات من الجنة.. على رأى محمد هنيدى ده احنا كنا بنحب فى مصر صندل..داهية تأخذ " الولية " التى كبست على نفسى منذ أن كنت فى الثالثة والعشرين من عمرى... رحمك الله يا أبى أنت وأمى.. لماذا ورطتمونى فى تلك الزيجة مبكرا؟... فتاة ريفية مثلى من قرية "بنى عامر" .. كل ما تجيده فى الحياة هو فن توريط الزوج فى الزيجة.. قلت لها مبكرا نحن مازلنا صغارا، وأمامنا العمر ممتد، فلا داعى للإنجاب السريع.. على الأقل حتى نستمتع قليلا أو أنجز رسالة الدكتوراة، أو أن تتحسن أحوالى المادية فنشترى شقة أكبر وسيارة أرقى وهكذا....، ولكنها كأى فتاة محدودة المهارات فقيرة التفكير.. وجدت أنها لا أمان لها إلا بالإنجاب، فأنجبت أحمد فى العام الأول، ثم مضت سنتان لتنجب " بسنت "، ثم عامين أخريين لتنجب فخر الدين على أسم والدها. ولولا أننى هددتها بالطلاق.. لما توقفت عن التأسى بروح الأرانب فى التكاثر ونشر الذرية".

-"ها أنذا أبلغ من العمر الخامسة والأربعين.. وإبنى الكبير يكاد يبلغ العشرين.. ها أنا ذا أبلغ من العمر منتصفه، وإستشعر أننى لم أعش حياتى وتكبلت بكل أنواع القيود مبكرا جدا...، أغلب زملائى أنجزوا الدكتوراة منذ أمد أو أماد بعيدة.. مارست كل أنواع الحيل حتى تتركنى الجامعة حتى هذة السن بلا إنجاز الدراسة التى يحلم باتمامها أى أستاذ جامعى.. نافقت رؤساء العمل وذاكرت لابنائهم وبناتهم.، أعطيت دروسا خصوصية بالمجان لأبناء كبار المسئولين بالمحافظة

والمدينة...، أدعيت المرض حينا، ومرض زوجتى أحيانا.. كل ذلك كى أستطيع أن أعمل مدرسا جامعيا صباحا.. وأستاذ لغة انجليزية لطلاب الثانوية العامة مساء.. حتى أستطيع أن أسد رمق أربعة أفواه تنتظر منى الطعام كل يوم.. فضلا عن مصاريف وجهد رعاية الوالدين، رحمهما الله، فى أواخر العمر...عشت للجميع.. لوالداى.. ثم لأسرتى....زوجتى الكئيبة وأبنائى.. ولكن أين أنا؟.. وماذا حققت لنفسى؟!!.. هل إستمتعت بحياتى؟!!.. معجزة تلك التى ساقت إلى المنحة الجامعية لدراسة الدكتوراة فى هذة السن... هى جامعة منسية أساسا لا يحفل بها أحد.. أحيانا إستشعر أنه كان من الممكن أن أبقى بدون دكتوراة حتى أحيل للمعاش دون أن يتنبه أو يحفل بالأمر أحد"!.

-"جاءت المنحة بعد أن يئست منها مثل يأس أن يسمعك أصحاب القبور.. جاءت لتكسر الثقب الاسود الذى أعيش فيه.. لا شئ ينفذ إليه ويخرج منه..،مثلما هو موجود فى الفضاء،.. حياة رتيبة مملة وإن اثمرت ابناء جيدين، أكبرهم فى كلية الطب بالزقازيق، والثانية فى كلية الصيدلية أما الثالث فلا زال فى الثانوية العامة.. بعض الأصدقاء والزملاء يحسدوننى.. يقولون أننى أنجزت كثيرا فى حياتى.. وكبر أبنائى وتقدموا فى مراحل التعليم... وأنا مازالت شابا نوعا.. بعض هؤلاء لم يتزوج أساسا.. أبتسم مجاملة..وأنا أدرك أنهم لا يدركون أننى مجرد ثور يدور فى ساقية ليس أكثر!. جاءت تلك المنحة بعد أن داهمنى الملل وحاصرنى الضيق.. أو لنقل الاكتئاب.. منذ تخرجى من الجامعة وأنا أحلم بالسفر بالخارج.. المنزل الكبير النظيف ،،، والزوجة الجميلة الرشيقة.،. والحياة الرغدة الهانئة.،، ولكننى بقيت فى الزقازيق.. مجرد أستاذ جامعى.. أو لنكن صرحاء-.. مجرد أستاذ للغة الانجليزية سواء للطلاب الجامعيين أو ما هم دون المستوى الجامعى..، المنزل هو المنزل.. والسيارة 128 فيات نصر هى ذات السيارة.. والقمامة أمام المنزل هى نفس القمامة.. وان كانت متجددة ومتكاثرة دوما"...!!

-"جاءت المنحة لتنتشلنى مما أعانيه صامتا و لتجعلنى أعيد أكتشاف نفسى.. أنا مدحت نبهان الأستاذ الجامعى الذى لم ينجز الدكتوراة حتى سن الخامسة والأربعين..، الرجل الذى لم يغادر مصر ابدا، باستثناء رحلة يتيمة لتونس لحضور مؤتمر أكاديمى، ولم يفارق الزقازيق ذاتها إلا إلى القاهرة لإنجاز أمور إدارية أو لكشف طبيب كل حين.. أو إلى أحد المصايف الشعبية ببلطيم أو رأس البر أو الاسكندرية لمدة 15 يوما كل عام. لم أقرأ كتابا جديدا أو إستمتع بهواية.. أو حتى أدخل فى علاقة نسائية مثلما يفعل كل الرجال..!!! فعلا أنا لم أدخل فى أى علاقة نسائية منذ أن إبتليت بتلك المرأة التى طبقت على مراوحى قبل 22 عاما..!!! أننى حتى لم أحاول ذلك.. هل كان هذا إختيارا أم إجبارا.. هل فعلت ذلك كنوع من التدين والتقوى، أم خوفا من الفضيحة أم حفاظا على الصورة

الذهنية التى تمكنت أن أرسخها عن نفسى فى أذهان المعارف والأقارب والطلاب... المدرس الجامعى الوقور المحترم الكهل الأربعينى الذى لا يصدر عنه العيب ولا تشوبه شائبه؟!!!..

بقدر ما تكون قوة التماسك وطول مدته، بقدر ما تكون سرعة الانهيار فى لحظة معينة. فلم يمض سوى وقت قصير، حتى بات بإمكان من يدخل إلى باحة المقر السكنى لجامعة سيتى أن يطالع الإعلان الآتى ذكره معلقا على لوحة الإعلانات التى يستخدمها الطلاب عادة لبيع وشراء أواستئجار اشياء..!

(مدحت.. طالب دكتوراة.. لا يستطيع العيش بمفرده.. يبحث عن فتاة..يعامل النساء باحترم.. يبدو أصغر سنا.... لو كنت مهتمة رجاء الاتصال على الرقم الداخلى 2022 أو العنوان الالكترونى.....)!!

هذا الاعلان ليس خارجا عن الأدب واللياقة.. اللهم الا إذا كنت ستقرأ تلك السطور بمفهوم الثقافة الشرقية.. أما إذا وضعت نفسك مكان الإنسان الغربى.. فستجده منطقيا تماما.. فالطالب أو الرجل المذكور يبحث عن شريكة حياته.. ليس كى يتزوجها.. ولكن كى تكون " فتاته أو صديقته ".. خلال فترة الدراسة..فأين الخطأ إذن؟!! كان هذا ما تفتق به ذهن مدحت بغية العثور على " الجريل فريند "- أى الصديقة المقربة - الذى سيقضى معها العام بأكمله مثل حلم دوما..!!!

-" سأعيش حياتى كما وددت أن أكون.. يكفى أن تلك "الولية" البدينة حرمتنى من شبابى.. سأعيش سنوات البعثة هنا بالطول أو العرض.. سأعيش لنفسى ولأجل سعادتى..وليكن ما يكون...، كنوع من الأمان سوف أبتعد عن المصريين قدر المستطاع.. الحمد لله لا يوجد فى القسم الذى أدرس به أى مصريين.. ".. سأكفى خيرى وشرى.. ولكننى سأتردد على لقاء ادجوارد رود.... كلما استشعرت حنينا للحديث بالعربية.. أواحتجت شيئا من القنصلية أو المركز الثقافى..". هكذا إذن.. إنطلق العصفور المحبوس فى قفصى الزقازيق والزوجية منذ عقود مرة واحدة.. دفعة واحدة،... يريد أن يغترف من المتعة.. التى كان محروما منها بأكبر قدر ممكن من الشبق.. بلا روية أو تمهل!!!

هل نستطيع أن نخمن أن مدحت طالب الدكتوراة فى الأدب الانجليزى يعيش أزمة منتصف العمر التى تداهم الجنسين فى فترات متقاربة..، فالنساء يتعرضن لها عادة مع التغييرات البيولوجية المعروفة عند إنقطاع الطمث...، أما الرجال فهى تداهمهم عموما وهم فى نهاية الأربعينيات،لاسيما عندما يستشعرون أن شبابهم قد ولى، ولم يعودوا جاذبين للمرأة..، وأن مظاهر الشيخوخة تزحف على أجسادهم كل يوم.. مخلفة آثارها.. فيندفعون عندئذ إلى التورط فى مغامرة عاطفية أو

سلوك غير مقبول...، فقط لإثبات أنهم مازالوا رجالا يستطيعون خوض غمار الحب والعاطفة!!!!.... يقولون إن الأكثر تعرضا لتلك الأزمة هم الرجال الذين لم يعيشوا حيواتهم بالطول أو العرض.. أى كانوا أشد إلتزاما بأكثر مما ينبغى خلال فترات شبابهم.!! لعل مدحت أحدهم.

obeikan.com

(٦) سلوى مفيد

أول ما يتبادر إلى ذهنك عندما تقابل سلوى مفيد هو أنها فتاة ذكية وغير عادية وجادة جدا وطموحه للغاية ، ثم أنها فى غاية الذوق والأدب والتحضر.. هل هذا سلوك طبيعى بحكم التربية أو طبيعة الشخصية أم أنه سلوك اصطناعى مفتعل لكسب الود والصداقة من الجميع؟!! لا يمكن أن نصدر حكما دقيقا خلال تلك المرحلة، ولكن المؤكد أنها فتاة متميزة للغاية تجيد التخطيط للوصول إلى أهدافها ثم تسلك المسالك المناسبة للوصول إليها.

هى فتاة ليبرالية وملتزمة خلقيا . هل هناك تناقض بين أن يكون المرء متفحتا لبيراليا.. وملتزما فى سلوكياته فى آن واحد؟!! الاجابة قطعا لا.. ولكن الناس فى بلادنا تحكم بالمظاهر.. كل شخص يتقمص دور الحكم والقاضى والطبيب..، فيصدر أحكامه بلا رأفة أو إستئناف أو حتى مذكرة إيضاحية.. هى عادة ما ترتدى ملابس عادية.. وأحيانا ملابس عارية.. ولكن هذا لا يعنى أبدا أى سلوك منفلت.. تصادق الشباب وتخرج فى مجموعات معهم.. وهذا لا يعنى حتما أنها تسمح بأن تجاوز العلاقة مع أحدهم حدود العيب.

- " هذة هى فرصة عمرى التى لن أضيعها لسببين أولهما النأى بالذات عن انتقادات أمى والأهل والأقارب بسبب عدم الزواج،.. والقطار الذى سيفوت.. أو فات فعلا.. بعد أن بلغت الثلاثين عاما..وثانيا لجمع المادة العلمية اللازمة لإعداد رسالة الدكتوراة ... عندما سألونى فى المقابلة الشخصية فى المجلس الثقافى البريطانى لماذا ترغبين فى الحصول على ماجستير ثان من لندن بعدما أنجزت الماجستير الأول (إذ أن منحة شيفيننج مخصصة فقط لدراسات الماجستير) أبلغتهم أننى أريد أن أتنوع فى مصادر المعرفة وأن أستقى العلم من الغرب كى أعود لبلادى لدعم قضايا الأقليات وتمكين المرأة وإحترام حقوق الانسان..! هى بالقطع اجابة مثالية أعددتها فى داخلى قبل ولوجى الى قاعة المقابلة الشخصية للحصول على المنحة".!!.

-" حقيقة الأمر، أننى تمكنت من تسجيل الدكتوراة بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية هذا العام.. ولكن البحث العلمى فى مصر متخلف.. نوع من التخلف أو التعذيب الذاق أن تذهب لتبحث عن كتاب بالمكتبة فضلا عن الفقر الذى يحول دون أن تتزود المكتبات تباعا بآخريات الكتب والإنتاج العلمى المتميز.. ربما باستثناء مكتبة الجامعة الأمريكية ومكتبة الأسكندرية.. الحقيقة إن طالب الدراسات العليا فى مصر يعانى الأمرين فعلا فى كل خطوة من خطوات الدراسة.. فضلا عن أن الأساتذة المشرفين هم فى حقيقة الأمر لا يشرفون على شئ.. بل يكتفون بإبداء بعض ملاحظات شكلية هنا وهناك.. دون إضافة حقيقية جادة"...!!

-" من هنا جاءت الفكرة العبقرية أن أتقدم للحصول على منحة ماجستير ثم لاستغل العام فى التنقل بين مكتبات لندن العامرة منها المكتبة البريطانية و مكتبة SOAS أو مكتبة LSE وغيرها لجمع ما يلزم للأساس النظرى للرسالة.. الممتع أن تلك المكتبات ترتبط ببعضها البعض.. فاذا بحثت عن كتاب باحداها ولم تجده بامكانك أن تطلب من ادارة المكتبة أن تستعيره لك من مكتبة أخرى.. إنك حتى لا تحتاج للبحث عن الكتب بنفسك.. يكفى أن تلج الى موقع المكتبة على الانترنت.. لتختار ما يروق لك.. ثم لتبلغهم ميعاد وصولك.. لتجد الكتب بانتظارك هناك.. (يعنى حاجة" أخر دلع ")..

بطبعها ، فان سلوى لا تضيع وقتها مطلقا ، فهى تصر على النجاح بأقصى درجاته.. لا تعرف أو بمعنى أصح لا تحب أن تعرف نصف الإنجاز وخلافه.. مع ذلك، فهى تحرص كل الحرص أن تكون دائما محبوبة.. تحظي بقدر كبير من الشعبية حيثما كانت أو حلت. فى سبيل بلوغ الهدف.. فإن لديها دوما مهمة مستحيلة للتوفيق بين هدفين يتخاصم أو يخصم كلاهما من الاخر.. أن تنشغل بالدراسة والاستذكار عن طريق الإعتكاف مثلما تفعل الدكتورة نادية، وأن تقوم بواجباتها الاجتماعية من مجاملات معتادة مثل التهنئة أو حضور تعازى أو تقديم هدايا عيد الميلاد..أو السؤال عن صحة الأولاد أو الأقارب الى آخره. يقولون عن ذلك المنحى النفسى " الدفء العاطفى "، أى قدرة الفرد على أن يخصم من طاقته ما يكفى للتعبير عن إنفعالات الحب والتأييد والتعاطف والمجاملة مع الآخرين.. وكثيرون يعتقدون أن هذا " الدفء العاطفى "... هو أكسير الحياة التى يكسبها طعما.. فنحن لسنا مجرد آلات أو معدات.. فكل منا يحتاج إلى مشاعر تعاطف أو رثاء أو تأييد.. و المؤكد أن من يتمتع بهذا القدر من الدفء العاطفى.. غالبا ما يكسب رضا المحيطين به وتعاطفهم.. ومن ثم، فإن طريقه للنجاح فى الحياة يصير معبدا لاسيما إن كان بكفاءة سلوى وقوتها النفسية وطموحها، فسلوى تسعى للتدريس الجامعى ولم تقنع يوما

بوظيفتها كباحثة سياسية فى إحدى مراكز البحث الأجنبية!!!.

فى اليوم التالى مباشرة لاجتماع الدراسين الست فى المركز الثقافى، عاودت سلوى الزيارة مرة لأخرى للالتقاء مع المستشار الثقافى والملحق الثقافى، بدعوى الاستفسار عن بعض الأمور الدراسية والادارية، مثل كيفية فتح حساب بنكى.. أو إستئجار سيارة.. الخ. بالطبع لم تكن فى حاجة الى تلك المعلومات، فهى قبل قدومها إلى لندن قامت بالبحث الكاف على الانترنت عن كل تلك التفاصيل، ولكنها كانت تحاول، فضلا عن بناء علاقة خاصة - بالمعنى الايجابى للكلمة - مع المركز الثقافى، أن تشبع رغبة كليهما فى لعب دور الناصح أو الواعظ أو الشهم الذى يمد يد المساعدة إلى الآخرين... فكل منا يحتاج أحيانا أن يتأكد أنه إنسان جيد يستطيع أن يساعد الاخرين ويدعمهم.. ويترك بصمته فى حياتهم.. فى نهاية اللقاء، قامت هبة بتقديم هدايا رمزية بسيطة، عبارة عن حلويات مصرية.. ثم طلبت أن يتم موافاتها بأرقام القنصلية وأسماء القناصل وتليفوناتهم لانها بحاجة إلى إنجاز أمور إدارية أخرى.

نفس الاستراتيجية القائمة على الاقتراب المباشر والودود مع الجميع نهجتها سلوى فى أولى ايام الدراسة بالجامعة.. توجهت مباشرة إلى الدكتور جيمس ديكسون الذى اختارته للاشراف المستقبلى على رسالة الدكتوراة..فى الوقت المحدد للقاء الطلاب.. وقدمت نفسها على أنها طالبة مصرية.. وأنها قرأت كل كتبه ومقالاته البحثية.. ولذا فقط إختارت لندن ثم تلك الجامعة خصيصا لانها تود أن تحصل على شرف إعداد الدراسة مستقبلا تحت إشرافه...

لا يمكن لأغلبنا أن يقاوم تأثير المديح أو تقديم هدايا.. الهدية عادة ما تستحضر الطفل الكائن فى شخصيتنا الذى يفرح أيما فرح بالهدية.. بالفعل، بهدوء و ترو، قامت سلوى بتقديم طبق فضة صغير من خان الخليلى.. قائلة بصوت هادئ وانفعالات محسوبة تتأرجح ما بين الرجاء والخوف.. أنها فى كل الأحوال سواء قبل أو لم يقبل الاشراف على رسالتها للدكتوراة - أى إشراف مشترك مع جامعة القاهرة -، ودت أن تهديه ذلك لأنها - مثلها مثل كثير من زميلاتها بالجامعة - يدينون بالفضل لمقالاته وكتبه فى انجاز مشروعات التخرج إبان الدراسة..لم يكن أمام الدكتور ديكسون سوى أن تلين مقاومته ويوافق على الاشراف على مشروع رسالتها للدكتوراة فور قراءته لمدة عشر دقائق فقط.. فى الحقيقة، سلوى تمكنت من إعداد مشروع جيد للغاية.. يتناغم تمام التناغم مع اهتمامات الدكتور ديكسون ومنهج تفكيره البحثى..

إذن إستطاعت سلوى تأمين علاقة متميزة مع البعثة الدبلوماسية المصرية، ثم الأستاذ الجامعى الذى سيتولى الإشراف على دراستها.. حان الوقت إذن لوضع لبنات الاستقرار.. وتمثلت فى الحصول

على غرفة سكنية بميدان راسل الشهير أيضا.. وشراء دراجة بخارية خفيفة لتوفير ثمن المواصلات الباهظ دوما فى لندن..، فلم يبق أمامها إذن سوى أن تحتفظ بقناة تواصل، بما لا يزيد عن مرة أسبوعيا او شهريا، مع مجموعة المصريين التى التقتها فى المركز الثقافى..، فى اللقاء الاسبوعى المتفق عليه فى شارع أدجوارد رود..

obeikan.com

(٧) .. لقاء إدجوارد رود: التئام المجموعة

مثلما إتفق عليه آنفا، دعا جورج نسيم الملحق الثقافى عبر رسالة الكترونية أعضاء المجموعة.. وكذلك القناصل الثلاثة ياسر عثمان، وهبة زكى، ومحمد عزمى، إلى لقاء على قهوة " على بابا " بإدجوارد رود فى تمام الساعة السادسة والنصف مساء الجمعة فى الأسبوع الأول من أكتوبر 2009 . فهذه هى ساعة إنتهاء العمل والدراسة فى لندن، فيمكن للجميع القدوم فى توقيت واحد.. كما أن الدكتور جورج بخبرته فى لندن يعرف أن المدينة تطبع الناس بطباعها، فمن النادر أن يقوم المرء بمقابلة شخص اخر فى أجازة العطلة الأسبوعية، إلا إذا كانت درجة الصداقة بينهما عالية، كما أنه ليس من المعتاد أن يتقابل الناس فى أيام العمل الاخرى...

كل مدينة بها طاقة معينة(ايجابية وسلبية).. ومهما كانت درجة مقاومتك أو ثباتك النفسى، فإنك بلا شك ستتأثر بها... القاهرة مثلا تضيع جزءا كبيرا من طاقتك فى فوضى المرور..وجدال المساومة والفصال عند الشراء.. والزحام.. والفضول البصرى والسمعى والمعرفى لدى الاخرين.. وتدخلاتهم فى حياتك الشخصية... فى نفس الوقت، فأنها - أى القاهرة - تخفض سقف توقعاتك تباعا، حتى أن أحلامك تتضاءل حتى تبلغ مثلا حد العثور على مكان لإنتظار السيارة أو التمتع بعشاء عن طريق التوصيل للمنزل ، وليس الخروج بكل ما يكتنفه من مصاعب، أو مجرد التقوقع لمشاهدة فيلم.. أو قراءة كتاب..!!

أما لندن، فهى تمنحك طاقة جبارة!!. حاول مرة أن تسير الهوينة فى شوارعها.. وستجد نفسك بعد قليل تتأسى بالآخرين - ومنهم الطاعنون فى السن - فى مشيتهم السريعة وجديتهم فى الذهاب صباحا إلى العمل.. ثم لتتنامى لديك لا شعوريا عدم الرغبة أو القدرة على قبول ضياع الوقت فيما

لا يفيد.. المواصلات سهلة وتستطيع أن تبلغ أى نقطة فى لندن عن طريق شبكات المترو المترابطة فى غضون 30 دقيقة على الأكثر.. من أقصاها إلى أقصاها.. مدينة منظمة وكل شئ بها محسوب بدقة.. هذة الجدية.. مع الجو البارد المنعش.. وليس مثل برد مصر الذى ينخر عظامك.. لا يجعل لك خيارا سوى أن تعمل أو تدرس بجدية.. أو أن تلعب أدورا مختلفة فى الحياة بقدر ما تستطيع.. دون أن تغفل المتعة فى إرتياد المطاعم والمتاحف ودور السينما أو حتى التمشى والتنزه بالحدائق أو الشوارع الفسيحة لمشاهدة البشر والمحلات. هذة المدينة المفعمة بالطاقة لابد أن تشجع على الإنجاز... فمن الصعب فعلا أن تجد فى لندن بصفة خاصة أو بريطانيا بصفة عامة مصريـــا فاشـــلا فى عمله أو دراسته. هذا الحرص على الإنجاز بدوره لا يترك مجالا للمجاملات الاجتماعية أو التآلف مع الاصدقاء إلا فى حدود معينة لا يتجاوزها لقاء أسبوعى واحد على الأكثر. بالنسبة للبريطانيين، فأن الأمر محسوم كلية.. فهذا اللقاء لا يتم إلا فى الحانات حيث يمكن للجميع أن يحتسوا البيرة أو الجعة مثلما يسمونها، أما بالنسبة للمصريين والعرب.. والذين لا يحبذون إرتياد "البارات" سواء لأسباب اجتماعية أو دينية و مالية... فان إدجوارد رود يصير هو الأم الحاضنة أو المأوى.!!

حضر الجميع فى الموعد المحدد تماما بفارق بسيط، ربما خمس أو عشر دقائق، لكى ينفوا عن أنفسهم أى شبهة بعدم التحضر... فالمدينة - أى مدينة - تبهت على سكانها.. وكذلك إحتراما لحضور القناصل الثلاثة.. الذين رغبوا فى الترحيب بهم.. سواء بدافع العمل وحسن معاملة الجالية.. أو حتى كسر حالة الملل وتحقيق التواصل الانسانى المطلوب. إستهل الدكتور جورج نسيم الحديث بتقديم الجميع إلى الجميع.. داعيا الى التخلى عن الرسميات.. وجعل " البساط أحمدى "... فهو بالفعل انسان ودود للغاية، وذكر أنه سيبدأ بنفسه، فطلب شيشة تفاح من أحد العمال المصريين العاملين بالمقهى.. ثم بدأ الاخرون فى طلب مشروعات متنوعة سحلب أو كركدية أو شاى.. الوحيد الذى جرؤ مباشرة على التماشى مع حالة رفع الكلفة هو مدحت نبهان حيث طلب شيشة هو الأخر.. بشرط أن يكون " المعسل " مصرى، لكى يضبط دماغه، وهو ما أثار حالة من الابتسامات الخافتة والضحك الفاتر مما ساعد على كسر الجليد سريعا بين المجتمعين...

سرعان ما بدأ القنصل ياسر عثمان فى إستهلال الحديث العام - فهو أكبر الدبلوماسيين سنا وأقدمهم درجة، فالدبلوماسيون يتم تأطيرهم منذ الصغر على إحترام الأقدميات سواء إفتعلوا ذلك أو فعلوه بحكم العادة -، عن المدينة والحياة الهادئة بها...، وأنها رغم غلائها الفاحش مثلما يبدو.. إلا أنه بعد فترة يمكن للمقيم أن يعرف ماذا يشترى وفى أى توقيت بأسعار تقل بخمسين

أو ستين فى المائة عن السوق. فيمكن مثلا شراء الخضروات والفاكهة من محلات الجملة تيسكو وسانسبرى.. ليلا.. فتنخفض التكلفة بمقدار النصف.. كذلك يمكن شراء ملابس جيدة للغاية من الأسواق الشعبية التى تقام يوم الاحد فى بعض الميادين.. مثل ليفربول مثلا.. بربع الثمن.. وهى ملابس جديدة وليست مستعملة،بل وتساير الموضة. بيد أنه يتم تصنيعها بما يتجاوز الحصة المقررة للانتاج.. أو المحددة للتوزيع فى منطقة معينة، لاعتبارات الجمارك والضرائب وغيرها، ومن ثم، فإنها تباع فى السوق السوداء بأى ثمن. أما لماذا يتم إنتاجها أصلا اذا ما كانت فوق الحصة المقررة؟!!.. فقد شرح القنصل أن أى مصنع يمكن أن يحقق الفائدة القصوى من إقتصاديات التشغيل إن أنتج كما معينا فى وقت معين.. بتكلفة مواد خام وعمالة بشكل معين... الإ أنه قد تعلو الطاقة الانتاجية فجأة بسبب عدم وجود عيوب فى الكم الأكبر من المنتج.. فالانتاج المعيب نسبة لابد ان يتم أخذها فى الحسبان.. وقد يتم التغاضى عن حصة الانتاج مقابل توفير بعض العينات المجانية والتى تتسرب للسوق، فضلا عن حالات الغش التجارى من قبل العاملين أنفسهم وقيامهم ببيع منتجات لحسابهم وهكذا...معنى هذا الكلام.. أنه يمكنك مثلا – هكذا يستطرد القنصل ياسر عثمان - أن تشترى نظارة أو جاكت ماركة عالمية.. بسعر زهيد جدا.. بينما تجد المقابل فى المحلات الكبرى مثل هارودز تباع بعشرة أضعاف الثمن..!!!

أبدى الجميع اندهاشهم.. ثم التقطت القنصل هبة زكى طرف الحديث.. قائلة: " زى ما قال ياسر بيه --- الدبلوماسيون يستخدمون لقبى بيه وهانم عند الحديث مع بعضهم البعض لاسيما أمام الاخرين كنــوع من التوقير والاحترام – فان لندن مدينة عبقرية.. بها مجال للمتعة والاستفادة غير محــدود.. لن أحكى لكم عن كــم الاهتمــام الذى يلقاه ولداى أحمد (عشر سنوات) ومروان (ست سنوات) فى المدارس.. الرعاية الصحية والنظافة والرياضة.. حتى أن ذلك شجعنى على الدراسة بجامعة بيربيك للحصول على دبلوم فى حقوق الانسان.. رغم أنى قنصل وأم وأعيش بمفردى"..

كنوع من المجاملة.. بدأت كلمات الاستحسان تتوالى على أفواه الحضور واحدا بعض الاخر... ثم بدأت أسئلة تستهدف التعبير عن التقدير بأكثر مما هى تسعى للمعرفة من قبيل.. "وحضرتك يا هبة هانم.. كيف تجدين وقتا كافيا لمثل هذا؟"، " حضرتك خريجة الجامعة الأمريكية ولا جامعة القاهرة".. " ما شاء الله.. أكيد الحياة الدبلوماسية للأم صعبة للغاية ربنا يعنيك " الخ!! تمتمت هبة زكى بكلمات إستحسان للاطراء المنهمر دون أن تغفل الإشارة الى المعاونة المستمرة من زميليها العزيزين، فياسر بيه يترأس المجموعة، ومحمد بيه يشاركها المكتب منذ سنوات!!!

obeikan.com

ثم جاء دور القنصل محمد عزمى، الأحدث درجة و أقلهم فى الكلام.. فاكتفى بمقدمة ترحيب مقتضبة.. ثم دلف مباشرة إلى تقديم بعض النصائح الدراسية بشكل أكاديمى ممنهج. لا يمكن أن نؤكد هنا إن كان ذلك مرده طباعه الشخصية كالاخلاص أو الرغبة فى مساعدة الاخرين بشكل تلقائى.. أم أن تلك العملية كانت تعطيه شعورا بالعلوية والتفوق الذهنى على الآخرين من خلال لعب دور الأستاذ أم الأمرين معا..؟!!! المهم بدأ فى التأكيد على ضرورة حسن إختيار المشرف.. فالمشرف هو بمثابة الزوج أو الزوجة لمدة محددة.. ومن ثم فأنه يجب البعد عن صغار المشرفين.. اى الاساتذة الشباب الذين عادة ما يكونوا مصابين بسعار العمل والرغبة فى نيل الشهرة... فيهرعون من مؤتمر إلى آخر.. وينشرون كتابا تلو الاخر.. ومن ثم فلن يكون لديهم وقتا كافيا للاشراف.. كذلك يجب الابتعاد عن المشرفين كبار السن، أى أساطين المادة.. لان هؤلاء عادة ليس لديهم عزيمة كافية للاشراف وتسيطر على تفكيرهم دوما أحكام مسبقة على مختلف القضايا، ومن ثم، فأن العلاقة الإشرافية لن تكون سهلة. والأفضل لإستقامة تلك العلاقة أن تكون إذن مع الأساتذة فى عقدى الاربعينيات والخمسينيات. وكانعكاس لتفكيره المنطقى، أخذ القنصل محمد عزمى فى الانتقال من نقطة لاخرى مثل أهمية جدولة المذاكرة.. وعدم استهلاك الطاقة الدراسية فى غير محلها.. وكذلك الاشتراك فى التجمعات الطلابية للتعرف على الثقافة الغربية.. الخ..

لم يقل شيئا عن نفسه بعد سلسلة النصائح التى كان البعض يتابعها باهتمام والبعض الآخر بفتور... فكان من الطبيعى أن تسأله سلوى مفيد بدافع حرصها الدائم على المجاملة.. عما إذا كان يدرس بدوره... فأجاب بكلمة واحدة " نعم".. وهو ما دلل على عدم رغبته فى الاستطراد فى الحديث عن نفسه أو إعطاء أى تفاصيل أخرى، ربما بدافع الخجل أو الحرص على النأى بنفسه بقدر ما عن الآخرين...

إستطرد القنصل محمد فى استكمال نصائحه، وكأنه قد أعدها فى عقله قبل الحضور ويرغب فى الانتهاء منها، فأسهب فى الحديث عن الفارق بين الماجستير والدكتوراة.. ففى الماجستير، أنت تدرس موضوعا معينا وتتمكن من أدوات البحث العلمى به، أما فى الدكتوراة، فأنت تضيف الى العلم فى نقطة معينة.. ومن ثم، فأن أغلب الطلاب يخطئون عندما يختارون موضوعا شيقا جذابا متعدد الزوايا لدراسة الدكتوراة – أسوة بما فعلوه فى الماجستير-، على الرغم أن المفروض أن تكون زاوية البحث ضيقة محدودة حتى يسهل انجازها فى وقت معين.. كما أنه من الضرورى القيام بدراسة استطلاعية للتأكد من توفر الأدبيات الأكاديمية وامكانيات البحث الميدانى. عندما إنتهى من إلقاء ما بجعبته، لاذ فوراً إلى صمته وعزوفه عن الافراط فى الحديث، وكأنه كان يقدم خدمة

تعليمية و نصائح قنصلية للمواطنين.. حاولت سلوى ونادية فتح عدة موضوعات للحديث معه، أو إستدرار تعليقات أو أراء منه، فاكتفى بكلمات قليلة موجزة دون استطراد.. أما سها - فشأنها مثل رجال المجموعة- لم تلق له بالا على الاطلاق.. وكأنها لم تستحسن وجوده منذ البداية.!

ثمة دراسات ذات صلة بعلم النفس تصنف الناس وفقا لقدراتهم على الحوار والتجاذب مع الاخرين، فهناك نوع من البشر يستمد طاقته الذاتية – ومن ثم حيويته وسعادته وقدرته على العطاء – من خلال الحديث الطويل والممتد مع الآخرين بكل ما يحمله ذلك الحوار من مؤثرات سلبية أو ايجابية أو ينضح به من عواطف ومشاعر.... أما النوع الثانى، فأن طاقته الذاتية تتولد من خلال صمته..، وعلى العكس من النوع الاول مثلما هو متوقع، يفقد هذا الصنف من البشر طاقته بشكل تدريجى من خلال الحوار والحديث.. ومن ثم، فأنهم يبدون أكثر حرصا على الاقلال من الكلام والجدال. وعلى ما يبدو أن القنصل محمد عزمى هو من هذا النوع من البشر الذى يمتاز عمله فى النواحى التى تتطلب أعمال الذهن والعقل والإبداع والتفكير.. بينما لا يطيق الأعمال التى تتطلب احتكاكا بالبشر بفئاتهم المختلفة..!

استمر النقاش بعد ذلك فى مواضيع عديدة بمشاركات متنوعة بلا هدف محدد.. وبدا خلاله أن الكل قد حرص على الاسهام به بشكل أو باخر.. كل شخص حرص على أن يعرف نفسه من خلال ما يقوله، إتساقا مع قاعدة (تحدث حتى أراك) سواء باختيار الموضوع..، أو بطريقة الكلام ونبرة الصوت..، كل شخص كان حريص على أن يختار المسافة المثلى التى يجب أن يتوقف عندها مرحليا فى بناء شبكة العلاقات الجديدة.. موضوعات شتى تناولها الحديث بدءا من الحياة فى لندن، والمدن الجامعية..، وطريقة الدراسة، وبعض الأمور فى مصر بتحفظ، أخذا فى الإعتبار أن القناصل هم ممثلون للدولة المصرية.. وهناك إنطباع خاطئ تماما لدى المصريين المغتربين بأن القناصل يهتمون برصد إهتمامات المصريين وبالخارج وإنتماءاتهم السياسية والفكرية وإبلاغها للقاهرة.. كعادته حرص مدحت نبهان على أن يطغى بشخصيته على الحوار..، فهو الأكبر سنا فى المجموعة بأسرها.. قائلا :.. " يعنى هو السكن معقول فى المدينة الجامعية.. لكن المشكلة أن الجدار الفاصل بين غرفتى والغرفة المجاورة رقيقا للغاية..، وهو ما يجعلنى وجارى نستمع إلى بعضنا البعض بشكل متواصل..حتى عندما يضئ أحدنا " الأباجورة "... على كده... لو مؤاخذة يعنى...لو جاءت المدام لزيارتى... الواحد لن يستطيع أن يمارس حياته الطبيعية المعتادة".

.. تباينت ردود الفعل.. فسها لم تغير ملامح وجهها وإن بدا عليها امتعاضا مما اعتبرته سلوكا غير لائق، بينما جاملت كل من نادية وسلوى الرجل بابتسامات خجولة نوعا.. أما الباقون فقد

Obeikan.com

تعمدوا إفتعال الضحك... حتى لا يحرج الرجل..!!

فى نهاية اللقاء.. أبدى القنصل ياسر عثمان إستعدادا غير جاد لدفع التكلفة.. فتعالت همهمات واعتراضات، ثم استقر الأمر على أن يدفع كل فرد حسابه.. فالمدينة باهظة التكلفة.. ولا مجال فيها للمجاملات الشخصية بأكثر مما ينبغى. لتنفض بذلك أولى لقاءات إدرجوار رود.. بانطباعات مختلفة ومتباينة بين مجموعة الرسميين (الملحق الثقافى وأعضاء القنصلية.) ومجموعة الدارسين على إختلاف مشاربهم وتنوع مآربهم..عموما لم يكن هناك هدف سوى التعارف وكسر حدة الاغتراب.. عن طريق التواصل – بدرجة ود محسوب واقتراب محدد – يحرص كل منهم على تحقيقه حيال الأخر.. وهكذا..

عقب إنفضاض اللقاء ، إستقلت كل من سها ونادية وسلوى الحافلة رقم 16 التى تربط بين الشارع ومحطة فيكتوريا الشهيرة.. والتى هى منطلق كثير من الحافلات وخطوط المترو إلى كل انحاء لندن. فعادة ما يفضل الوافد الجديد للندن تكرار ما إعتاده مرحليا – أى ما فعله فى أولى ايام التواجد – إلى أن يستطيع إستيعاب نظم الدفع وأفضل الطرق واقصرها.. وكيفية الربط والتنويع بين إستخدام المترو وخطوط الحافلات وهكذا...!!

نادية : بجد يا جماعة كان لقاء ممتعا...مجموعة السفارة لطيفة جدا.. ياسر عثمان..لطيف جدا ومتحدث لبق.. وجورج نسيم كذلك ودود..يكفى أنه جاء بكرسيه المتحرك

سلوى : أيوة طبعا.. كمان القنصل محمد يبدو هادئا ومثقفا، ولكنه قليل الكلام.

سها :.. بس يا جماعة بصراحة كده.... إيه النفخة الكذابة اللى عايشين فيها الجماعة دول.. يعنى ياسر بيه.. وهبة هانم.. وحضرتك وسيادتك.. ايه ده؟!! عايشين الدور قوى...بيفكرونى بفيلم فؤاد المهندس اللى كان بيغنى فيه أنا واد خطير.... كمان إيه هبة هانم دى؟!!.. عاملة " فول ميك اب – مكياج كامل – ومسدلة شعرها مثل جاكين كيندى.. وبتتقمص دورها.. ولا بلاش أظلم.. يمكن هى طبعها كده.

نادية.. كمان المجموعة الثانية معقولة... محمود كذلك يبدو طيبا.. وأحمد شكله مش راكز شوية.... أما مدحت فهو بصراحة " بيئة قوى ".. ايه ده؟ هل هناك أحد يتحدث عن حياته الطبيعية أمام ناس يلتقيهم لأول مرة...

سلوى : معلش يمكن كان يقصد التهريج وتحقيق التألف..

سها : بصراحة أنا شايفة أن الوحيد المهضوم فيهم ياسر عثمان.. القنصل محمد يبدو عليه أنه متحفظ.. ربما يكون خجولا أو لديه عقده إستعلاء.. يعنى مش مريح بالنسبة لى...، محمود

obeikan.com

يبدو معتدا بنفسه حبتين...، أحمد عيناه زائغتان لم يترك شيئا بنا نحن الثلاثة دون النظر اليه.. أما مدحت ده واللى زيه مفروض ألا يحضروا أساسا إلى مدينة متحضرة مثل لندن..!!

فى ذات الحين، كان كل من محمود وأحمد ومدحت يعود إلى حال سبيله منفردا

محمود كان يفكر..ويقيم الحضور... " لم أستلطف كثيرا القنصل ياسر عثمان.. لا أعرف لماذا.. القنصل هبة تبدو إنسانة مكافحة.. ألا يكفى أنها تعمل وتدرس وتربى طفلين.. هى سيدة جديدة بالاحترام.. وان كان لديها حب ظهور وبعض الاصطناع فى الحديث...، القنصل محمد.. لا استطيع تقييمه فهو قليل الكلام.. ويبدو أنه حريص على عدم تطوير العلاقة بينه وبين أى شخص قدر المستطاع... طبعا هو قنصل ويخشى على نفسه من سيل الطلبات والتوصيات وخلافه... سها تبدو جميلة بالفعل ولكنها مغرورة متعالية لم تنزل ساقها المرفوعة فوق أخرى خلال اللقاء وبدت أنها متحفظة فى كل شئ.. فهى لم تبتسم أو تبد اهتماما إلا بالقنصل ياسر عثمان...، نادية تبدو انسانة جادة..،أما سلوى.. فهى فى النقطة المثلى فى المسافة ما بين سلوى ونادية..والباقون ليسوا سيئيين!!!

أحمد مشتهر...بدوره كان يجرى تقييما للموقف ويحدث نفسه قائلا : " القاعدة الذهبية.. التى يجب ألا أنساها.. "لا تخرج فضلاتك فى المكان الذى تأكل فيه"... لا داعى لأى علاقة مع أى مصرية.. خاصة إن كانت تدرس.. يعنى ممكن يصيبها الخلل الذهنى فى أى وقت، فتذهب إلى المكتب الثقافى أو القنصلية وتفضحنى... القناصل كلهم شكل واحد وطريقة واحدة فى الكلام وان اختلفت النغمات.. عموما لا داعى للاقتراب بأكثر مما ينبغى.. هى ساعة واحدة فى الأسبوع للقاء.. ما دون ذلك هو للدراسة... وممارسة نشاطاتى المعتادة فى إكتشاف أجناس البشر.. يعنى مش معقولة أكون فى لندن.. وسط خيرات الدنيا كلها.. وأرتبط بمصرية"!!

مدحت نبهان فى طريقة للعودة.. لم يغفل أن يتمشى قليلا مثلما إعتاد أن يفعل مساء كل يوم على كورنيش مدينة الزقازيق أمام مبنى المحافظة.. أخذا فى تأمـــل الناس والمحلات وسلوكيات البشر... " المجموعة مش بطالة.. معقولة... سها أحلى الموجودين.. ولكنها صعبة المراس...، نادية تبدو طيبية جادة..، سلوى طفلة كبيرة.. يا الله.. كم كبرت يا مدحت؟!!.. القناصل بذلوا جهدهم أن يكونوا لطفاء.. ولكن لماذا شعرت أنهم يتشبهون بمن يصطنع التواضع مع الآخرين؟!!.. يعنى هم لديهم قناعة بالاستعلاء على الآخرين من بنى جلدتهم.. ثم يتواضعون للحديث معهم كمن يفعل عملا خيريا!!! احدى قصص احسان عبد القدوس - ترى ما اسمها؟!! نسيت - تحدثت عن القوة النفسية التى يستشعرها من يقومون بعمل خيرى من خلال الإثبات لأنفسهم أنهم الطرف الأقوى او الأفضل... لم يرق لى أى منهم خاصة القنصل محمد عزمى.. يبدو إنسانا سخيفا فهو الوحيد

obeikan.com

الذى لم يضحك عندما ذكرت طرفة " الحياة الطبيعية " ويود أن يلعب دور الأستاذ الجامعى. ما علينا لن إنشغل بأى منهم.. يكفى الدراسة ومتاعبها بعد أن بلغت من الكبر عتيا.. ويكفى المرأة "الحيزبون" التى تطاردنى يوميا من الزقازيق عبر اتصالات اسكايب... لن أركز مع أى من هؤلاء، وسوف أبحث عن ضالتى فى المدينة الجامعية.. اليوم دخلت على بعض المواقع المخصصة للتعارف على الانترنت ولقيت عشرات الفتيات والسيدات الراغبات فى التعارف..، وأغلبهن يتوقعن إفطارا على السرير فى اليوم التالى للقاء الأول مباشرة....هناك حفلات تنظم بصفة أسبوعية للراغبين والراغبات فى العثور على شريك حياة... يعنى الدنيا ربيع و الجو بديع.. وقفلى على كل المواضيع على رأى سعاد حسنى... والباب اللى يجيلك منه الريح سده وإستريح... وبلاش قرف المصريين وبلاويهم.."!!.

obeikan.com

الفصل الثانى

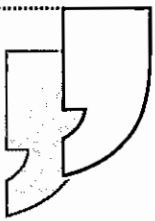

إفتقاد المفقود

obeikan.com

(١) محمود عز الدين

- " هو يعنى أنا كنت عاوز بنات فى القسم ليه؟!!.. هكذا أخذ محمود يحاول ترضية نفسه وتهدئتها بعد حالة الاحباط الذى انتابته بعدما إكتشف - لصدمته - أن القسم الذى يدرس به المواد التمهيدية للدكتوراة يكاد يخلو من أى فتاة جميلة.. حتى أنه إعتبر أن زميله الاسكتلندي هو الوحيد الذى يفوقه هو شخصيا كأجمل الطلاب والطالبات على حد سواء...!!

-" الزنى او أى علاقة جنسية هى بالنسبة لى أمر غير وارد تماما... لن أجرؤ عليه مهما كانت التكلفة النفسية أو الجسدية....،حتى لو كان قد تأخر بى سن الزواج.، حتى لو لم أتزوج مطلقا... أنا أعرف نفسى... سأنهار داخليا ومعنويا لو فعلتها مرة واحد.. ربنا نفسه فى سورة الفرقان قال ما معناه " من يفعل ذلك يلق اثاما".... وجعل الزنى فى المرتبة التالية لقتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق، لن أستطيع أن أصلى ثانية خجلا من الله لو فعلتها!! "

-" يعنى (برضه) كانت الدراسة ستصبح أكثر طراوة لو كانت هناك زميلات جميلات.. يعنى مجرد روشنة وخروج وما شابه.. مجرد صداقة بريئة...، لا تصلح أى من المصريات سها ونادية وسلوى لذلك..، مش عاوزين عقد.. وكمان كما اعتدت..، هى "خروجه" مرة او اثنين.. وتبدأ الأسطوانة المشروخة.." طب وبعدين يا محمود....، أنا أهلى بيضغطوا على.. وهناك شخص " ميتعيبش " متقدم وأنا مش ملك نفسى... الخ".. المصريات لا يدركن من العلاقة بين الرجل والمرأة الا بعدها الجسدى... شئ غريب... هناك درجات للعلاقة منها الزمالة والصداقة والأخوة.. ولكن لأننا مجتمع مأزوم سياسيا وماديا ومجتمعيا ونفسيا.. لذا، فإن الزواج – أو لنقلها بصراحة الجنس – يظل هو الشاغل الوحيد للجميع.. عموما لا داعى للضيق من زميلات الدراسة القبيحات.. سوف يساعدنى هذا على التركيز أكثر. أما بالنسبة للعثور على صديقة...، يعنى أقصد مجموعة الصديقات.. ممكن أن أعثر عليهم فى السكن الطلابى .. أو أن اشترك فى بعض الأنشطة عن طريق

ارتياد صالة الألعاب أو حضور الحفلات والأنشطة الفنية، وهكذا"..

مثلما ذكرنا آنفا، فإن محمود يميل كثيرا الى التدين.. ليس بالشكل المتزمت المعروف.. ولكنه بالقدر الذى ينعكس جليا على حسن الخلق.. ليس قديسا بالقطع..، ولكنه يعرف الله كثيرا.. فى أوقات السراء والضراء.. وما بينهما..، فهو يقرأ يوميا جزءا من القرآن الكريم..، يتبعه قراءة سورة يس عدة مرات..، فسورة يس لما قرأت الله.. ويصلى بانتظام.. ويقوم بواجباته كالزكاة والصداقة عن طيب خاطر... بشكل روتينى ودورى... ما هى المشكلة إذن...؟.. لعلها أن محمود يدرك أنه إنسان يتحدى الطبيعة من خلال المحافظة على عذريته.. هذا لا يمنع أنه مثل أى شاب، إذا إفترضنا أن من جاوز الثامنة والثلاثين مازال شابا، يريد أن " يروشن قليلا".. طالما ظل فى الحدود الأمنة...!

الدراسة لم تكن يوما مشكلة لمحمود.. فهو دائما كطالب وموظف مجتهد للغاية. بهدوء إستطاع أن يحدد بدقة من أين يؤكل الكتف.. أمسك كل مادة... وحدد فى كل منها أهم وأفضل ما يمكن قراءته.. وعلى مدار أسبوعين.. تمكن من تصوير كل ما يمكن أن يحتاج إليه فى دراسته ....، ثم باقتدار وخبرة من جاوز منتصف الثلاثينيات.. تمكن من تحديد " اللحوم " - على حد تعبير الأكاديميين - فى كل مقالة بحثية أو كتاب يتعين عليه قراءته... فور تحديد " اللحوم " بدقة فى كل شئ.. بدأت مرحلة الاستذكار بالتلوين..،أى أن يقسم " اللحوم " ذاتها الى أنواع ومستويات وفقا لمستوى الأهمية أو الجدة...، فاللون الأصفر.. هو لتحديد مساحة " اللحوم " بأسرها فى كل مقالة أو فصل من كتاب..، ثم يتم اضافة اللون الأزرق أو اللبنى الخفيف على المستوى الثانى من الأهمية - فهناك دوما مقاطع أكثر أهمية من مقاطع أخرى مثل المقدمة والخاتمة والنتائج والعناوين الفرعية، وفى المرحلة الأخيرة يتم إضافة اللون الأحمر.. كاطار محدد لما يتعين استذكاره بدقة متناهية توطئة لاستخدامه فى أكثر من جزء...أيضا بفارق الخبرة، إعتاد محمود على سرعة القراءة... باعتماد الزاوية المائلة بخمس وأربعين درجة.. فيقرأ المقدمة.. ثم يميل مباشرة إلى الخاتمة.. ثم يكتفى بشذرات هنا وهناك حول العناوين الفرعية...وفقا لزواية الميل المشار اليها... تلى ذلك..، أيضا مرحلة " التقسيم ".. إذ يقوم بتحديد المواد والفقرات المناسبة لكل فصل من فصول الدكتوراة..، وهكذا...

المهم، مضت أسابيع وشهور..، ومحمود يسير سيرا طيبا فى الدراسة.. فهو بطبعه ومنذ صغره.. لا يجيد شيئا قدر الدراسة... حتى أن والده كان يستحثه أحيانا أن يتوقف عن الاستذكار..ليشاهد التلفاز أو غير ذلك...

كانت الصديقة الأولى التى تعرف عليها فى محاضرات مادة البحث العلمى - وهى مادة

سخيفة للغاية خاصة لمن لم يعتد فى صغره على إجراء البحوث...ويحتاجها الطلاب كافة باختلاف تخصصاتهم - هى إيمليا البولندية... جميلة ومنطلقة وتدرس التاريخ الدولى.. ومثقفة ثقافة رفيعة، وهذا هو المهم.. فمحمود دوما يحتاج إلى مستوى ثقافى معين حتى يستشعر راحة واستمتاعا فى التواصل الإنسانى. دعاها إلى الغذاء ذات مرة بمطعم الجامعة، فرحبت كثيرا.. وحكت له كثيرا عن أسرتها... موضحة أنها الان عازبة، وإنه كان لديها " بوى فريند " - دبلوماسى أمريكى - تركها بمجرد أن تم نقله من لندن إلى العاصمة واشنطن.. فمرت بأزمة نفسية.. حكت له عن أبويها المتقاعدين.. الذين عايشوا حقبة الحرب الباردة بكل ما فيها من مشكلات، جعلتها المبالغات والدعاية.. نوعا من المأسى المتخيلة... وعن قطتها الودودة..ثم أظهرت صورا للعائلة ولها وهى صغيرة...!! هذا الفعل بالذات - أى إظهار الصور الشخصية - فى المفهوم الغربى، هو دليل على الشعور بالود والرغبة فى إستمرار الصداقة وتنميتها.

بدوره، حدثها محمود عن حياته.. فى مصر... الروتين اليومى..العمل والقراءة والذهاب إلى شرم الشيخ وبعض الرياضة ولقاء أصدقاء... أوضح لها أنه على عكس الكثير من المصريين لا يعانى مشكلة مادية.. ولكنه ما عاد يستطيع العيش فى بلد غدت تغرق مثل السفينة تيتانيك.. بسبب الوضع السياسى المتأزم..،كما أنه بات يستشعر اغترابا عن المجتمع الذى يشهد سلوكيات جديدة لم يألفها... منذ صغره...!! فى ختام اللقاء.. وعلى الأسلوب الغربى.. تبادلا القبلات..مع إحتضان خفيف.. على وعد باللقاء الجمعة القادمة...

فى الميعاد المقرر، إتصل محمود باميلا على هاتفها الشخصى.. داعيا إياها للخروج للتنزه فى حديقة الهايد بارك.. فرحبت كثيرا... أبلغته أنها ستتواجد صباحا فى الحديقة للاستذكار من الساعة العاشرة حتى الثانية ظهرا.. وأنه يمكن أن يلحق بها بعد ذلك الموعد للتمشى والتجول داخل الحديقة. وصل محمود.. فى حوالى الساعة الواحدة والنصف.. فلم تبد ايميليا أى ترحيب به..وأربد وجهها وزمت شفتيها.. قائله إنه مازال أمامها نصف ساعة للقراءة.. أمتثل محمود بالطبع.. فهو يعرف الآن بالضرورة... محددات الثقافة الغربية.. الساعة اثنين.. تعنى الساعة اثنين بالضبط... أنتظر حتى حان الموعد.. فاستقبلته بترحاب.. وسارا معا حتى البحيرة الرائعة التى تتوسط الحديقة.. وطفقا يطعمان البط والأوز فى سعادة...تكرر الموقف بذات السيناريو عدة مرات فى الأسابيع التالية.

ذات مرة... بدت ايميليا أكثر جدية عن المرات السابقة... ودعته هى إلى تناول الطعام فى مطعم " بيتزا اكسبريس"... ولمح محمود فى عينيها رغبة فى كلام جاد لا تعرف من أين تستهله.. تبدى أن

إميليا متوترة.. قليلا... واستهلت الحوار بصوت متحشرج مع نظرات ثاقبة تجاهه.

- قل لى يا محمود... لماذا تتصل بى بصفة دورية؟

-ماذا حدث يا اميليا... نحن نخرج ونتنزه سويا..!!.

صحيح.. ولماذا أنا بالذات التى ترغب فى الخروج معها؟

- نحن أصدقاء... وأنا أستمتع كثيرا بتلك الصداقة

- عظيم... وما هو مفهومك للصداقة؟..

-ايمليا.. ماذا حدث تحديدا؟.. يبدو أنك مستاءة من شئ ما.!

- (بلهجة آمرة) " قل لى ما هو تعريفك للصداقة بين الرجل والمرأة "؟

- نحن أصدقاء.. تجمعنا إهتمامات مشتركة.. نتشارك الهموم والأمال.. ونستمتع بمناقشاتنا الفكرية!

- ثم ماذا بعد.. أعنى ماذا ستصير إليه الأمور فيما بعد؟

- (أنزعج محمود وانعكس التوتر فى وجهه)...لا شئ... ايمليا.. نحن لم نتفق على إرتباط أو زواج.

-أنا لم أتفوه بكلمة واحدة عن الزواج...حقيقة....لقد أرهقت أعصابى.. كل أسبوع نخرج سويا.. دون أن أفهم ماذا تريد تحديدا؟!... قل لى هل أنت مستمتع بهذا المستوى من العلاقة...؟!!

-بالقطع.. والا لما خرجنا سويا... لا أفهم ماذا تريدين تحديدا؟!!!

- (قطبت جبينها ونظرت إليه شذرا... كمن يهم أن يصفع شخصا) " إذا كنت لا تفهم.. وأنت فى هذا السن، فإمكانك أن تسأل أحدا من أصدقائك الرجال".. ثم همت بالرحيل..

-(أمسك بيدها لاستبقائها) ايمليا.. أرجوك انتظرى...

- محمود.. حقيقة الأمر.. لا أفهم ماذا تريد من تلك العلاقة بيننا.. لقد استضفتك على عشاء فى منزلى قبل أيام ثم غادرت.. فماذا....(كلمة نابية) تريد إذن..؟؟!!

- (أحمر وجه محمود وطرطقت أذناه... قائلا بصوت متهدج).. " ايمليا.. أنا لدى خطوط حمراء فى أى علاقة مع فتاة مثلك"..

- ماذا تعنى... تحديدا؟؟؟.. كما أننى لست بفتاة... أنا سيدة.. لو كنت مهتما..

- أنا لا يمكننى إقامة علاقة خاصة مع أى امرأة خارج إطار الزواج...

-ماذا تقصد بتعبير " علاقة خاصة"..؟!!

- أنا لا يمكننى ممارسة الجنس.. دون إطار الزواج الرسمى...

- (عندئذ.. بدا أن إيمليا على وجه الإنفجار.. وكأن الدخان يتطاير من أذنيها وفمها)...

" لماذا (كلمة نابية) هذا الغباء والتعنت؟!!.. أنا أستطيع أن أمارس الجنس دون زواج.... ثم لماذا تقوم إذن بالاتصال لى للخروج سويا إذا كان هذا مقصدك؟.. ولماذا لا تتركنى وشأنى وتبحث لك عن صديقة كاثوليكية "؟!!!..

- (أربد وجه محمود تماما) هل تريدينى ألا أتصل بك مجددا؟؟!!

- سيكون من الأفضل ذلك... إذا رغبت أنا فى الاتصال بك.. فسأفعل.. حتى هذا الحين.. يجب أن تتركنى وشأنى حتى أحدد إن كان من الممكن الاستمرار هكذا من عدمه.... حسنا أنا ذاهبة الان....

بحركة عصبية.. التقطت حقيبتها... ودفعت الفاتورة بشئ من الضجر...وكأنها تريد أن تكون هذة المرة خاتمة لقاءاتهما.. ثم غادرت دون أن تنبس بكلمة واحدة لتحية محمود الذى بقى جالسا على المنضدة من فرط الدهشة.. غارقا فى بحر من العرق!!!

obeikan.com

(٢) سها النجاد

كل شئ يسير كما توقعت... جدية وإجتهاد مقابلها إرتفاع سقف المسئوليات والطموحات... تمكنت بفضل خبرتها وتاريخها الائتمانى أن تبدأ فى إجراءات تملك شقة فى لندن تقوم بتسديد ثمنها على 25 عاما وفقا للنظام المعمول به للرهن العقارى أو ما يسميه المصريون بلندن (المورجتيج).. لم تضع سها وقتها.. لها عدة أرصده بالبنوك الأجنبية فى أوروبا ومدخرات من عملها فى مصر.. فأجرت بحثا على الانترنت سريعا.. ووجدت شقة فى ادجواررود عبارة عن غرفة وصالة بعقار "بورت سيى هوول" الذى يتوسط الشارع نفسه.، فوجدتها مناسبة. فور انتهاء اجراءات التسجيل يمكنها أن البدء فى تأجير الشقة لكى تسدد ثمنها من عوائد التأجير.. أكتشفت أن الكثير من المصريين و العرب، لديهم شقق بهذا الشارع وكلهم يستخدمونها أما للتأجير، أو لابعاد أموالهم عن مصر أو لاى سبب آخر...!

مرت الأيام بعد ذلك بهدوء.. كل شئ جميل ومنظم فى المدينة... والدراسة تسير سيرا حسنا.. فضلا عن ذلك، فهى تجيد اللغة ولديها خبرة سنوات طويلة من العمل تمكنها من التميز عند إعداد الأوراق البحثية وغيرها..وان كانت ما فتئت تعزف عن الإنخراط فى مناقشات الدرس. هى تشترى أفضل الثياب وترتاد أغلى المطاعم...، فلماذا إذن يخالجها ما بين الفينة والأخرى بعض الضيق؟!!... هل هو تأثير الوحدة؟؟ بالطبع لا... لأن وحدتها فى مصر كانت أشد وأقصى..فغريب فى الغربة أفضل من غريب بالوطن!!. هل هذا بسبب المناخ؟. ربما فإن عدم سطوع الشمس والبرد لفترات طويلة يمكن أن يصيب ببعض الاكتئاب. ولكن يبدو أن هناك شيئا أخرا لا تدرى ما كنهه!!!!

هل ذلك لأنه لا يوجد لها أصدقاء؟... ربما يكون ذلك صحيحا.. ولكن لديها تجمع ادجوار رود المكون من الدراسين وأعضاء البعثة الدبلوماسية... وهو تجمع معقول جدا... فضلا عن ذلك، الكل لطيف معها فى حدود الدراسة ، ثم ينصرف كل إلى حال سبيله.على الأقل لا أحد ينتهك خصوصيتها مثلما كان يحدث فى مصر.. تذكر أنها ذهبت مرة إلى طبيب أسنان بالقاهرة، فسألها

@ beikan.com

لماذا لم تتزوج حتى الان؟ فلم ترد وإكتفت بابتسامة.. فعاود السؤال " هم الرجالة عميوا "؟!!... فاكتفت بالصمت لعله يرتدع ويفهم أنه لا يحق له أو لغيره أن يتدخل فى شئونها الخاصة... إلا أن الرجل فهم الرسالة خطأ.. فسألها عن سنها وعن الانجاب وضرورة الاسراع..ک...الخ. وهنا لم تحتمل فانفجرت فيه صارخة وتركت العيادة وإنصرفت.!!!!.. لا لا بالتأكيد الناس هنا أفضل... على الأقل كل واحد فى حاله ولا يتطرق فضوله الى ما لا يعنيه بشكل مباشر... ولكن مرة أخرى لماذا عدم الاهتمام بها هنا؟....هل لأنها أجنبية؟؟... هذا غير صحيح... لأن الجامعة مليئة بطلاب وطالبات أجانب... نعم بالتأكيد هناك حالة من عدم الاهتمام بها كشخص...... ولكنها شئ متوقع.. هى فى مصر جميلة وسط متوسطى الجمال أو من هن دون المتوسط... ومن ثم، فإنه من الطبيعى أن تكون دوما محطا لأنظار الجميع.. ولكنها هنا فى لندن جميلة وسط الجميلات.. فهى عادية جدا... هل هذا السبب....؟

ربما... ولكن المؤكد أن سرعة الحياة وإيقاعها الرتيب فى آن واحد هو السبب..؟!.. لا لا يمكن أن تستسلم الى تلك الحالة.. لابد أن أحدا لا يصادقها لأنها فقط مختلفة فى الملبس والسلوك... هى ترتدى نفس الملابس التى كانت ترتديها فى مصر... كما لا ترتاد البارات... إذن لابد من التغيير... وهذا بالقطع لا يتناقض مع الدين – هكذا حدثت سها نفسها - إذ أن الملابس ترتبط دوما بالثقافة المحيطة.. يعنى إذا كنت فى روما يجب أن تسلك سلوك أهلها... الملابس المحتشمة فى مصر ضرورة إجتماعية قبل أن تكون دينية لتقليل حدة التحرشات قدر المستطاع، فما الداعى إذن لها هنا فى لندن.. يمكنها أن ترتدى "شورت" أو ملابس كاشفة.. لا داعى البتة لتأنيب الضمير...ثم لماذا هذا التأنيب؟ هل هى المسئولة عن تصنيع هذة الملابس؟ هل هى التى جعلتها موضة ووضعتها فى المحلات الكبرى؟ ثم ما كل هذا التعنت والهوس بملابس المرأة؟!!.. أنها للاسف مازالت تفكر بأسلوب شرقى متخلف..هى فى النهاية بنت ولابد أن ترتدى ما ترتديه الآخريات...

بالفعل بدأت سها بشكل تدريجى فى إرتداء "الشورت" الطويل نوعا الذى يغطى الركبة.. وبمرور الوقت إزداد الاعتياد وإرتفع الشورت ليتحول من القصير إلى القصير جدا أو ما درج على تسميته " الهوت شورت " .... وإسترعى الامر انتباه الزملاء الذين داعبوها على ذلك مبدين إستحسانهم لجمال ساقيها!. ثم كثفت سها سعيها الحثيث للتأقلم، فبدأت فى حضور دروس الرقص بالجامعة، خاصة الصالصا والتانجو، لتندمج أكثر وأكثر مع زملائها وزميلاتها الذين بدأوا – بدورهم - بالفعل فى دعوتها للخروج معهم وقضاء عطلات نهاية الاسبوع. ضايقها فى البداية أنه خلال رقصة التانجو يتلاصق جسدا الراقص والراقصة فى بعض الأحيان بأكثر مما ينبغى..... حقيقة الأمر - هكذا

obeikan.com

أقنعت نفسها -أنه لن يمكنها تعلم الرقصة الشهيرة وإتقانها الا إذا التزمت تمام الالتزام بقواعدها.. هذا شئ بديهى للغاية.. ثم هل هى احضتنت رجلا بشكل متعمد؟؟ بالطبع لا.. هو مجرد إحتضان وفقا لما تستوجبه قواعد الرقصة فهذا إذن يغدو فى حكم " الضرورة "؟!!.. أما ما أزعجها حقا – فى تلك الرقصة – أن الرجل عادة هو الذى يقود المرأة فى حركة الجسم وخطوات الأقدام..هى بطبعها التى تقود وتقرر وتفرض إرادتها على الرجال.. سواء أولئك المبهورين دوما بجمالها.. أو هؤلاء الذين يقدرون كفاءتها الشديدة فى العمل وقدرتها على إنجاز الأمور فى وقتها ووضع السياسات البنكية لاى فرع جديد لفترات طويلة...

عموما، ما يعنينا هنا هو أن سها وضعت لنفسها حدودا للتغيير – فى إطار عملية التأقلم - لا يمكن تجاوزها... فهى أن غيرت ملابسها جذريا..فلن تغير سلوكها بذات الطريقة... إن كانت ترتاد البارات من أجل " التكيف الاجتماعى " أو ما يعرف " بالسوشيليزنج "، فهى لن ترشف رشفة واحدة من الخمر . إذا كانت قبلات التحية هى العرف السائد فلا مناص منها، ولكنها لن تقبل أن يضع أحد يده عليها دون مبرر.. ولن تفعل ذلك الا مع الغربيين مثلما تقضى عاداتهم... ليس هذا فحسب، بل ستعمل جاهدة ألا تحتضن أحدا، مثلما يحدث فى حفلات التوديع - طبعا فى حدود المستطاع.

غاية الأمر، أنها لن تقبل أبدا البقاء فى سجن التخلف الذى نشأت فيه فى مصر، وعايشته طوال عمرها البالغ ثلاثة وثلاثين عاما، والذى بمقتضاه سار الادراك العام ينظر للأنثى على أنها أداة جنسية أو مصدر للغواية... تتساءل سها.. هل سيحسابها الله على بعض التحرر فى الملابس والسلوك، أم أن الأمر المهم هنا هو مدى الالتزام بالخلق القويم من صدق وإجتهاد فى العمل والالتزام بالكلمة؟!!! ، وكلها أمور إعتادتها منذ نشأتها بالمدرسة الالمانية بالقاهرة.. ثم أنها لن تفرط أو تغفل عن الواجبات الدينية مثل الصلاة والصوم وخلافه.

أمتلأ إذن يوم سها وأسبوعها بأحداث لا تنتهى... مذاكرة متصلة وسهرة هنا ورقصة هناك... بدأ الارهاق يداهمها بشكل مستمر.. لا تستطيع أن تنام ملء جفنيها... ارهاق متصل،... حتى الرقص وتغيير الملبس لم يفلحا فى إزالة الشعور بالانقباض الذى كان يسيطر عليها بشكل مستمر... حالات من البكاء الليلى بدأت تداهمها بإستمرار دون سبب واضح.. حاولت أن تستعين بالصبر والصلاة – كما ورد فى القرآن – للتغلب على ما بات يلازمها بشكل مستمر...، ولكنها بدأت تعترف أن السبب الحقيقى هو تألمها لفقدان فرصة زواجها فى مصر قبل السفر. مضت عدة أسابيع ولم تقابل أى مرشح محتمل... كاد الأمر أن يكون أسبوعيا فى القاهرة..حتى أنها كانت تحجز موعدا شبه دائم

بأجندتها للمقابلات.... ولكنها هنا فى لندن.. كأنها نسيا منسيا.. قدرت سها أنه لا يوجد ما يدعو للندم أو إجترار الذكريات الخاصة بأى مرشح سابق.. بالتأكيد أنه الجو الرمادى الذى يصيبها بشذرات الحزن غير المبرر..؟ الأمر بسيط ولا داعى للتهويل بشأنه..، سوف تشترى بعض مضادات الاكتئاب وبعض الأدوية التى يتعاطاها البريطانيون للتغلب على الآثار النفسية والجسدية لغياب الشمس أغلب الوقت.. وينتهى الأمر.. بالتأكيد سينتهى الأمر!!!!

بالفعل، أتت أدوية مضادات الاكتئاب مفعولها سريعا.. لاسيما تلك ذات الصلة بتقليل غياب الشمس...، إذ تعمل تلك الأدوية عادة على تحسين كيمياء المخ عبر إفراز السترونين وهو الهرمون الخاص بالشعور بالسعادة والهدوء النفسى... تحسنت الحالة المزاجية لسها بعد قرابة عشرة أيام على الأكثر..، ولكنها لاحظت أنها صارت تأكل بشهية كبيرة.. وتميل للتعبير عن الانتشاء والحبور بشكل أكثر مما ينبغى.. فخشيت سها أن تخسر قوامها الجميل الممشوق.. الذى تحافظ عليه منذ سنوات بعيدة..فهى تحرص دوما أن تبدو كالمانيكان أو عارضة الأزياء.. فسها طولها يبلغ قرابة 175 بينما لا يزيد وزنها – فى أسوأ أحوالها – عن سبعين كيلو جراما فقط!!...

قررت سها أنه لا يمكنها الإعتماد على تلك الأدوية إلا فى حالات محدودة للغاية.. وهى تلك التى تصل فيها نفسيا إلى أقصى مراحل التأزم... بدأت فى القراءة عن الحالات النفسية مثل الضيق والاكتئاب دون مبرر.. وكيفية الخروج من آثارها بطريقة سهلة دون الدخول فى متاهات تعويد الجسم على مواد كيمائية مثل التى تحتويها تلك الأدوية بلا شك... على سبيل التجربة، بدأت سها فى تعديل برنامجها اليومى.. فبدلا من ركوب الحافلة 159 إلى مقر جامعتها بالقرب من بيكر إستريت.. واظبت على السير من وإلى المنزل.. بما لا يقل عن ستة كيلو متر يوميا... وبالفعل أحدث هذا التغيير اثرا ايجابيا، ولو بقدر..،إذ أن ملامسة الأقدام للأرض بصفة دائمة، من شأنها تحسين التنفس وبالتالى كيمياء الجسم بصورة عامة.....، وعلى الرغم أن المشى عادة ما يستهلك طاقة لا بأس بها، إلا أن سها وجدت نفسها فى حالة من النشاط والحيوية إستمرت عدة أسابيع...

للأسف..عادوتها حالة الحزن غير المبرر بعد ذلك...، فالانسان يفقد شعوره بأى شئ يعتاده مهما كان تميزه وتمايزه مثل الحياة فى لندن والتنزه فى شوارعها الرائعة. ومن ثم، عاودت سها البحث عن طريقة أخرى إلا أن عثرت على ضالتها على أبواب الصيدليات الصينية التى تتواجد تقريبا فى كل شارع رئيسى فى لندن.. فكل تلك الصيدليات تقدم خدمات مساج القدمين... فالطب الصينى القديم يؤكد أن القدم تحتوى على الخريطة الكاملة للجسم البشرى... فهناك موضع خاص بالاذن وأخر بالعينين.. وثالث بالجهاز الهضمى، وهكذا.. ومن ثم، فان التدليك المستمر للقدم...

يحسن الصحة العامة.، ويقضى على الأرق وقلة النوم.، ومن ثم تتحسن الحالة المزاجية للشخص... دأبت سها بالتالى على الحصول على جلسات مساج القدمين أحيانا مرة أو مرتين فى الأسبوع...، ومثلما اعتادت المشى... وفقد سحره.، اعتادت تلك الجلسات الطبية وتوارى تأثيرها تباعا..حاولت عندئذ تناول بعض الأدوية الصينية التى يؤكد بائعوها أنها مصنعة من مواد خام وأعشاب، بلا أى إضافات كيمائية.. إلا أنها عجزت عن إحتمال الرائحة أو الطعم المر لتلك التركيبات التى يستحيل أن تعرف كنهها!..

كثفت سها من حضور جلسات تعليم الرقص... فكانت ترقص بكل عضلة فى جسمها.. تارة بتركيز كامل.، وتارة بانتشاء غريب...، وتارة أخرى بما يشبه الغيبوبة التى تنتاب الانسان عند حالات التنويم المغناطيسى أو التواصل الروحى مع العالم الأخر.. مما أثار إعجاب الراقصين والراقصات... وحرص أكثريتهم.. رجالا ونساء.. على أن يراقصوا سها.. كل مرة.... حتى أن سها وجدت نفسها دون تدرى.. تتحول من المتدربة إلى المدربة للاخرين والاخريات...!! لم تكتف سها برقصتى التانجو بكل عراقتها وألقها.. أو الصالصا بكل حيويتها ومرحها.، بل بدأت تعتاد رقصة الفالس الرومانسية الحالمة... سواء فى الجامعة، أو صالات الرياضة،أو اذا ما دعيت على حفلة بأحد البارات أو فنادق الخمس نجوم..

نوع واحد من الرقص لم تستسيغه سها... رغم أنه سريع الانتشار فى أوروبا.. كموضة أو صرعة تلهب عقول النساء والفتيات.. وهو الرقص الشرقى.. والذى يرونه الأصدق تعبيرا عن أنوثة المرأة.. وأكثر أنواع الرقص قدرة على ضبط جسد المرأة وتحقيق التناسق المأمول بين أجزائه... سها ارتأت أن هذا النوع من الرقص.. الذى يتواجد فى تراثنا المتخلف مثلما تراه.. يعكس دونية للمرأة.. ويحولها إلى مجرد أداة للاستمتاع.. والدليل على ذلك أن الرجل يجلس مصوبا نظراته.. مشرئب العنق... مفتغرا الثغر... أثناء تلك الرقصة التى لا يشارك المرأة بها...

إستمر تأثير الرقص الايجابى وقتا أطول من المحاولات السابقة، إلا أن الحالة النفسية والمزاجية لسها غدت تتأرجح صعودا وهبوطا.. رغم انشغال برنامجها اليومى على أكمله.... حتى أنها باتت تنام من الإرهاق... وتصحو وكأنها لم تنم بالقدر الكافى...فماذا عليها أن تفعل إذن؟!!

obeikan.com

(٣) أحمد مشتهر

إستطاع أحمد بخبرته النسائية الكبيرة أن ينسج حول ليدميلا حباءله... مستخدما أساليب متغايرة وطرق متباينة منها نبرة الصوت، إظهار الاهتمام والحنان الزائد، الدعوة إلى حفلات ألبرت هوول الموسيقية..، توزيع مهام الاستذكار بينهما، وهكذا. فى الواقع، كان لدى ليدميلا،التى يكاد يند منها فى كل كلمة أو حركة مخزون هائل من الرقة والجمال الانثوى،...نفس الميل نحو أحمد... عرف بعد فترة أنها إنسانة مكافحة جديرة بالاحترام، تعمل ليلا فى عطلة نهاية الأسبوع (الويك أند) كراقصة " عارية " فى احدى البارات كى تستطيع تمويل دراستها وأنها رفضت من قبل عروضا للعمل فى مجال مرافقة للسياح لأنها تضيع الوقت ولا تتسق مع أخلاقياتها، فهى لا تقبل ممارسة الجنس مقابل المال.

المهم نمت العلاقة بين أحمد وليدميلا وفقا لمفاهيم واضحة للغاية اتفقا عليها... هى التعاون فى الاستذكار..، التنزه سويا، ممارسة الجنس أسبوعيا دون إدعاء وجود حب أو مشاعر أو مشروعات إرتباط مستقبلى، وهكذا.... على الصعيد الاخر، تمكن أحمد من " تأمين" - بلغة اجهزة الأمن - علاقة أيضا مع الصينية "لى".. وفقا لمشروطية مختلفة.. فلا خروج ولا تنزه ولا تضييع للوقت.. بل مجرد ممارسة الجنس كلما استدعت الحاجة ذلك.

فضلا عن ليدميلا.. ولى ..، فقد أخذ أحمد كروتين أسبوعى يذهب إلى البار منفردا كل سبت حيث تكون الفتيات فى أوج تألقهن وتوهج الرغبة بداخلهن.. فيفرطن فى الشراب بشكل هسيترى.. حتى أن احداهن لا تعرف مع أى شخص نامت بعد ذلك.. يرتاد البار ثم بعين فاحصة.. يحدد الهدف أو مجموعة من الأهداف..، ثم يختار مكان جلوس مقارب..، لتبدأ لغة العيون والاشارات... بالمثل هناك فتيات.. يقمن بنفس العملية وبذات الخطوات.. فلا تعرف من ألقى بشباكه على الاخر..هكذا يمضى أحمد فى حياته... طالبا مجتهدا قدر المستطاع فى الصباح.. باحثا بشبق كبير عن

المتعة الجسدية التى تتمحور عليها حياته كل مساء...

ثمة انطباع خاطئ قد يكون تولد لديك إن ظننت أن أحمد مشتهر هو مجرد انسان شهوانى.. مضاجع للنساء..فحسب.. بالطبع لا.. أحمد لديه فلسفة يعيش بها... مثلما عرفنا من قبل.. وهو لا يتورع أبدا عن مد يد العون إلى من يحتاجه فى أى مجال، فيما خلا بالطبع أن يقدم "حريمه" إلى أحد... فى الحقيقة أن أحمد بلغ مبلغه من النساء منذ المرحلة الثانوية.. لاحظ هو نفسه، كما لاحظ الآخرون، أن أكثر البنات عنادا وشدة مراس تلين بين يديه مثل قطعة العجين..هى إذن موهبة.. لم تقتصر فى تأثيرها على المصريات فحسب بل والاجنبيات أيضا..وعلاقته بالنساء هو الشئ الوحيد الذى لا سلطان له عليه فى حياته.. هو لا يشرب الخمر أو السجائر ويحافظ على صحته وعمله.. أما فيما يتعلق بالنساء... فلا رادع ولا رقيب!! لم يؤثر الأمر يوما على إستذكاره وعمله... بل لعل البعض أعتقد أن قيامه بتفريغ طاقته بتلك الطريقة الدورية.. يحقق له من صفاء الذهن ما يساعده على الاستذكار والتفوق... الشهور الأولى عدت بسلام.. وأحمد يستذكر دروسه بصفة يومية..ويراجع عليها كل أجازة أسبوعية.. فلا توجد أى إمكانية للفشل.. فالماجستير مجرد محطة لما هو أت..!!

obeikan.com

(٤) نادية البيلى

بصمودها الجبار وعزمها الذى لا يلين، تمكنت الدكتورة نادية من أن تغلق على نفسها كافة منافذ الحياة حتى تتقن اللغة الانجليزية كأهلها... على مدار اليوم تستمع إلى نشرات الاخبار والأغانى وتشاهد فيلما يوميا... بدأت تحرص على تنمية الثروة اللغوية.. فحرصت على شراء جريدة التايمز يوميا.. نادية لا تريد أن تعيش مجرد طالبة فحسب، بل تريد أن تغوص فى المجتمع الانجليزى.. أن تعرف عاداته وتقاليده.. أن تصادق وتحب وتخرج وتتنزه.... بالطبع عندما تسمح أوقات الدراسة.. لندن لابد أنها سترحب بها... ولم لا.. وهى الطالبة اليتيمة التى كانت دائما تحرز الأماكن الأولى فى أى إمتحان بكلية طب عين شمس.. رغم صعوبتها المعتادة وحرص أعضاء هيئة التدريس على توريث أمكانهم لابنائهم..!

كما توقعت من نفسها، تمكنت بصبر وهدوء واقتدار من الالمام بكافة تفاصيل الدراسة ومستلزماتها، بما فى ذلك التحدث بلكنة أقرب ما تكون إلى ما يسمونه الانجليزية الملكية أو الشكسبيرية للتدليل على إتقان اللغة بأفضل ما يعتاده أهلها الأصليون.. كانت عندما تنطق كلمة بلكنة أخرى.. تعاود ترديد الجملة الأخيرة لضبط مخارج الحروف.أهم ما يثيرك فى نادية هو قدرتها على إنجاز أى شئ دراسى..مهما كانت التضحية أو التكلفة... تجدها فى ذات الوقت تحـــرص أيضـــا على وضـــع الزينـــة بشكل مفرط أحيانـــا ومجاراة الموضة بكافة شطحاتها.. شأنها فى ذلك شأن الممثلات أو العاملات فى مجال الموضة.!!!... لم تمض سوى أسابيع قليلة حتى بدأت نادية فى عملية " التكيف الهيكلى " لخزانة ملابسها.. لو فتحت تلك الخزانة بنفسك.. فلن يكون بمقدورك أن تميز بين ملابسها وملابس أى فتاة انجليزية فى مقتبل العشرينيات، بما فى ذلك " الديمى فنتر " الذى يكشف جزءا من البطـــن.. أما بالنسبة " اللو ويست "، فالحق يقال أن نادية إكتفت بكشف الملابس الدخلية فقط.. فلم تستسغ التزيد فى هذا المنحى مثل البريطانيات.

إشترت كل ما يلزم - دوغا انتظار الاوكازيون الذى يبدأ فى شهر ديسمبر - من محلات نيكست وماركس أند سبنسر وموس.. ليس المهم التكلفة.. المهم الا يلحظ أحد أن ملابسها التى أتت بها من مصر مازالت مستخدمة.. القت بها بشكل تدريجى فى صفائح القمامة.،. دون أن تغفل الاحتفاظ بعدد معين من البدل وبنطالونات الجينز والبلوزات طويلة الأكمام وغيرها لزوم مقابلة المصريين أو تحسبا للبرد اللندنى.

هذا التعقيد أو لنقل التركيب فى شخصية نادية.. يجعلك أحيانا عاجزا عن فهمها.. فهى الفتاة الصاخبة التى ترتدى الملابس العارية ، وهى فى ذات الوقت.. الفتاة المجتهدة أشد الاجتهاد بما لا يستطيعه الرجال،فهى الحريصة دوما على بلوغ أعلى مراتب التفوق وإبهار من حولها.. هى تنتقل من النقيض إلى النقيض بسلاسة ويسر.. على عكس التركيب الاحادى للشخصية المصرية فى عمومها.،. فأنك تجد للمجتهد فى مصر ثمة متلازمة من الصفات تنعكس دوما على سلوكه.. والعكس صحيح.. إلا نادية.. فهى تجمع كل المتناقضات...!!ربما يكون هذا بسبب خوفها من المجهول.. فتريد أن تقتنص كل لحظة سعادة أو إستمتاع كلما كان ذلك ممكنا..؟؟ فى نفس الوقت، هى تدرك أن ما تركه والداها لها ولشقيقها من مال مآله إلى زوال أو انتقاص.. ومن ثم، فأن اجتهادها يبقى هو سلاحها الوحيد فى الحياة.

بعض الدراسات النفسية.. ترجح أن المرأة الصاخبة - التى تتمثل نادية بها فى نصف وقتها - قد تعانى بعض النقص النفسى.. ولربما لديها شعور بعدم الأمان أو الرغبة فى لفت الأنظار..بقدر ما..، ما علينا هى رؤى نفسية لا يمكن أن نطبقها على جميع البشر.. إذ أن لكل إنسان تركيبته النفسية الخاصة به، مثل الخريطة الجينية بكل تفردها وتمازيها الكبيرين...

مثلما تقدر، فإن نادية لا تهتم كثيرا ببناء صداقات مستمرة منتظمة.. فقط صداقات غير مزعجة لا تتداخل فى الخصوصيات.،. وتقتصر على اللقاء فى البارات للرقص فقط - فنادية لا تشرب الخمور - أو التنزه فى الحدائق..لذلك، فقط تمكنت سريعا - وعلى عكس الكثيرين من المغتربين - أن تقيم هذا النوع من الصداقة مع البريطانيين أنفسهم والذين لا يحبذون ابدا الصداقات التى تحتوى على تداخلات شخصية بأكثر مما ينبغى..فشكلت لنفسها مجموعة محدودة من الأصدقاء والصديقات أغلبهم من البريطانيين، ودأبت على الذهاب معهم لإحدى بارات وحانات الرقص بمنطقة كوفنت جاردن الشهيرة والتى تعد ملتقى الباحثين على عشاء أو سهرة لطيفة كل عطلة أسبوع..

إذن على المستويين الاكاديمى والاجتماعى، حازت نادية ثقة الجميع وتقديرهم.. أساتذتها

وزملاؤها.. حتى أنها تمكنت من أن تفرض نفسها كمرجع يستشيره الآخرون كلما دعت الحاجة فى دروس العملى... كانت نادية ترتكن إلى سنوات عملها المباشر منذ تخرجها، وهى الميزة الذهبية التى عادة ما تميز الطبيب المصرى عن غيره.. فى ذات التوقيت.، وبحدسها المتقد، بدأت نادية فى عمل شبه مستحيل جنبا إلى جنب مع الدراسة.. وهو أن تبحث عن فرصة للعمل فى إحدى مستشفيات لندن ذاتها.. المهمة انتحارية لانه لا يوجد أحد فى لندن يجرؤ على كسر قانون العمل خشية من تبعات ذلك القانونية... نادية بكل عنادها وجسارتها لا تعرف أبدا طريق اليأس.. كل يوم تمضى ساعة فى البحث عبر الإنترنت عن فرص العمل بمستشفيات لندن كلها.، تملأ إستمارات كثيرة بلا كلل أوملل..،.تكتب خطابات شخصية لمديرى المستشفيات... تعرض فيها خبراتها وعدد المرضى الذين أشرفت أو ساهمت فى علاجهم..وهو يفوق عشرة أضعاف ما يمكن توقعه من طبيبة فى سنها وفقا للمعايير العالمية.. تواصل الجهد المبذول فى كافة مناحى الحياة.، دراسة.. البحث عن فرصة عمل.. الاستمتاع...، نعم فنادية تبذل جهدا حقيقيا للاستمتاع كى لا تشعر بالوحدة أو الندم أو اليأس أو ما شابه...

ولكن هل يوجد مكان للرجل فى حياة نادية؟!!.. هذا هو السؤال الذى يطاردها دوما..وترديده لا يقتصر على المحيطين فحسب.، بل ويتردد بين جنبات نفسها أيضا... فهى لم تلتق حتى الان بمن يصلح أن يكون شريكا للحياة..!!وهى تدرك ان غالبية الرجال سينهون وسينــأون عنها خوفا من ذكائها وطموحها!!!

-"هل سأعيش هكذا إلى الأبد.. بمفردى...؟!!.. متى سألتقى بالرجل الذى يملأ حياتى..ولا يزعجه نجاحى؟!!.. الرجل الشرقى بطبعه معقد.. لا فارق بين مصرى وعربى.. فالكل عند العرب صابون... هل سأتزوج رجلا غربيا..؟!!.. ولم لا.. يجــوز جدا... هناك حـــالات كثيرة ناجحة لمثل تلك الزيجة ."

تتواصل الحياة.. دون إنفراجة هنا أو هناك.. لا فى العمل ولا الزواج... الا أن اتصل بها أحد المصريين المقيمين فى لندن والذى سبق أن قابلته فى إحدى مرات ترددها على القنصلية لتجديد جواز سفرها..

-نادية : أهلا أستاذ عبد الرحمن.. كيف الحال المدام والأولاد..!!

-عبد الرحمن : يا دكتورة.. إن شاء الله تكونى بخير يا إبنتى.. أنت فى سن ابنتى.. وأتمنى أن تكون ابنتى مثلك... كنت يا دكتورة قلت لى أنك تبحثى عن فرصة عمل فى احدى مستشفيات لندن.. يا ترى وجدت فرصة أم لا؟!

obeikan.com

-نادية : لسه يا استاذ عبد الرحمن.. بس حضرتك هتكبر نفسك كده لما تقول إنى مثل بنتك...

-عبد الرحمن (ضاحكا) : أنا إبنتى عندها 30 سنة... وخلفتها فى أول سنة لى فى هذة البلد.. شوفى يا ابنتى.. أنا رجل عملت خدمات كثيرة لمصريين كثير قدموا منذ أوقات طويلة إلى لندن وغيرها... ولكن أنت عارفة أن قوانين العمل تغيرت فى السنوات الأخيرة.، والمجتمع صار مقفولا.. بعد أحداث 11 سبتمبر..

-نادية : طبعا عارفة.. ده من حظى..

-عبد الرحمن : حظك يا إبنتى إن شاء الله كويس.. شوفى يا ست الدكتورة الدكتور مجدى يعقوب.. يعرفنى كويس...، وأنا كلمته عنك.. وهو مرحب..بالطبع هو لا يستطيع أن يخرق القانون.. ولكنه فقط يمكن أن يوفر لك فرصة إنتساب أو تدريب أو تعلم لعدة شهور...

-نادية.(. مقاطعة.. وقد بدأت أنفاسها تتلاحق): بجد.. دكتور مجدى يعقوب شخصيا.!!.

-عبد الرحمن : أيوة يا دكتورة.. وافق انك تتدربى عنده. وأنت وشطارتك بقى.. يعنى هتكون فرصة كويسة تتعلمى.. وتتعاملى مع عشرات من الأطباء الانجليز ومديرى المستشفيات.. ومن يدرى لعل أحدهم يساعدك فى عمل " تصريح العمل".

- نادية : أنا متشكرة جدا يا أستاذ عبد الرحمن.. بجد مش عارفة أقول لحضرتك ايه.. حضرتك ملاك من السماء جاء لى...!!

-عبد الرحمن : الشكر لله يا ابنتى... الشكر لله والفضل والحمد له الذى حولنى من مجرد سائق تاكسى قبل 30 سنة لا أجد ثمن الغذاء إلى صاحب أكبر أسطول للتاكسيات الخاصة فى لندن... كرم ربنا كبير على.. وكل العز اللى أنا فيه دلوقت.. نتيجة أنى لم أبخل يوما على أحد من المصريين وغير المصريين بنصيحة أو مساعدة....، تعرفى يا نادية.. نحن المصريين مع بعضنا البعض فى الخارج.. للأسف " وحشين جدا".. يعنى مش زى الجاليات السودانية أو حتى الأسيوية مثل الفلبينية أو الباكستانية.. الواحد فاكر أن رزق التانى.. يبقى خصما من رزقه... وربنا هو اللى بيرزق الجميع من عنده... وعنده رزق يكفينا كلنا ويزيد.!!

-نادية.. أنا حاسة أنى بأحلم.. ده حلم أى دكتور...

-عبد الرحمن : ربنا كبير... هو يوم الخميس القادم سينتظرك فى مستشفى كروميل فى كينجستون.. هيلقى محاضرة هناك الساعة الخامسة.. وبعد كده ممكن يقابلك..

اختتمت نادية المكالمة هى تكاد ترقص من الفرح - لعلها واحدة من أكثر المفاجات سعادة فى حياتها -... هذا هو النجاح الأول... حتى لو بصورة مبدئية.. الذى يتحقق فى لندن...

(٥) مدحت نبهان

على عكس ما كان متوقعا.. لم يجلب إليه الاعلان الذى وضعه على لوحة الاعلانات فى مقر السكن الجامعى أى نتائج إيجابية.. تلقى بالطبع عدة رسائل الكترونية من عدة نساء لا يمانعن فى دعوتهن للعشاء وما تلى ذلك. ولكن مدحت توجس وأرتاب فى الأمر... فضلا عن عدم رغبته الحقيقية فى التورط فى أى مصاريف غير ضرورية... فلندن كمدينة تتسم بالغلاء الشديد، وبالكاد فإن الراتب الشخصى كمبعوث يكفى المصاريف الضرورية..ثم هو يريد أن يبحث عن رفيقة أو صديقة.. أو ما هو أكثر بشرط ألا يشكل ازعاجا أو تكلفة لا داعى لها!...

بحكم التكوين الشخصى والأسرى، فإن مدحت من الشخصيات التى تعتاد ما تألفه.. وتواظب على فعل ما اعتادته.. فهو إعتاد روتينا معينا منذ زواجه المبكر.. عمل وتدريس لطلاب الجامعة والثانوية العامة صباحا.. ثم عودة للمنزل للغذاء والراحة ثم الاستذكار للابناء لتوفير ثمن الدروس الخصوصية ثم التمشى ليلا لمدة ساعة أو الجلوس على المقهى مع بعض الأصدقاء من ذوى الظروف المماثلة، وهكذا دواليك، يتكرر الروتين يوميا شتاء وصيفا بلا إنقطاع، فيما خلا الأجازة الصيفية.   مرت الأيام والأسابيع الأولى من الدراسة، ومدحت لا يزال بحكم الطبيعة النفسية يبحث عن الروتين اليومى الذى لابد أن ينظم نفسه عليه، فهو لم يألف التنوع والاختلاف فى الظروف والمحددات الحاكمة فى الحياة. وبالفعل بدأ مدحت ينظم جدوله اليومى.. حضور محاضرات ماجستير الفلسفة، وهو درجة وسطى ما بين الماجستير العادى والدكتوراة، وهو يلزم لتأهيل الطلاب للدرجة العليا.. ثم إرتياد المكتبة لعدة ساعات بغية القراءة والإستزادة المعرفية كى تتضح صورة مشروع الدكتوراة فى عقله.. ثم العودة إلى دار السكن الجامعى لكى يطبخ قليلا من الطعام، لتوفير نفقات الطعام بالمطعم الجامعى رغم كونه يتسم بالرخص مقارنة بأسعار الخارج، ثم النوم قليلا ليستيقظ بعدها للاستذكار نحو ساعتين، ثم ليحادث أسرته لمدة ربع ساعة عن

طريق الانترنت باستخدام جهازاللاب توب، ثم يتنزه قليلا ببدلة الرياضة، فى الحديقة التى تتوسط الميدان القابع به السكن الجامعى ثم ليخلد للنوم.... ليعيد ذات الروتين الحاكم بنفس الكيفية فى اليوم التالى مباشرة.أمثال مدحت إذن هم من يسجنون أنفسهم فى سجن الروتين والرتابة!. يقال إن الحيوانات يسهل إصطيادها بمجرد أن نتعرف على الروتين الخاص بها... لأنها لا تستطيع تغيير روتين الحياة فى الأكل والشرب وإخراج الفضلات والخروج والعودة..الخ..من شأن الروتين أيضا أن يجعلنا نبلغ الشيخوخة الفكرية قبل الآوان، فلا نعود قادرين على تقبل الجديد فى الأفكار والفنون والملابس والأصدقاء... نعتاد على القضبان التى نحيط أنفسنا بها، وبمرور الوقت نستمرئ القيد، فلا نريد كسره مهما كانت مغريات الحياة...!

فى إحدى روايات الكاتب العالمى باولو كويلو نصح بطل الرواية بأن علينا أن نكسر الروتين لكى نتعرف على أنفسنا.، فنحن بحق لا نعرف مكنون طاقتنا الذاتية إلا وقت التحدى والمواجهة... وما لم نصل إلى تلك اللحظة التى نبلغ فيها التحدى، قد نبقى طول عمرنا أسرى لأفكار وإتجاهات ومفاهيم خاطئة حتى عن ذواتنا.. ولكسر الروتين، ينصح أن نسير مثلا بنصف السرعة المعتادة فى المشوار اليومى وملاحظة ما لم نلاحظه من قبل...، أو أن نستمع إلى أصوات متفرقة متباينة فى آن واحد ونحاول التمييز بينها...، أو نتعمد القيام بما لم نعتاده من فعل لو على سبيل التجربة...، وهكذا...

مدحت كان على علم بعيوب حياته المعيشية.. ولكنه ألفها كأستاذ وأب..، لذلك فهو عازم على الموازنة بين الروتين، ربما بصورة غير شعورية، وبين الحاجة إلى المغامرة والتجريب عبر إقامة علاقات نسائية.. من جانب أخر..رغم أنه لم يوفق حتى الان، فى العثور على الفتاة - أو لنقل السيدة المناسبة -، ربما بسبب كبر سنه بالنسبة لباقى الطلاب..، أو أن أغلب الطالبات مرتبطات بالفعل..، أو بسبب التخوف من مصاحبة رجل شرقى مسلم فى أجواء غير ايجابية..، ولكن كما قال مصطفى كامل.. لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس...!!

واصل مدحت استذكاره بتؤده وإقتدار... فمدحت يجيد تماما اللغة الإنجليزية..، فهو لا يخطئ أبدا فى قواعد اللغة أو إستخدام الحروف أو ظروف المكان أو الزمان شديدة الإختلاف والتنوع، والتى قد يخطئ بها الأنجليز أنفسهم!!!... بلا مبالغة، يستطيع أن ينظم شعرا جميلا باللغة الانجليزية..، كما يستطيع الإلقاء ولكن بلكنة شرق اوسطية وليس مثل الأمريكية او البريطانية!.

عندما ينتقده أحدهم بسبب عدم قدرته على استنساخ اللكنة المعتادة..، يرد ردا مفحما باللغة الانجليزية.. فيما معناه.. أن اللغة الانجليزية ليست لغة شعب معين.. حتى تكون هناك

لكنة صحيحة أو لكنة غير صحيحة أو لكنة أفضل من أخرى.، فاللغة الانجليزية هى حضارة عالمية.. كائن حى يتفاعل ويؤثر ويتأثر بمختلف المناطق الجغرافية والثقافات المتنوعة.، فالهندى من حقه أن ينطق اللغة الانجليزية بما يتناسب مع ثقافته وعاداته ومخارج الألفاظ لديه.، مثلما هو الحال مع الجنوب الافريقى.. أو الشرق أوسطى أو الانجليزى أو الأمريكى.

لاحظ بالقطع أنه لم يعد لديه الكثير من الصبر على الاستذكار والبحث وإستخلاص النتائج والمقارنات الأدبية أو ما شابه.... فى ذات التوقيت.. كان كل يوم يمر... دون العثور على غايته من لندن.. يصيبه بالكآبة خاصة مع حلول الشتاء بكل رماديته...، غاية مدحت ليست مجرد العبث مع هذة أو تلك... بل أن يستعيد أو بمعنى أصح يستحضر بعضا من فترة شبابه التى لم يتسن له أن يحياها!... ورغم حرصه على التوفير المادى.، بيد أن مدحت بدأ فى الانتظام فى تناول العشاء أو الغذاء يوميا فى مطعم السكن الجامعى.. للعثور على ضالته!!

بعد فترة.. جاءه نصيبه... سيدة إنجليزية من مدينة يورك تدرس بذات جامعته للحصول على الدكتوراة فى مجال دراسات الأديان... بدت وكأنها فى نهاية الثلاثينيات.. يعنى فارق السن ليس بالمشكلة أو العقبة الكؤود التى قد تحول دون تنامى العلاقة..... اقترب منها مدحت قائلا:

-"عذرا. هل لى أن أجلس هنا... فالمكان مزدحم عن آخره... أنه يوم جميل مشرق...

-بالتأكيد...

-أهلا بك.. اسمى مدحت نبهان.. من مصر.. أستاذ جامعى وشاعر وكاتب أيضا...

-خمنت ذلك من لهجتك قبل أن تقول ذلك.. تعاملت مع بعض المصريين فى يورك... ولم أزر مصر من قبل رغم أننى درست تاريخها.، وقرأت كثيرا عن الأثار الفرعونية.. ومحاولة اغتيال الملك خوفو.... أنا جوانا من مدينة يورك.

-سعيد بمعرفتك يا " جوانا " (الانجليز الجدد يسقطون الألقاب سريعا) ربما تقصدين إغتيال الملك " توت عنخ أمون ".. هل تعرفين أننى لاحظت ان الغربيين يعرفون عن الحضارة الفرعونية أكثر مما يعرفه المصريون أنفسهم..

-(ارتفع حاجباها من الدهشة قائلة) " حقا.. لم أكن أعرف.. نحن ندرس فى المدارس شيئا عن الحضارة الفرعونية بالمدارس ولذا لدينا ولع تقليدى بها، لكن ربما أقل من شغف الفرنسيين والايطاليين والألمان بها.

-وأنت ماذا تدرسين هنا؟!

-أنا أدرس مقارنة الأديان... أنا أعمل صحفية.. وأكتب عن شئون الجاليات فى بريطانيا وبعض

الأمور المتعلقة بالسياسات الخارجية لاسيما علاقة الغرب بالعالم الإسلامى بعد أحداث 11 سبتمبر.. لذلك رغبت أن اقدم أطروحة خاصة لبحث أكاديمى يسلط الضوء على مناحى التشابه والاختلاف بين الأديان الرئيسية الثلاثة... وغيرها!!

-موضوع شيق وجميل للغاية... هذا ما يجب أن يكون لكى ينتهى العالم من حالة الهيستريا البشعة التى يعيشها منذ أحداث 11 سبتمبر... ولكن ماذا تقصدين " بغيرها"؟!؟.

-(ضحكت.. ضحكة من لم يندهش من السؤال... قائلة) " هكذا أنتم دائما يا مسلمين.. تظنون أن الكون قد خلق من أجل الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام... لكى تتناحر فيما بينها... بينما خلق الباقين عبثا"...!!

-أووه.. انت تقصدين البوذيين.. والهندوس.. والكونفوشيين.. وغيرهم...

-طبعا أقصد.. هل تظن أن كل هؤلاء على خطأ... هل يقبل المنطق أن يخلق هؤلاء من العدم.. ليعيشون عبثا ويموتون عبثا... هذا مستحيل...!!

-ربما.. لست متبحرا فى شئون الأديان... ولكننى مجرد شاعر.. وأستاذ جامعى!!

-كونك شاعرا.. يفترض أن تحكم عاطفتك قبل عقلك.. وكونك أستاذا جامعيا.. يستوجب أن تجعل عقلك يسود عاطفتك... وسواء استعملت هذا أو ذاك... فلا يوجد أى شئ يؤكد أن هؤلاء القوم الذين يقدر عددهم بالمليارات على خطأ... هم لديهم منظومات قيمية وخلقية.. ومفاهيم عن البعث والخلود وغيرها... أليس كذلك؟!

-اوكيه... هناك فى القرآن الكريم... وهو كما تعليمن الكتاب المقدس لدى المسلمين.. ما يشير إلى أننا عرفنا عن بعض الانبياء وأصحاب الرسالات.. بينما بقى بعض الأنبياء أمرهم غير معروف بالنسبة لنا... نحن نؤمن أن الرسول " محمد " هو آخر المرسلين.. وهو المتتم للرسالات السماوية كلها.. فلو كان مثلا.. بوذا أو كونفوشيوس أو أى شخص أخر... جاء من قبله لربما كان بالفعل نبيا أو رسولا.. شرط وحيد أن تكون بعثته قد تمت قبل الرسول (محمد).. أما إذا كانت بعثته من بعده.. فوفقا لاعتقاداتنا.. لا يمكن أن نعترف به كصاحب رسالة... ربما كان مفكرا أو منظرا أو فيلسوفا أو زعيما ملهما... وليس أكثر..!!

-خلال تلك المرحلة.. لا أستطيع أن أجزم بشئ معين.. لدى عدة إفتراضات سوف أسعى لاخضاعها للبحث العلمى... لدى مفاهيم غير مستقرة بعد عن القوى المسيطرة - إذا ما افترضنا جدلا بوجود آله -.. وعن بعض المفاهيم الدينية.... ووو

-(قاطعها مدحت.. مندهشا ومستنكرا.). عذرا ماذا تعنين بذكر إذا افترضنا وجود اله.. هل

لديك شك فى ذلك...؟!!

-عزيزى.. هذا موضوع يطول تناوله.. وأنا مضطره إلى تناول الطعام سريعا ثم الانصراف كى ألحق بالتزام أخر.. أنت تعرف الانجليز.. يحتقرون من لا يحترم مواعيده.. وكأنه ارتكب جرما فظيعا.. وليس لديهم أى مساحة للخطأ الانسانى الوارد...

-بالطبع أتفهم ذلك... أنتم شعب متحضر.. حقا... ولكنكم فى ترسيخ الحضارة بشكل تراكمى.. ربما نزعتم شيئا فشيئا إلى معاملة البشر مثل الألات أو الروبورت... فمثلما تقولين لا توجد مساحة للخطأ الإنسانى....لو لم نكن بشرا لما أخطئنا... ولولا الخطأ لما صرنا بشرا..

-هايل.. مقولة جميلة.. دعنى أسجلها... وسأنسبها لك... حفاظا على الملكية الفكرية..

-لا عليك..

-سعدت كثيرا بلقائك

-هل من الممكن أن نلتقى ثانية... ربما لاستكمال المناقشة التى استمتعت بها جدا...

-بالطبع.. أنا اتناول طعام الغذاء كل يومى ثلاثاء وأربعاء هنا...

-إذن فليكن

بعد ذلك غادر مدحت المطعم عائدا.. الى غرفته...، وصور عديدة تتزاحم فى مخيلته رغما عنه... هى سيدة بريطانية (كما ورد فى الكتاب مثلما يقولون فى الثقافة الإنجليزية).. فى الملبس والكلام والسلوك!! هل سيبتسم له الحظ أخيرا فيصادق فتاة أو سيدة بريطانية، وهو الذى لم يجرؤ يوما أن يواعد فتاة مصرية من الزقازيق.. فاذا به يستهل علاقة أو صداقة أو سمها كما شئت مع فتاة بريطانية.. (أصلى من بتاعة بلدها)."... هل سينام معها ولو بعد حين؟!!... أم الأفضل أن يعيش قصة حب جديدة يجدد بها شبابه الذى لم يتهن به...حتى لو إقتصر الأمر على بعض مناقشات فكرية فلا بأس فشئ أفضل من اللاشئ.. فقط علينا الصبر والتؤدة!!! ثم أخذ يدندن قائلا.. " أول مرة تحب يا قلبى.. وأول يوم أتهنى "... ويبدو أنه اندمج كثيرا.. فلم يتنبه إلى بلوغه ردهـــة السكن الجـــامعى.. وهو لا يزال يغنى غناء شجيا...! "... فسرعان ما تنامت إلى أسماعه أصوات شتائم وصفق أبواب من الطلاب المقيمين معه فى نفس الطابق.... فالهدوء هو سمة التحضر... وهو أحد أهم الأشياء التى يتعلمها من يقصد بريطانيا للاقامة لأى غرض كان... فسارع بدخول غرفته... وأغلق الباب.. ولا تزال نشوة الانتصار تتراقص أمام مخيلته!!.

(٦) سلوى مفيد

كدأبها تحرص سلوى دوما أن تحيط نفسها بأكثر عدد من المحبين والأصدقاء والزملاء.. ومن ثم فقد ذهبت فى اليوم التالى للقاء ادجوارد رود إلى القنصلية..

سلوى : لو سمحت ممكن أقابل "الأستاذ" محمد عزمى القنصل..

حـــارس الأمن : أهـــلا يا فنـــدم. سيادتـــك تقصـــدى " محمـد بيه عزمى "..تفضلى انتظرى ريثما أبلغه....(القاب مثل "الاستاذ" "والمدام " تطلق عادة على الاعضاء المعاونين للطاقم الدبلوماسى).

بعد قليل، إستقبلها القنصل محمد عزمى.. فى مكتبه ، وإن كان قد أبدى إستغرابا... للزيارة دون موعد..إلا انه سرعان ما تغلب على شعوره بالضيق فى ضوء التعليمات القنصلية الدائمة بحسن معاملة المواطنين..

- محمد بيه.. بجد أنا حبيت أشكر حضرتك على النصائح الغالية التى قدمتها لنا خلال لقاء أدجوارد رود... أكيد حضرتك مررت بتجربة دراسة..!

تمهل القنصل محمد قليلا.. وكأنه يوازن الأمر داخل نفسه.. هل يخالف قواعده المرعية بعدم إعطاء أى معلومات شخصية أم أن الأمر سيعتبر نوعا من السلوك الوقح (فى بريطانيا.. فإن أى سلوك غير لائق.. أو بمعنى أصح غير متحضر مثل الحديث بصوت مرتفع أو تحريك الأيدى خلال الكلام بشكل مبالغ فيه.. يقال عنه سلوك "وقح "...تحت الضغط النفسى للزيارة.. بدأت أسوار مقاومته تتداعى :

-نعم. فى الحقيقة أنا على وشك الانتهاء من الدكتوراة فى الأمن الدولى... يعنى موضوع قريب الصلة بالعلاقات الدولية

..

- هايل.. ما شاء الله (قالتها بأعلى درجة مصطنعة من الانبهار المفتعل).. حضرتك أكيد بتتعب جدا.. يعنى إزاى تقدر توفق بين العمل، والدراسة،"والمدام والأولاد". (فى تلك الأثناء.. كانت سلوى قد لاحظت عدم وجود دبلة فى يديه.. كذلك خلو المكتب من أى صور شخصية لعائلة.. بل توجد فقط صورة لشخصين مسنين يبدوان والده ووالدته.. إذن كان ذكر لفظى " المدام والأولاد".. نوعا من الفضول الأنثوى المعتاد لسبر أغوار الشخص المقابل.. بغض النظر عما إذا كان هذا التحرك التكتيكى يخفى وراءه أهدافا إستراتيجية أم لا).

- فى الحقيقة أنا مش متزوج.. يعنى العمل عندنا فى الخارجية لا يعطى فرصه كافية للاستقرار فى مصر... (ضبط مخارج الألفاظ والحروف بقدر من التوتر.. وكأنه يوصل لها رسالة.. أنه لا أسئلة شخصية بأكثر مما ينبغى).

-: بس برضه.. أكيد العمل والدراسة معا... طول الوقت.. شئ مرهق جدا..-

-:فى الحقيقة نعم... يعنى فرصة الحياة فى لندن هى فرصة مثالية لاى باحث عن الدراسة... هنا جنة الدراسة فى الأرض.. كل شئ متاح.. الجامعات فى وسط البلد وفى أطرافها.، المكتبات..المواصلات سهلة. بالنسبة لى، فأنا دفعت ثمنا باهظا فى العمل فى مناطق الخدمة الشاقة والخطرة.. حتى أحصل على فرصة الحياة فى لندن..ومن ثم، فأنا أحرص على الاستفادة من كل يوم لى خلال مدة عملى هنا لانجاز الدارسة.. كذلك، إشتركت فى عدد من مراكز الأبحاث الشهيرة مثل (شاتام هوس.. وIISS)) كما أقوم بالتدريس بالجامعة – من حين لآخر بشكل ودى – للطلاب فى مستوى ما قبل التخرج.. كنوع من التدريب الذى يحصل عليه طالب الدكتوراة.

- بجد بجد.. ربنا يوفق حضرتك..مجهود هائل.. يعنى لو سمحت أود أن نبقى على إتصال كى استشيرك فى بعض أمور الدراسة إن احتجت.، حضرتك عارف أنا "علوم سياسية".. كذلك، فأنا أود أن أحصل على تأشيرة شنجن للسفر إلى فرنسا.. فى إطار الدراسة...، وحضرتك عارف.، علشان جواز سفر مصرى.. لازم أنتظر عدة اسابيع"..

-."بالتأكيد.. أنا يسعدنى دوما مساعدة أى مصرى، خاصة إن كان طالبا يسعى من أجل العلم ".. أعطاها رقم المحمول الخاص به..، بالمخالفة للمعتاد، وكذلك عنوان البريد الالكترونى...، ثم طلب جواز السفر.. وطلب منها الحضورغدا..، وسيكون قد أعد لها خطاب توصية الى القنصلية الفرنسية فى لندن.. وسيرسل معها مندوبا من القنصلية لتسهيل الاجراءات قدر المستطاع (المعتاد أن البعثات الدبلوماسية للدول المختلفة تقدم مجاملات وتسهيلات لبعضها البعض.. ايضا كجزء من تقاليد العمل الدبلوماسى).

اختتمت سلوى الزيارة سريعا، أخذا فى الاعتبار أن القنصل - اى قنصل - عادة ما يكون مشغولا.... بالعديد من المشكلات والمكاتبات والمقابلات..، ومن ثم لا يجب استغلال وقته بأكثر مما ينبغى..وعندما همت بالرحيل..قامت بترك علبة صغيرة من الشيكولاته.. فشكرها القنصل برفق مرددا عبارات الامتنان المعتادة، ثم تظاهر بالرغبة فى إستبقائها لفترة.. دون أن يتمسك كثيرا.. ثم قام بتوصيلها إلى أسفل القنصلية ذات الأدوار الثلاثة الكائنة فى 2 شارع لوندر بحى نايتزبريدج الراقى..!!

بعد أن أنجزت الهدف الاجتماعى، عكفت سلوى على تجميع المادة العلمية اللازمة لكتابة رسالة الدكتوراة فور العودة إلى القاهرة تحت عنوان " دور بريطانيا فى الخليج.. دراسة مقارنة بين حربى الخليج الأولى عام 1991 والثانية 2003".. كذلك، فإن عليها أن تجرى أكبر قدر ممكن من الجانب العملى فى البحث الذى يتضمن مقابلات مع سياسيين وباحثين وغير ذلك..

فى نفس الوقت، يجب أن تقدم إعتذارا عن الحضور بالجامعة تخوفا من أى إجراءات تتخذ.. ضدها فهى حاصلة على راتب وإقامة ومصاريف دراسة للحصول على الماجستير...استطاعت سلوى تقديم شهادات طبية تفيد بأنها بحاجة إلى إجراء عملية جراحية إثر كسر بالساق.. وما يتبعها من اسابيع لعدم الحركة.. عن طريق صديق سودانى.. لجأ الى طبيب من بلاده يعمل بمستشفى حكومى بلندن.!

ثم عمدت سلوى.. إلى ارتياد المكتبات يوميا من الساعة التاسعة صباحا وحتى السادسة مساء.. دون إنقطاع... تنهل من الكتب نهلا جما... لانها تعرف أن البديل سيكون سنوات من البحث المضنى بالقاهرة.. ولأنها أكثر عملية، فلقد إستأجرت اثنين من الطلبة من باكستان والفلبين لمساعدتها فى جمع المراجع وتصوير الأوراق وتصنيفها فى ملفات معنونة..، فمثل هذا العمل موجود ومتعارف عليه فى لندن..(أن يستأجر الباحث عددا من الطلاب لإنجاز اشياء روتينية له.. مثل تضبيط الهوامش وكتابة المراجع ومراجعة اللغة وغيرها)..

فى نفس الوقت، رأت سلوى أن أمامها فرصة أن تتعرف على المصريين المتواجدين فى لندن.. لعل وعسى...، فلم تتوان يوما عن الذهاب الى مقر الجالية المصرية.. المنقسمة على نفسها.. فهناك تجمع لذوى المهن الرفيعة..، وهناك تجمع آخر لذوى المهن البسيطة..، وهذا تخلف وعنصرية لا يمكن أن تجدها فى أى جالية أخرى فى لندن..! كما حضرت سلوى كافة التجمعات مثل الندوات الثقافية للزائرين مثل الابنودى أو الحفلات الموسيقية لمحمد منير وغيرهم... وتعرفت بالفعل على عدد كبير من الشباب والرجال.. الذين أبدوا إنبهارا بتلك الطالبة المقاتلة التى تجتهد نهارا وليلا...

تبدى بعد فترة أن الخيار الأكثر عقلانية لها هو القنصل محمد عزمى... هل كان الحرص متبادلا فى ذاك الأمر.. ربما.. فالقنصل كان لديه مثل أى رجل الرغبة فى الزواج والاستقرار.. ووجد فى سلوى نموذجا مشرفا للفتاة المصرية كما ينبغى أن تكون...!! فتحت غطاء الدراسة.. وبذريعتها، تقابل الاثنان مرارا... كان القنصل محمد يسبقها بمراحل فى الدارسة، ومن ثم، فإن لديه خبرة جيدة فى كيفية التخطيط وتنفيذ رسالة الدكتوراة بكل ما يشوب الأمر من صعوبات وإهتزاز نفسى وبدنى... فإعداد رسالة الدكتوراة هو بمثابة سباق مارثون تجريه بمفردك لمدة خمس سنوات أو أكثر.. وأنت حاملا لحقيبة..أو لثقل كبير.. ومن ثم، فأن الأمر يحتاج إلى ترو وتنظيم أنفاس.. حتى لا تستنفذ الطاقة خلال المراحل الأولى للسباق.. فتجد نفسك خاليا الوفاض قبل بلوغ الخاتمة.. بعد وقت طال أم قصر..!!!

كانت سلوى فعلا بحاجة إلى الاسترشاد بخبرته.. فضلا عن الراحة التى كانت تستشعرها فى وجوده. بالمثل كان القنصل مستمتعا بلعب دور الأستاذ الجامعى.. وفى نفس الوقت.. محاولا استكشاف مدى صلاحية هذا "المشروع" أو قابليته للاستمرار.. فهو آنذاك فى أواخر الثلاثينيات.. وكلما تقدم العمر، إعتاد الإنسان على الوحدة وضاقت عليه حلقات الاختيار....، وصعبت مراحلها المتعددة من الفرز ثم الانتقاء ثم الإقتراب الحذر ثم تطوير الهجوم وما شابه...!!

اللقاء الثانى
فى إدجوارد رود

على الرغم من أن الاتفاق المبدئى كان على أن يكون اللقاء أسبوعيا، مثلما دعا الدكتور جورج نسيم..، إلا أن ايقاع الحياة السريع فى لندن، وضغوط العمل والدراسة للمجموعة حال دون أن تلتئم فعليا إلا مرة فى كل شهر أو شهرين..... وعلى عكس اللقاء الأول الذى ساده الهدوء والرغبة فى الاستكشاف والتعارف الحذر، فإن اللقاء الثانى قد إنعكست عليه أريحية كاملة.. بشكل كبير... هل هذا بسبب تناول قليل من الطعام (سندويتشات طعمية.. وقليل من كبدة الفراخ.. وعصائر طبيعية.. وعصير خروب وغيره من المشروبات الشرقية، فللطعام والتدخين فعل السحر فى التقريب بين الشخصيات دون أن تدرى)؟!!.. المؤكد أن دورية اللقاء.. والاحتياج المتبادل للتواصل الانسانى ولو عن بعد،.. قد أحدث أثرا ايجابيا فى التقريب بين أعضاء المجموعة..، لعل ما ساعد كذلك أن الممثلين الرسميين، القناصل، بدأوا..كعادتهم فى الحضور مرة.. والامتناع مرات، باستثناء الملحق الثقافى والقنصل محمد، مما ساعد كثيرا على إزالة التوتر الخفيف الذى تستشعره عند مجالسة مسئولين او ممثلين للدولة!!

كعادته فى الرغبة فى الاستحواذ على النصيب الأكبر فى الكلام، إستهل مدحت الحديث :

مدحت : الحقيقة يا جماعة...، الواحد بدونكم لا يعرف كيف سيكون الحال؟.. الغربة صعبة بجد.. تخيلوا دى المرة الوحيدة فى الشهر تقريبا التى أتحدث فيها اللغة العربية أكثر من ساعة، بخلاف ذلك.. يعنى " يدوبك " صباح الخير.. أو مساء الخير لبعض الطلاب العرب والمصريين...

سلوى : فعلا..الواحد ما يعرفش قيمة مصر إلا لما يسافر!!.

سها : الحقيقة الحياة فى مصر أصبحت صعبة جدا..أصبحت مصر منطقة طرد وليست جذب!

أمنت نادية على كلامها، قائلة: "ليست الحياة فقط.. الشغل كمان.. لو حكيت لكم عن حال الطب فى مصر.. لاخذتكم الدهشة وأصابكم الاستغراب..أطباء تعطى روشتات روتينية دون فحص كاف للمرضى..،مرضى تنقصهم التربية والأدب يعتدون باللفظ والفعل على الأطباء.. نقص الأدوية والاعتماد على التبرعات.. شئ مقزز... أنا حقيقة ارهقت كثيرا من الحياة فى مصر.. "

محمود : الحياة فى مصر صعبة بسببنا نحن المصريين..

أحمد (مبديا قدرا من إستغرابه): إسمح لى يا دكتور اسأل كيف ذلك؟!!

محمود : نحن شعب لم يترق على المستويين الإجتماعى والاقتصادى.. مازلنا فى الأطوار الأولى للتطور.. يعنى لدينا قدر من الصفات الجيدة مثل الجدعنة والشهامة.. ولكن...!!!

(هنا قاطعته سها بحدة) : "معلش يا محمود.... الظاهر أنك كنت تعيش فى قوقعة منعزلة داخل مصر.. شهامة أيه وجدعنه إيه اللتان تتحدث عنهما!!.. هل تعلم ما تتعرض له الفتيات والنساء يوميا من مهانة وتحرش وسباب بصرف النظر عما يرتدينه!!.. وأمام الجميع.. رجال وشباب، فلا يتدخل أحد ولو بكلمة!!..

نادية : صحيح.. مش ممكن.. مجرد السير فى شوارع مصر أصبح كابوسا!!

سلوى : فعلا.. حتى السيدات والبنات المحجبات والمنقبات يتعرضن لكافة أنواع الاعتداء اللفظى والبدنى..،يعنى المشكلة لدينا متجذرة... رغم أن أفلام الستينات والسبعينيات توضح أن نساء مصر كن يرتدين المينى والميكرو جيب دون أن يتعرضن لأى تحرش.. المشكلة فى تغير المجتمع..!!

سها : ليس هذا فحسب.. هل تعلم أن هناك عددا من السيدات العاملات توقفن عن الذهاب للعمل بسبب ما يتعرضن له داخل المواصلات المكتظة من الجميع..بلا استثناء.. أطفال، وصبية، وشباب، ورجال؟!! أظن ما نحن فيه من عدوانية ناتجا عن سيادة ثقافة الزحام.. فالزحام له متلازمته الأخلاقية بكل ما بها من عدوانية ورغبة فى النيل من الأخر بسبب أو بدون.

نادية : كلامك صح يا سها... أه لو تعرفوا ايه اللى بسمعه من الممرضات.. يعنى يمكن نحن الأطباء لنا وضع مختلف.. ولكن المرضى أنفسهم بيتحرشوا بالممرضات.. لدينا صورة سلبية عن الممرضة عموما.. لا أعرف من أين أتت؟، لهذا تجدون المريض بمجرد أن " يشم نفسه " يتحرش بالممرضة...، وللأسف هناك ممرضات يستمرئن ذلك!! أحمد : باختصار.. نحن مجتمع منافق.. ندعى حرصا على الدين والفضيلة... وباسمهما نتدخل فى حياة الاخرين..، يعنى ذريعة إجتماعية وحيلة مكشوفة لممارسة الرقابة على بعضنا البعض...، لو أن كلا منا إنشغل بحاله وترك الاخرين..

لصرنا في وضع أفضل كثيرا!!

محمود : (إستشعر حدة الهجوم عليه) لا يجب أن نقسوا هكذا على أنفسنا كمصريين.. شعبنا لم ينل حظا عادلا من التعليم أو الرعاية الصحية أو التنمية عموما خلال العقود التى خلت.. فكيف إذن تتوقعون النتيجة؟؟!!.. أن نكون شعبا مماثلا للشعب الألمانى أو البريطانى مثلا... هل حصل المصريون على الرعاية التى حصل عليها الكنديون مثلا حتى يكونوا متحضرين مثلهم؟!!

مدحت : (مازحا) الله.. أنت كده هتغلط فى الرئيس مبارك..أطال الله بقاءه.. تعرفوا.. أقولكم حاجة تضحك.. وأنا مسافر على المطار.. وجدت لافتة كبيرة على مدخل مدينة الزقازيق.. مرسوم عليها صورة لمبارك.. وتحتها عبارة " معك إلى النهاية يا مبارك".. فضحكت بينى وبين نفسى... فعلا.. نحن نسير معه إلى النهاية المحتومة...!!!

تبادلوا ضحكات وابتسامات... ولانت سها قليلا.. فلم تمانع أن تفرج شفتاها عن إبتسامة قصيرة على طرفة مدحت... إلا أن محمود عزم على إعادة الجدية إلى فحوى المناقشة!!

محمود : بالنسبة لمشكلة التحرش.. يجب أن نكون موضوعين.. هناك أزمة زواج.. وشباب لديه طاقة جنسية... لا حياء فى الدين أو العلم.، ولا يمكن أن نتوقع من الشباب أن يكون قدسيين.. وأن تكون كل الفتيات " الأم تريزا".

سها : محمود.. "بليز" (من فضلك) أنت تتحدث بأسلوب نظرى.. طيب إذا كانت هذة مشكلة زواج كما تقول.. فلماذا يتحرش الأطفال والصبية؟!.. ولماذا يتحرش المتزوجون الذين تعدوا العقد الخامس والسادس؟!!.. هل تعرف أننى فى مصر لا أستطيع أن أمشى أكثر من 200 متر.. دون أن أتعرض للمعاكسة.. (زى ما انتم شايفين لا ألبس القصير ولا العريان)...

أحمد.. (بأسلوبه الساحر الذى لا تعرف له جدا من هزل).. ما هم برضه معذروين يا سها.. هيشوفوا فين حاجة زى كده..!!!

إنفرجت أسارير سها قليلا من المجاملة، فتظاهرت بالاستحياء والخجل!!!. بينما إجتهدت كل من نادية وسلوى على أن تضفى على وجهيهما ملامح عدم الاهتمام.. أو التظاهر بعدم السمع الذى يخفى ضيقا.. إذ لا يوجد أسوأ على نفسية المرأة من أن تمتدح أخرى أمامها.. أحمد بخبرته النسائية كان يعرف ذلك.. فسرعان ما إستدرك قائلا.. " شوفوا يا بنات.. أنتم مستوى جمالكم أعلى من المصريات عموما...، يعنى أنتم الثلاثة.. لابد أن تلفتوا الأنظار أكثر من غيركن بالشارع.. هذة حقيقة مؤكدة". تظاهرت البنات الثلاث بعدم الإهتمام وكأنه يقول أمرا واقعا لا مراء فيه... عموما أحدث احمد - رغم كذبه - إرتياحا وقبولا لديهن!!

Obeikan.com

محمود : انا أعتقد أن المشكلة لها أبعاد كثيرة.. (قالها بصوت محتقن قليلا من مقاطعة سها المستمرة له).... " منها ما هو متعلق بضعف تطبيق القانون.، ومنها ما هو متعلق بسيادة ثقافة إستحلال الحرام.، يعنى الشاب المتحرش يستحل جسدا ليس له حق به.، ومنها ما هو متعلق بالظلم الاجتماعى الاقتصادى..،يعنى الفقير الذى يعيش فى المناطق العشوائية.. يقوم مثلا.. مثلما حدث فى عيد الفطر فى وسط البلد.. بالانطلاق بشكل همجى للإنتقام من المجتمع فى صورة التحرش بالنساء...، كذلك، فأن المسألة لها بعد نفسى.. هناك أشخاص يتلذذون بأن يلعبوا دور " الأقوى".. ويستمتعون برؤية مظاهر الرعب والخوف ومحاولات الفرار من جانب مخلوق أضعف جسديا...!!

-يبدو أن سها إستشعرت أنه ليس من اللائق أن تواصل ردودها الحادة على محمود.. فأردفت قائلة " ايوة.. يا محمود.. كل دى أسباب محتملة...، هذا لا يمنع أننا صرنا شعبا متخلفا... فى نظرتنا للمرأة عموما.. شعبا يتعامل مع بعضه مثل البهائم.. بلا عقل.. هل المرأة.. أى مرأة.. تفقد الرجل صوابه بهذا الشكل.. بالطبع لا.. لدينا خلل نفسى.. وإجتماعى واقتصادى.. وسياسى أيضا"..

مدحت : ما توحدوا الله يا أخوانا... وبلاش " سياسى " دى... ولا أنتم مؤمنين بفكرة فيلم النوم فى العسل بتاع عادل أمام... يعنى القهر السياسى هو الذى يضغط على أعصاب الناس.. ويجعلهم أما يفقدون القدرة الجنسية أو يمارسون الاستبداد على بعضهم البعض...!!

أحمد : الحقيقة يا دكتور مدحت.. أنا غير متفق مع حضرتك...، يعنى ما شاء الله.. إحنا سمعتنا الدولية عال العال... تعرف أن هناك برامج سياحية فى الغرب تروج للسياحة فى بلادنا من أجل الشباب المصرى...، يعنى عاوز أقول.. أننا كمصريين بخير.. ونسد فى أى موقف... بس أحد عيوبنا أننا دوما نبالغ فى كل شئ...، صحيح توجد مشكلة تحرش... مثلما توجد فى دول أخرى...، أنا شخصيا لما أجد واحدة من الأجنبيات اللاتى إلتقيهن بصفة دورية سواء فى البحر الأحمر أو سفرياتى للخارج تشتكى من التحرش... أضحك وأقول لها.. (وأنت زعلانه ليه.. الناس بتيجى مصر علشان كده)..!!

تدفق نهر الكلام فى هذا اللقاء وما تلاه بسهولة ويسر بين الجميع..،ليكسر حدودا.. ويتجاوز منحيات..،ويغمر أراض..، ويوطد أواصر.. ويأز الجميع أزا.. نحو مزيد من الألفة.. تجعلك تنسى من هم حكوميين بطبعهم - مثل القنصل والملحق الثقافى -، ومن هم دارسين سواء على نفقة الدولة أو على نفقتهم... فلا يوجد أفضل من مناقشة مع طعام.. لتخليق كيمياء الصداقة بين شخصين أو عدة اشخاص.... ومن مشكلة التحرش إنساب الكلام إلى شئون الحكم فى لقاء آخر...بات الجميع إذن لا ينى عن تلاقح الافكار وتصادم الرؤى فى لعبة ذهنية ممتعة!

محمود : أنا عن نفسى.. أرى أن مشكلة مصر الرئيسية هى الجمود.. الجمود فى كل شئ.. الجمود فى التفكير.. الجمود فى أساليب العمل.. الجمود فى قواعد الترقى والإختيار.. الجمود فى العلاقات الاجتماعية.. حتى الجمود فى نظام الحكم..... إحنا فعلا...عندنا مشكلة فى نظام الحكم.. نظام الحكم الحالى.. لا يعنيه شيئا إلا التوريث... كل شئ معطل فى مصر من أجل هذا الهدف الذى يسمو فوق ما عداه... لدى أصدقاء مهمين فى وزارات مختلفة يقولون لى إن ثمة مشروعات كبرى مؤجل تنفيذها إنتظارا للرئيس القادم كى يدشن بها عهده... حتى كرة القدم مسخرة لخدمة هذا الهدف.... يعنى الكل منتظر نهاية 2011 لتبدأ حقبة جديدة... هل تصدقون أن ثمة تنازلات سياسة تقدم لتأمين عدم إعتراض الغرب.. أو لنقل الولايات المتحدة وغيرها.. على مشروع التوريث... مش ممكن.. البلد كلها معلق مصيرها.. على رجل واحد وإبنه.. زى محلات التوفيقية زمان... المحل لصاحبه الحاج فلان الفلانى.. وولده علان!!

ضحك الجميع... التقطت سلوى خيط الكلام...

-" موضوع الماجستير الخاص بى كان عن تنامى الديمقراطية فى القارة الأفريقية... عدد من الدول الافريقية أصبح سجلها فعليا فى التطور الديمقراطى أفضل من مصر.. يعنى دول مثل كوت دى فوار أو كينيا أجرت انتخابات وفازت أحزاب وخسرت أخرى... ولكن الموضوع له أبعاد أخرى كثيرة..يعنى لا يجب أن نتسرع فى الحكم بل ننظر للأمر بتعقيداته كلها"..

مدحت (هز رقبته يمينا ويسارا ثم ابتسم ابتسامه الأريب قائلا" بخبث الفلاحين ") :.. يا جماعة خلى بالكم.. احنا قاعدين مع الحكومة.. سيادة القنصل محمد... والملحق الثقافى.. يعنى مش عاوزين نحرجهما.. ولا نودى أنفسنا فى داهية... هاهاهاها..

يضحك الجميع... إكتفى القنصل محمد بالتعليق...قائلا: " لا تخف... الكلام ده كان زمان.. دلوقت لا السفارات ولا القنصليات تقوم بالتجسس على المصريين بالخارج.. أو كتابة التقارير عنهم.. يعنى لدينا ما يكفى من مهام.. كما أن الدولة غيرت من منظورها الأمنى.. بالعكس.. كلما كثر الكلام وإزدادت الفضفضة.. كلما كان ذلك أفضل لإستقرار نظام الحكم.. فالناس فى مصر.. تعمل بالكلام.. وتتحدث بالكلام... وتكتفى بالكلام..وترتاح بالكلام.. وهذا هو الوضع المثالى لأى نظام حكم..!!

إلتقط جورج نسيم الملحق الثقافى الخيط متابعا – فهو بحكم الوظيفة أكثر حرية من العضو الدبلوماسى.. أو بمعنى أصح اقل فى الدرجة التمثيلية منه ومن ثم، فإنه يستشعر قدرا أكبر من مساحة التعبير عن الرأى بعيدا عن قيود الوظيفة -: "الدنيا دلوقت صارت مفتوحة.. واللى عاوز

حاجة يقولها..... بأمانة... أقولكم.. إنكم على حق.. فعلا نصيب بلدنا من التطور الديمقراطى ليس كبيرا... وزى ما انت عارفة يا سلوى (نظر إليها ليرصد رد فعل كلماته عليها).. هناك نظريات كثيرة بشأن التطور الديمقراطى.. ولكن ما يهمنى أن اقوله.. هل توجد دولة عربية فى منطقتنا تتمتع بهذا القدر الكبير من حرية الرأى فى الصحافة والاعلام... الرئيس نفسه يسب ويلعن فى مقالات ابراهيم عيسى وعبد الحليم قنديل اسبوعيا...، التلفزيون المصرى نفسه يعرض موضوعات غاية فى الحساسية بكل حرية... دون أن يعترض أحد...!!

سلوى.: "آسفة يا دكتور جورج.. لم أفهم كلامك.. يعنى إيه نظريات التطور الديمقراطى.. ما هى أما أن تعطى الديمقراطية أو لا تعطيها على الإطلاق.. الديمقراطية،بالتجزئة، أمر لا يمكن قبوله.."

أجاب الملحق الثقافى : "نعم يا دكتورة.. ما قصدته أن هناك رؤى عديدة للديمقراطية... هناك مدرسة فكرية..ترى أهمية أن تتناسب الديمقراطية مع مستوى التعليم...، أى أنه يجب إعطاء جرعة من الديمقراطية بما يتناسب مع حالة التعليم والأمية فى المجتمع....، فلا حرية فى ظل الجهل. وتغييب العقل، فالأميون البسطاء هم مثل ثقل كبير جاثم على صدر المجتمع يمنعه من الإنطلاق. وهناك مدرسة فكرية أخرى ترى أن التعليم وحده لا يكفى كمعيار لتحديد المستوى الديمقراطى المعقول...، بل يجب أن يؤخذ فى الاعتبار تطور المستويين الاقتصادى والاجتماعى، جنبا الى جنب مع التعليم...، لان أى نتائج تفرزها العملية الديمقراطية... لا يمكن أن تكون معبرة عن ارادة الجماهير.. اذا كانت تلك الجماهير مغيبة.. سواء بفعل الأمية وغياب الوعى... أو فقيرة مكبلة بقيود الحرمان وشظف الحياة.... الخ..."

محمود.. "لكن يا دكتور... لو سمحت لى هناك دول عديدة طبقت الديمقراطية مثل الهند... فهى دولة يمكن أن تكون مثالا لديمقراطية كبرى بينما اغلب مواطنيها فقراء وأميين مثلا."

جورج نسيم : "لحظة بعد إذنك يا دكتور محمود...، دعنى فقط أكمل الفكرة.. على النقيض من ذلك، هناك مدرسة فكرية... توصى بأن الديمقراطية لابد أن تنشأ وتتنامى أيا كانت الظروف والمحددات...، أى أن تطبق دون الأخذ فى الاعتبار مدى إستعداد أو جاهزية الجماهير للتعاطى معها والإلتزام بنتائجها... ظنا بأن العملة الجيدة تطرد العملة الرديئة من السوق...، وأن الجماهير سوف تتعلم من أخطائها، وأن النظام الديمقراطى سيصوب نفسه بنفسه بلا شك ولو بعد حين.. فإذا أساءت الجماهير الإختيار، فأنها سوف تصحح إختياراتها بعد حين. إذن ما أردت أن أوضحه يا دكتورة سلوى... أن الخيار الديمقراطى.. وإنتهاجه كأسلوب حياة ليس بالأمر الهين أو السهل.....

كما أن الديمقراطية فى نظر بعض المفكرين.. ربما منهم افلاطون ذاته، ليست أفضل نظام حكم... على الإطلاق..."

سلوى :.. "عذرا يا دكتور جورج... ماذا تعنى بأن الديمقراطية ليست أفضل نظام حكم.. ماذا تقصد إذن.. أن تحكمنا النظم الأمنية و العسكرية أم ماذا تحديدا...؟!!

جورج نسيم : "على رسلك يا دكتورة... أنا لم اقل أن هذا هو رأى الشخصى.. فقط وددت أن أشير الى أن بعض كبار المفكرين والفلاسفة.. لربما إعتقدوا أن الديمقراطية أو حكم الشعب لنفسه.. ليس الأفضل تأثيرا لصالح الشعوب والدول...، ربما مثلا كانوا يقصدون حكم النخب.. الاكثر تعليما أو مالا أو نفوذا... وهكذا....

محمود : "الديمقراطية... تحولت فى الغرب إلى شئ مقدس. صارت مثل " الدين".. هؤلاء قوم إختاروا الديمقراطية وحقوق الإنسان لتكون دينا لهم... يعنى من العبث أن نظن أن نظرتنا إلى الديمقراطية...، وبالتالى إمكانية تطبيقها فى بلادنا...، ستكون مماثلة أو مطابقة لما هو قائم بالغرب..

أحمد : "صحيح يا دكتور محمود... لا يجب أن نقارن أنفسنا بأحد.. بالأمس كنت أحضر محاضرة لفوكاياما...،صاحب مقولة.. نهاية التاريخ التى قلبت العالم رأسا على عقب قبل نحو 15 عاما أو يزيد...، فى المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية IISS... سمعته يقول.. أنه لا ينبغى أن نتوقع ديمقراطيات على النمط الغربى الليبرالى فى الدول الشرق أوسطية..، وأن ما يناسب تلك الشعوب هو نوع من نظم الحكم التى يمكن مساءلتها.. أى مجرد حكومة يمكن مساءلتها أمام برلمان منتخب. المقصود بذلك أن نجاح حماس فى إنتخابات غزة قد قلب حسابات هؤلاء حول جدوى الديمقراطية فى منطقتنا رأسا على عقب...!!

سلوى : "ما قاله فوكاياما يا أحمد يناقض أطروحته الخاصة بنهاية التاريخ.. والتى ذكر فيها أن الفكر قد وصل أوجه باعتناق الديمقراطية الليبرالية..، وهذا ما يجب أن يسود العالم كله..أنا درست تلك المقالة فى الكلية ومازالت أذكرها!!.

أحمد : " لا يا سلوى. هو علق فى المحاضرة على تلك النقطة، وذكر أن أطروحته الجديدة لا تتناقض مع أطروحته القديمة. فهو مازال مقتنعا بأن الديمقراطية الليبرالية على النمط الغربى هى غاية التطور الانسانى... - هى بالنسبة له الفكرة المتألقة التى ستبقى دوما أعلى نقطة فى سنام الفكر السياسى -،ولكنه يقر أيضا أن شعوبا ودولا غير مؤهلة بعد - لأسباب مختلفة - للتعاطى معها... إى إعتناقها أو تحمل نتائجها بالكامل...".

سها : " هذة وجهة نظر خاطئة تماما.، الديمقراطية مثل الدواء.. يصلح لكل البشر... هل هناك

دواء يصلح لأجناس من البشر ولا يصلح لغيرهم..."

نادية :" تماما... هم ينظرون لنا بعنصرية...، أنا إستشعرها تحت الجلد، وفى النظرات.. حتى وإن لم يعبروا عنها شفاهة"..

مدحت : "الحق يا دكتورة.. هم قوم عنصريون...، ولكن ما يمنعهم من الكشف عن عنصريتهم البغضية هو حكم القانون. الكل يخشى سيف القانون وسطوته، بالاضافة إلى أن لديهم قناعة أن الشخص العنصرى المتعصب هو شخص متخلف.، يعنى العنصرية هى صنوان التخلف... ومن ثم، فهم يكبتون تلك المشاعر بقوة القانون أو بمدى حرصهم أن يبدوا متحضرين "!..

محمود : " يا جماعة أنا أذكر مناقشة لى مع أكاديمى ليبى اسمه أحمد الأطرش، إلتقيته ذات مرة فى مؤتمر بجزيرة هالكى باليونان.. الحقيقة أنا وجدته على عكس كل من التقيت من الليبيين - بحكم العمل - جريئا فى نقده للقذافى وسياساته الخرقاء..، وسألته عما إذا كانت شعوبنا فى المنطقة العربية مؤهلة للديمقراطية... فتخليوا ماذا كانت الإجابة؟!!!

-توقف محمود لبرهة من الوقت لزيادة التشويق والإثارة، حتى إذا ما تيقن من ذلك ذكر أن الأكاديمى الليبى أجاب قائلا " بالطبع لا..، فالديمقراطية ثقافة وأسلوب حياة.. وليست مجرد أسلوب حكم... ما معنى ذلك؟!!.. أن الزوج العربى لا يمكنه أن يقهر زوجته وأبناءه بالمنزل ثم يمارس العملية الديمقراطية بعد ذلك عن إقتناع.... غاية الأمر أننا سنحصل على بعض مظاهر وشذرات الديمقراطية هنا وهناك.، وليس أبدا جوهرها"..

مدحت : "كلام إيه ده يا دكتور محمود... مع إحترامى لك ولصديقك الليبى.. شعوبنا لديها مفاهيم الشورى منذ آماد بعيده... والشورى قريبة نوعا من الديمقراطية...ولا مؤاخذة يعنى.. هو صديقك... لم يسمع عنها".!

قاطعه محمود بحدة قائلا... " أيوة صحيح يا دكتور مدحت.. ولكن الديمقراطية شئ.... والشورى شئ أخر"...

مدحت : (متحفزا مشرئب العنق) "إزاى يا دكتور؟!!... ممكن تشرح لنا"..

محمود (وقد انفرجت أساريره بعدما تيقن من أنه سيسيطر حتما على فحوى المناقشة.. وأنه سيلعب ما تبقى من الوقت دور الأستاذ المحاضر)... " زى ما أنتم عارفين (كان يقصد فعليا زى ما أنتم غير عارفين) هناك آراء متعارضة فى الفكر الاسلامى بشأن الشورى.هناك من يرى أنها ملزمة للحاكم، وهناك من يرى أنها غير ملزمة.. أى أن الحاكم وجب عليه أن يستشير أهل الحل والعقد.. -يعنى شئ مثل البرلمان فى زماننا الحالى...-، ثم له مطلق الخيار أما أن يأخذ بنتيجة الشورى أو لا

obeikan.com

يؤخذ بها "!..

مدحت :... (وقد بدا أنه عازم على منافسة محمود فى دوره الجديد فهو بحكم السن أكبرهم.. وبالتالى فهو يتوقع تراتيبة خاصة فى الحديث تجعله أحد مراجعه على أقل تقدير)... "شوف يا دكتور محمود....فى تقديرى الخاص، فإن الشورى فى الإسلام وضعت لضمان عدم تغول الحاكم أو إساءة إستخدام سلطاته عن طريق الإستبداد. مثلما تعرفون مقولة.. سيدنا أبو بكر.. وليت عليكم ولست بخيركم... وما معناه أنه لا يمانع من أن يقومه أحد إن وجد فيه إنحرافا أو ميلا عن جادة الصواب.. إذن الشورى بهذا النهج – على أغلب الظن - وأنا لا أفتى فى الدين عموما – هى إحدى ضوابط الحكم.. ومن ثم فهى ملزمة. وهى تتشابه فى مناحى عديدة مع الديمقراطية... ما هو جوهر الديمقراطية.. يا سها (للفت انتباهها)؟!!.. ما هو الشئ الذى تستند اليه يا دكتورة نادية؟!... هو حكم القانون... ولا شئ فى الثقافة الإسلامية أهم من العدالة، وحكم القانون على الناس سواسيه".

أحمد:- (متدخلا فى النقاش بقدر محسوب حتى لا يزعج نفسه) – "أنا عندى فكرة معينة.. أن التخلف بدأ فى التاريخ الاسلامى منذ إنتهاء عهد الخلفاء..- أى الذين تم مبايعتهم بالاختيار - مع قيام الدولة الأموية التى إستهلت سنة توريث الحكم... من هنا يمكن أن نتبع بدء إنتشار فيروسات التخلف والإستبداد ببلادنا".

محمود : "حتى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة أنفسهم كان مليئا بالفتن والاحتقان..، والتى قتل فيها ثلاثة منهم، ثم جاءت أحداث الفتنة الكبرى، والتى قتل فيها الألاف ومنهم سيدنا الحسين وعشرات من آل البيت تحت سنابك الخيل".!.

سلوى : "يا جماعة هل تقولون أن ثقافتنا الاسلامية العربية مع أو ضد الحكم الديمقراطى.. إن التاريخ الاسلامى.. لا يصلح أن يكون "...!!!

محمود: (مقاطعا) "ما معنى مقولة التاريخ الإسلامى يا سلوى؟؟.. التاريخ هو التاريخ فى كل مكان... لا يوجد تاريخ إسلامى أو تاريخ غير إسلامى. التاريخ هو تفاعلات أشخاص وأحداث، ولا يجب أن ينسب لدين معين.".!

مدحت : "كيف ذلك يا دكتور محمود.؟!.. ماذا نسمى إذن دولة الرسول ودولة الخلفاء... والفتوحات الاسلامية؟؟؟"!.

محمود : "شوف يا دكتور مدحت... (هكذا كانوا يحافظون على الألقاب لتوقير أنفسهم لاسيما فى الجلسات واللقاءات التى يحضرها القنصل والملحق الثقافى)...يمكن أن نطلق على دولة الرسول..

إسم التاريخ الإسلامى أو الدولة الإسلامية، ببساطة لأن القائد كان هو نفسه الرسول (صلى الله عليه وسلم)...، أما الخلفاء الراشدين، فهم بشر مثلى ومثلك.. وعموما يمكن التجاوز ووصف فتراتهم، مع بعض التحفظ، بالتاريخ الاسلامى.. أما موضوع الفتوحات الاسلامية... آسف قصدى " الفتوحات "، فهى مجرد أفعال بشر.، منها ما هو جيد ورديئ...، ومنها ما إستهدف خيرا مثل نشر الرسالة أو مقاومة الظلم والاستبداد..، ومنها ما كان دنيويا بحتا يستهدف توسيع الملك العضوض...، بالمناسبة معنى العضوض.. هو الحكم الذى يعض اليه بالنواجز.. كدلالة على شدة التمسك به.."!!

طوال الحديث.. كانت سها ترقب محمود باهتمام. تبدى لها.. أنه بالفعل إنسان مثقف.. فحدثت نفسها : "ترى لماذا لم تتزوج يا محمود حتى هذا السن؟؟..، بالتأكيد هو يقترب من الأربعين وناجح فى عمله... والدليل على ذلك أنه وجد رفاهية القرار بالدراسة وهو فى هذا السن، وعلى نفقته، يعنى هو بالضرورة مرتاح ماديا جدا"!!..

التقطت سها خيط الحديث قائلة "... يا جماعة دعونا نعود لموضوع الديمقراطية.. حتى لا تتوه الكلمات وتختلط الحقائق، ما فهمته منكم هو أن قرار الديمقراطية هو قرار خطير مشوب بالمخاطر وله تبعات...، وما لم أتيقن منه هو مدى إقتناعكم بجدوى الديمقراطية وملاءمتها بالنسبة لبلد مثل مصر.. مازال غارقا فى بحور الأمية والفقر والجهل.. بسبب فشل الخطط التنموية بعد انقلاب 1952.."!!

مدحت: (مستنكرا)... هو بقى إسمه إنقلاب يا دكتورة سها... منذ متى ان شاء الله؟!!... لولا الثورة ما كانت مصر هى مصر...، وما كان العالم الثالث هو العالم الثالث..، ولو مؤاخذة يعنى هل تعرفين أن هناك أحزابا ناصرية موجودة حتى الان فى بعض دول أمريكا اللاتينية."..؟!!

سها :(بقدر من الارستقراطية المشمئزة)..." يا دكتور مدحت.. أنا أعبر عن رأى.. وبالفعل أعرف أن هناك طبقات معينة إستفادت من الحقبة الناصرية...، يعنى ممكن يكون هناك تعاطف لأسباب اقتصادية أو إجتماعية معروفة(تعمدت إغاظته ضمنا حتى لا يعلق سلبا على كلامها مجددا).. ولكن عبد الناصر نفسه هو من قتل الديمقراطية فى مصر...، هو من رفض إعادة الجيش الى مكانه، وإعتقل محمد نجيب أول رئيس لمصر، ونظم مظاهرات منادية بسقوط الديمقراطية.. ورسخ لحكم الفرد.. و..."!

مدحت : "كلام إيه ده يا "آنسة" سها (قالها مع الضغط على حروف كلمة "أنسة".. وكأنه يتعمد أغاظتها بدوره).... ما يمكن يكون عبد الناصر كمان هو المسئول على كل مشاكل الكون بعد أربعين سنة من وفاته... كل حاكم وله ظروف عصره.."..

سها : "مدحت (بقدر من العصبية)... لا داعى للنقاش يبدو أنك متعاطف معه... (قالتها وكأنها تلمح الى أن أصولة الريفية المتواضعة هى التى جعلته متعاطفا مع عبد الناصر)".

مدحت :.." (ولقد إلتقط فحوى رسالتها)... " تماما يا آنسة سها... إحنا الغلابة فى مصر.. الذين إستفادوا من الاصلاح الزراعى...، ووجدنا فرص التعليم المجانى فى عهده..، وحظينا على شرف مجاورة أبناء وبنات الذوات.... بالمناسبة يا سها تعرفى لماذا يعتبر قيام عبد الناصر بمصادرة أموال الإقطاعيين حلال مائة فى المائة؟ "!..

سها :(بكثير من الضجر)... لم؟

مدحت :.. "لأنه أصلا لم يكن هناك أبناء ذوات شرفاء... من أين أتوا بآلاف الفدادين من الأراضى الزراعية؟!!... ببساطة لأن منهم من تعاون مع الإحتلال الإنجليزى..، ومنهم من تعاون مع حكام أسرة محمد على، واشتغلوا خدما وبل خونة ضد بلادهم."!!..

سها : " ما هذة النظرة المتخلفة يا مدحت؟!!...وطلعت حرب باشا... ورجال الصناعة والتجارة والعلم الخيرين مثل اللوزى والنابلسى والسنهورى وغيرهم..هل كل هؤلاء خونة وفاسدين؟!!

مدحت :(بذات الدرجة من الضجر)... "بالطبع لا... ولكن هم الإستثناء الذى يثبت القاعدة.. الأغنياء أنذاك كانوا يرفلون فى النعيم..، بينما الشعب المصرى يعامل كالفقراء الاجراء... حتى أنه كان هناك مشروع قومى لمكافحة الحفاء.."!!

لمح أحمد فى الافق بوادر تأزم بين سها ومدحت فقال :".. يا جماعة دعونا من ناصر.. الذى ما زال يشغل الناس من بعد وفاته بعقود".. هل معنى مناقشتنا.. أن الديمقراطية مناسبة أم غير مناسبة لمجتمعنا.."؟!!

نادية : "أعتقد أن الديمقراطية.. هو أسلوب الحكم الامثل الذى يضمن العدالة المجتمعية والتطور نحو دولة حديثة..، كل ما عدا ذلك هو حجج يرددها الطغاة.. والأكاديميون الفاسدون المحيطون والمنتفعون بهم...، أى شأنهم فى ذلك شأن شيوخ السلطان الذين يبررون الفساد والإستبداد تحت دعاوى الدين..!!

سلوى: (بحكم التخصص.. أحبت أن تلعب دور مقرر المناقشة..، وأن تلخص النتائج..، بعد أن تضفى عليها لمستها الشخصية).. " بالتأكيد يا جماعة... الديمقراطية زى ما ذكر الدكتور محمود هى أسلوب حياة وليست حكم...، و تطبيق الديمقراطية لها مدارس كثيرة ومخاوف عديدة ومعايير بعضها متناقض مثل ما قاله الدكتور جورج نسيم..، وأن تاريخنا ملئ بالفرص التى ضاعت سواء بسبب سوء التقدير السياسى أو ظروف أخرى مثلما قالت سها...، وبالتأكيد زى ما قال الدكتور

Obeikan.com

مدحت أن الديمقراطية والشورى بينهما متشابهات كثيرة.. يعنى ثقافتنا ليست متعارضة مع الديمقراطية...على هذا، يمكن أن نقول أن الديمقراطية هى خيار لنا.. ولكنه خيار صعب.. ملئ بالمخاطر.. ويحتمل النكسات.. والضربات الارتجاعية... ولكنه هو الأسلوب الوحيد للحكم... ويمكن هذة هى الرؤية السائدة حاليا فى مصر أى التقدم بحذر نحو الديمقراطية تجنبا للنكسات..إيه رأيكم بقى بالذمة... مش أنفع "رابورتير" الجلسة -.. ولا إيه؟!!..

رغم أن جملتها الأخيرة كانت محرضه على مزيد من الاسترسال فى النقاش، إلا أنه تبدى أن الجميع قد سئم الإستطراد،خاصة أن الوقت بات متأخرا بعض الشئ... ورغم أن " أدجوارد رود " عادة لا تهدأ أبدا الحركة به، إلا انه فى تلك الأوقات قد يظهر أفراد لا يبعثون على الارتياح... ليسوا مجرمين... ولكنهم ممن يعاكسون الفتيات. فتوافقوا على الرحيل... غير أن مدحت وسها.. ومحمود... اصروا على التنويه على أهمية استكمال النقاش فى اللقاء المقبل... وكأن أى منهم لم يستشعر أنه حسم النقاش لصالحه.. فى هذة المرة..!!

ثم تبادلوا جميعا الهمهمات والابتسامات للتدليل على استحسان الفكرة..، ثم تظاهر أحدهم بالرغبة فى دفع الفاتورة بمفرده ليستنهض إعتراضات الاخرين..، ثم ليتقاسم الجميع الفاتورة مثلما هو معتاد، وليغادر كل منهم إلى وجهته ممتلئا بالطاقة الايجابية مثل تلك التى يولدها تواجدك بالقرب من أشخاص تستشعر ودا وقبولا معهم...

الفصل الثالث

وتستمر المحاولات

obeikan.com

(١) محمود عز الدين

-" مرت على أسابيع رتيبة بعد انقطاع الصلة مع إيمليا مثلما قررت هى..!! حقيقة الأمر لا أتفهم سر ثورتها... كان خطؤها أن توقعت من العلاقة ما هو أكثر مما أريد أنا!... لم يصدر منى ما يشير إلى اعتزامى أو نيتى الوصول الى تلك المرحلة!!... لعلها إختلاف الثقافة... فالجنس فى الثقافة الغربية هو أحد أساليب الاستمتاع بالحياة أو ضروراتها مثل الأكل والشرب والنوم...، ومن ثم، فأنها لم تتفهم أنه إذا كانت علاقتنا تطورت على مدار الأسابيع الماضية... وخرجنا سويا مرات ومرات... فلم لم أعبر عن رغبتى فيها؟!!.. لعل كبرياءها كأنثى قد تعرض للجرح أو الإهانة لأنى بديت زاهدا فيها أو متعففا عن النوم معها."..

-" عموما هى حرة... لا يمكننى أن أتخطى الضرورة الدينية بأى شكل كان.. فلتغضب إذن كيفما تشاء. لن أغير نفسى – وأنا فى هذا السن –إستهدافا لأى متعة عابرة."..

- كان حديث محمود مع نفسه للتغطية عن حالة الإحباط الذى إستشعرها بسبب غياب إيمليا التى ملئت فراغا فى حياته.. وجود الأنثى فى حد ذاته فى حياة الرجل بمثابة إمتاعا له. شئ يلطف الأجواء، ويضفى عليها قدرا من حيوية الحياة. الأنثى هى سر الحياة، ومثلما أورد يوسف زيدان فى رواية ظل الأفعى. بأن المرأة كانت بمثابة آلهة فى الأزمنة الغابرة... ونقل عن المفكر والفيلسوف ابن عربى قوله أن المكان الذى لا يؤنث لا يعول عليه...!!.

لكسر حالة الملل والوحدة، إعتاد محمود السير يوميا ليلا فى منطقة البيكاديللى...، وذات مرة وجد ساقاه تحملناه إلى إحدى دور السينما بميدان ليبستر الشهير الذى يحج إليه كبار ممثلى السينما العالمية لإفتتاح عروض أفلامهم. أخذ ينتظر فى الطابور أمام السينما، فالانتظار فى الطابور والالتزام به، مع ترك مسافة لا تقل عن 50 سنتيمتر بين الشخص ومن يسبقه ويليه من سلوكيات التقاليد البريطانية والشعوب المتحضرة. ليس هذا فحسب، بل لابد أن يترك المنتظر فى الطابور

مسافة لا تقل عن متر ونصف أو أكثر بينه وبين الشخص الذى يقف أمامه إن وصل هذا الأخير إلى شباك التذاكر... وكأنه سيتحدث مع عاملة بيع التذاكر فى أمور عائلية هامة أو شديدة الخصوصية. المرام من ذلك هو الحفاظ على المسافات بين البشر.. حتى يشعر الجميع بإرتياح لا تشوبه شائبة عند إخراج المحفظة أو كتابة الرقم السرى لبطاقات الائتمان وغير ذلك..!!. لم يتنبه محمود إلى كل تلك القواعد، فتقدم دون أن يدرى الى أن صار بجوار الفتاة التى تسبقه أمام شباك التذاكر...، سويا ومعا، مثلما هو الحال دائما فى بلادنا... فدار الحديث التالى :

-عاملة بيع التذاكر :... هل تسمح لى يا سيدى؟.. يجب عليك أن تعود إلى مكانك فى الطابور.. أود أن أتحدث مع تلك الشابة بشكل يحترم الخصوصية؟.

- محمود : أووه....آسف لم أتبنه... يبدو أننى كنت شاردا... عفوا...

-ايلينا : لا عليك.. لقد إوشكت أن أنتهى من شراء التذكرة.. فلتسمحى له يا سيدتى بأن يبقى قليلا... أنه يبدو غريبا.. أليس كذلك؟؟...

-عاملة بيع التذاكر : (بشئء من الضجر).. كما تريدين سيدتى..

-محمود : أنا أسف حقا... لم أقصد أن...

- إيلينا : من فضلك.. لا عليك..لم تحدث مشكلة...!!

عندما إنتهى من شراء تذكرته، وجد محمود إيلينا تقف بجوار باب الدخول، فابتسمت له قائلة.. "مازال أمام بدء عرض الفيلم.. نحو نصف ساعة.. يمكن أن نذهب لتناول الشاى هنا أو هناك؟".

إبتسم محمود لتلك الدعوة المفاجئة. فى الواقع لم تسعفه سرعة البديهة للقبول أو الرفض...، فسار معها إلى محل بيع الأيس كريم "هاجن داز"، واشترى لها علبة صغيرة.. فدعته بدورها إلى تناول كوبا من الشاى بعد ذلك.. فى المقهى المجاور له.

-أنا إسمى محمود... من مصر..أدرس الدكتوراة فى القانون..

-سعيدة بلقائك يا محمود...إسمى إيلينا... إنجليزية من لندن.. أعمل محاسبة بشركة بترول كبرى لقد سبق لى أن زرت المنطقة.. مصر وإسرائيل والأردن التى مكثت بها عدة شهور.. واستمتعت جدا بالجولة..

-حقا.. ومتى كان ذلك؟!

- قبل أعوام.. كنا ندرس فتح فرع للشركة فى المنطقة..

-وعذرا... ولماذا تقولين على نفسك " إنجليزية " وليس " بريطانية "!!

-هذا موضوع يطول شرحه.. فقط يجب أن تعرف أن للانجليز قناعة بتفردهم عن غيرهم من سكان المملكة المتحدة مثل الاسكتلنديين أو الايرلنديين أو الويلشيين (من منطقة ويلز).. أو غيرهم من البشر عموما!

حوار قصير تعارفا خلاله سريعا... أبلغته أنها تعشق اللعب على الطبلة وأنها تتلقى دروسا فى ذلك...، فحكى لها قليلا عن حياته، وهو مندهش من سرعة إيقاع التعارف بهذا الشكل المثير...

جلسا سويا أثناء مشاهدة الفيلم. أمالت له برأسها وسألته... هل تدخن الشيشة؟؟ فأجاب لا... فأبدت إندهاشها من شخص عربي لا يدخن الشيشة. فسألته..هل تدخن الماريجوانا.. فهى تجتمع بعدد من أصدقائها لذلك الغرض..؟!! فإبتسم ذاكرا لها.. أنه لا يدخن على الإطلاق.. كما أنه شخص رياضى عليه المحافظة على صحته حتى يستطيع القيام بتدريبات التايكوندو من وقت لاخر بعد أن توقف عنها لسنوات طوال. رمقته باعجاب... ثم ساد الصمت عقب مشاهدة فيلم " الملكة "،و تبادلا أرقام المحمول.. وأبلغها محمود أنه بالفعل سعيد بالتعارف عليها...، وأن بإمكانه أن يوصلها الى بيتها بتاكسى إن أرادت... فأجابت بابتسام..." لا.....أنا متزوجة...، وعلى الآن أن أعود إلى منزلى.. وسأقوم بالاتصال بك غدا أو بعد غد على الأكثر لترتيب لقاء "!!..

كان وقع كلمة " متزوجة " على محمود غير إيجابى بالمرة... لماذا إذن أبدت استعدادها للقائه مرة أخرى؟ وكيف ستكون العلاقة؟؟... هى تبدو اصغر منه بعشر سنوات.. أى أنها فى نهاية العشرينيات فماذا تريد إذن من العلاقة إن كانت متزوجة؟!!

فى اليوم التالى، قامت إيلينا باضافة محمود على قائمة أصدقائها بالفيس بوك..،وفى مساء اليوم نفسه..، دار بينهما عبر الشات الحوار الكتابى التالى :

-مســاء الخير يا محمود... معذرة كنت أود أن أتصل بك هاتفيا ولكننى مرهقة.. قل لى كيف كان يومك؟!

- جيد يا ايلينا.. أشكرك..

- ماذا فعلت تحديدا؟؟

-ذهبت الى الجامعة، حيث واصلت جمع المادة العلمية، ثم حضرت محاضرة عن مادة البحث العلمى.. والتى إستشعر دوما ضعفا بشأنها...، ثم ذهبت الى الجيم(صالة الألعاب).. وعدت إلى المنزل..

- عظيم.. تلميذ جيد... قل لى يا صغيرى.. هل لديك وقت غدا.. يمكننا أن نذهب للعشاء فى أى مكان.. أو للرقص...؟!.

obeikan.com

- بالطبع يسعدنى أن ألقاك " وأن أتعرف على زوجك أيضا " - (كتبها محمود لكى يسبر أغوار نواياها مبكرا).!.

- لا لا لا..... لا يمكن أن أدعو زوجى للخروج معنا... سيصيبه هذا بالغيرة الشديدة بالطبع!!

-للأسف يا إيلينا... فى هذة الحالة.. يجب أن نحترم شعوره...

-ماذا تقصد يا محمود...؟؟؟!!

-ما أردت أن أقوله تحديدا يا عزيزتى... أننى بالفعل سعيد جدا بالتعرف عليك. وأتمنى أن تطول وتستمر الصداقة بيننا، كى أفهم وأتعرف أكثر على ثقافة الشعب الإنجليزى.. ولكن لابد أن يكون الأمر مقبولا لدى زوجك... ليس لدى مانع أن أتعرف عليه وأن نقضى ثلاثتنا وقتا سعيدا سويا.!!.

(كتب محمود تلك الجملة بقدر عال من حسن النية.. فهو لم يكن يعرف أنه توجد ببريطانيا موضة ما يسمى بـ"الثرى سم"... أى قيام ثلاثة أشخاص بممارسة الجنس مع بعضهم البعض كنوع من الفانتازيا... سواء رجلين وأمرأة... أو امرأة ورجلين)!!.. تعقيبا على ذلك قامت إيلينا باضافة عدة وجوه ضاحكة فور قراءة التعليق وخمنت سريعا أن محمود لا يعى ما للأمر من دلالة.!

-محمود... لا أعتقد أن ذلك فكرة جيدة لك أو لزوجى... دعنا نتقابل بمفردنا أولا..

- مع إعتذارى.. لن أستطيع أن أقابلك أو أمضى معك وقتا إذا لم يكن الأمر مقبولا لزوجك... حقيقة الأمر.. أنا لا استطيع أن أجرح مشاعر شخص لا أعرفه أو يعرفنى دون سبب..

-" دون سبب "..هل لى أن أسألك هل ترانى إمرأة جذابة؟؟!! هه.. قل لى...أنا لا أريد أن أحرجك..

-قطعا... بالنسبة لى..انت إمرأة جميلة جدا وجذابة جدا...، فقط الحاجز بينى وبينك.. هو ذكرك إنك متزوجة.....

-إذن كان على أن أكذب عليك...حسنا سأراعى ذلك فى المرات القادمة..

أنتهى الحوار عند هذا الحد.. وكأن الطرفان عجزا عن الاستمرار فيه... والقفز فوق الموانع الثقافية والشخصية والدينية والإجتماعية الكائنة بينهما...

فى اليوم التالى... عاودت إيلينا الاتصال هاتفيا مساء بمحمود..

-هالو.. محمود.. كيف حالك..؟.

- أهلا أيلينا... أتمنى أن تكونى بخير

-إسمع يا محمود.. لا أريد أن يكون هناك حاجز بيننا دون داع. أنا لست زوجة متعصبة فى

إخلاصها لفكرة الزواج.. كما أننى وزوجى لسنا على وفاق... أظنه يعرف ذلك جيدا.. وأنا بحاجة إلى أصدقاء جدد فى حياتى... دعنا فقط نتقابل.. ثم لنتناقش...ثم لنرى!!

- إيلينا. كما ذكرت لك بالأمس... لو لم تكونى متزوجة.، لأمكننا أن نخرج سويا ونتنزه من وقت لآخر.، ولكن أيضا فى هذا الحالة.، فإن العلاقة بيننا لن تزيد عما هو أكثر مما ذكرت لك..أرجو أن تعذرينى فإن المشكلة لدى أنا..

-أى مشكلة يا محمود... لا أفهم حقيقة موقفك؟!!

-حتى إن تقابلنا مرارا.، فلن تتجاوز العلاقة بيننا حدود الصداقة.، فالصداقة لدى لا تعنى سوى الصداقة، وليس أى شئ أخر... لا يمكننى أن أتجاوز قواعد دينية معينة تمنع ما هو أكثر من مجرد الصداقة البريئة.!!

- محمود.. أنا لا أؤمن بوجود إله...، ولا أعترف بالأديان أو تلك المعتقدات الدينية التى تقيد نفسك بها. أنت تعيش فى مدينة صاخبة مثل لندن.، وأنا أعيش حياتى للاستمتاع كلما كان ذلك ممكنا... وزوجى يعرف ذلك.! كلانا له علاقات أخرى وتجارب متنوعة..ونحن لسنا على وفاق كما ذكرت، فهو ليس مخلصا لى، كما أننى لست مخلصة له. هيا.. أنت طالب دكتوراة.. إذن يجب أن تكون متفتح الفكر... طالما أننا نفعل شيئا يرضينا ونستمتع به ولا يخرق القانون أو يؤذى أحدا... أليس كذلك؟!!!!

-إيلينا.. أنا آسف.. لا أستطيع.. كنت أود حقيقة أن أتجاوب معك، ولكنى لا أستطيع..

- فقط...دعنا نتقابل... وليكن ما تشاء....

- ربما.. على إستعداد أن أقابلك وسط مجموعة من الأصدقاء... فقط إن كان هذا يروق لك..

-أوكيه.. حسنا.. هذا مقبول.. مرحليا... على الأقل..

-أتمنى لك أمسية سعيدة..

- ولك أيضا..

بإنهاء المكالمة.. بات محمود ممزقا نفسيا وذهنيا بكل ما تحمله الكلمة من معان.، فالانسان الشرير بداخله كان ينهال عليه لوما وتقريعا وتعنيفا... "ها أنت تضيع الفرصة تلو الاخرى.. ايمليا ثم ايلينا... من هذا المجنون الذى يرفضهما؟!!...مجرد علاقة عابرة وتنتهى...جرب، فإن التجربة مفيدة فى حد ذاتها... هل تعتقد أنك إن تزوجت يمكن أن تكون زوجتك فى مستوى جمال إيمليا أو إيلينا؟؟؟... ثم من قال أن العلاقة الجنسية لابد أن تكون كاملة.. يمكنك أن تتوقف عند النقطة التى تراها مناسبة"...

عندئذ إنتفض الإنسان " الطيب " بداخله.. وإستغفر الله كثيرا على وسوسة الشيطان الرجيم... ثم سارع بالوضوء ثم الصلاة بعد أن هدأ فورته...، ليردد كثيرا أدعية الثبات وعدم الزلل... ثم هرع الى غرفة النوم وقرأ جزئين كاملين من القرآن الكريم (فهكذا محمود..عندما يتعرض للخطر أو يستشعر قلقا.. يزيد من جرعة قرائته للقرآن... وكأن ذلك به مهدئ فورى للأعصاب). بالفعل هدأت نفسه الجامحة.. ومشاعره المتأججة.. ووجد شيئا مثل الخدر اللذيذ يداعبه. فاستسلم سريعا لسلطان النوم..!.

خلال الأيام التالية..، تكررت محاولات إيلينا مع محمود الذى ما فتئ يرد بحزم وإقتضاب، بينما المسكينة تطالب بشبق واضح بمجرد لقاء للكلام والثرثرة، وأنها تعده أن الأمر لن يتجاوز ما سبق دون جدوى!. وبمرور الوقت، فترت عزيمتها، وكفت عن ملاحقته وقامت بحذفه من قائمة أصدقائها على الفيس بوك، لتنهى بذلك الصراع النفسى المتأجج داخل نفس محمود... والذى لا يخبر صعوبته إلا من وضع فى ذات المحنة من قبل!!

Obeikan.com

(٢) سها النجاد

مرت سها بفترات تقلب المزاج الحاد التى تنتابها، والتى لا تجد لها مبررا.!.. فكرت أن تكون إحداهن - واحدة من المئات أو الآلاف المؤلفة من الفتيات والنساء التى يغيرن دوما من جمالها - قد عملت لها عملا سحريا...، إلا أنها سرعان ما إستبعدت هذا الخاطر السخيف غير العلمى و العملى على الفور..

آه وألف آه... من غيرة الفتيات والنساء التى حاصرتها منذ أن كانت طفلة. كانت سها دوما هى مقياس الجمال وناموسه...، حتى عندما كان يريد أحدهم أن يصف أو يمتدح جمال فتاة أخرى، يقول إنها قريبة الشبه من سها. حقد وغيرة ومشاعر سلبية طاردتها دوما حتى من قبل شقيقاتها، رغم أنها فتاة جادة وملتزمة ولا تستعدى أحدا. تأخرها فى الزواج بعض الشئ أتاح الفرصة للحاقدات أن ينفثن سمومهن حيالها..، فلطالما سمعت أقوالا سخيفة تبدى شفقة أو تتظاهر بإبداء ثمة تعاطف أو قدر من الإهتمام..

إتصلت بها اليوم زميلتها فى البنك، والتى هى من نفس سنها، لكى تطلب منها أن تشترى لابنتها جهاز ابل مكنتوش وتبعث به مع أحد الرائحين أو الغادين من لندن..، ثم افتعلت ضحكة خبيثة..، وهى تقول إنها إكتشفت بالأمس فقط أن البنت المفعوصة (بنت امبارح) صارت أمرأة، ثم لم تضع الفرصة لكى توجه كلمتى تأنيب لسها:

" بكرة يا أختى لما ربنا يكرمك..ويبقى عندك زوج وأولاد وأسرة مثلنا...،سوف تشعرين بمشاعر أخرى تماما...، ستتعرفين أن كل شئ تفعليه بعيدا عن الأسرة (وضناك) كلام فارغ... هى الدنيا تسوى إيه من غير أولاد و راجل تستندى على كتفه"...

إعتادت سها على مثل هذا التقريع المستتر، وتعلمت من فرط التكرار أن تضحك أو تبتسم أو ما شابه حتى تفوت على قائلة مثل تلك الكلمات فرصة الإستمتاع بإحراز هدف " التنكيد " على

سها، وإشعارها بالنقص..!!

ليس هذا فحسب...، لاحظت سها أنها دائما ما تستبعد من دعوات زميلاتها على حفلات الإفطار أو الغذاء أو العشاء أو حتى عند إرتياد النوادى والمقاهى وغيرها. فى البداية، فسرت سها الأمر بأنهن يخشين من أن يفتتن أزواجهن بجمالها كما هو معتاد..، إلا أنها تنبهت أخيرا أن زميلاتها أيضا يتجاهلنها حتى فى المرات التى لا يصطحبن فيها أزواجهن...، بل ويتعمدن إخفاء أبنائهن وبناتهن عن عيونها!! أدركت سها حينئذ أنهن يخشين أن تحسد أطفالهن فيصيبهم سوء!، فأصابها الألم العظيم من هذا التفكير المريض...، وأنى للقبيحات ومتوسطات الجمال أن يتخيلن أو يتوهمن أن سها - بقدرها وقدها - يمكن أن تفكر - ولو للحظة - فى أن تقارن نفسها بواحدة منهن!!

عقب إنتهاء تلك المكالمة، تقطب جبين سها، وزمت شفتيها،ووضعت يدها على خدها وإستغرقت فى تفكير عميق، وهى تردد كلمات غير مفهومة وكأنها تنعى حظها فى الحياة!!!... فها هى القبيحة.. التى لا ينظر إليها إلا الرجال المعدمون مثلها، تتباهى بأن إبنتها صارت امرأة وتستطيع الحمل والإنجاب!. هى تزوجت وهى فى العشرين من عمرها، ومن ثم، فإن إبنتها لابد أنها قد بلغت الثانية أو الثالثة عشرة من عمرها. ما هى إلا سنوات قليلة... ثم تأتى تلك القبيحة.. لكى تفتخر.. بأن إبنتها صارت عروسة...، طبعا ستفتعل كلاما وهميا...، وتدعى بأن العريس فلان.. إبن علان قد جاء لابنتها، وأنها حائرة ولا تدرى أترفضه أم أن ابنتها سوف تستطيع التوفيق بين الدراسة والزواج.. إلى أخر تلك الأفلام والمسرحيات الهزلية.!!

ترى كيف ستكونين يا سها بعد تلك السنوات؟؟!!.. هل ستغدين بمفردك حينئذ عندما تدعين لحضور حفلات زفاف أبناء وبناء زميلاتك...؟

و كأن هذا السؤال هو المسمار الذى ثقب بالونة الإنفعال بداخلها، فإنفجرت سها فى بكاء طويل ونحيب مستمر لنحو ربع ساعة مستمرة...، ثم إزدادت وتيرة النشيج الحزين شيئا فشيئا..، وهى تتخيل نفسها وقد بلغت الشيخوخة..،وأنها ستموت بمفردها..، وأن الجيران سيعرفون أنها قد ماتت فقط عندما يشمون الرائحة الكريهة. إزداد الموقف برمته سوداوية وإنفعالا... فأخذت سها تجرى يمينا وشمالا فى الإستديو، وهى تصرخ وتهدد...، ثم أمسكت بالوسادة.. وتخليت أنها شخصا ما وأخذت توجه له سبابا نابيا وتكيل له الصفعات...، ثم تخيلت أن رجالا أشداء.. قد إقتحموا الإستديو يريدون إغتصابها...، فهرعت إلى المطبخ، وأمسكت بالسكين وهددتهم بأنها ستقتل أى فرد يتقدم منها...، ثم عدوت مرة أخرى إلى الحمام، وأمسكت برشاش المياه السائب.. وتخليته سلاحا ناريا»، وأخذت تصرخ بصوت مكتوم - خوفا من أن يظنها الجيران مجنونة أو يستدعون الشرطة -

فمن حق الجيران هناك أن يبلغوا عن أى شئ يشتبه أن يكون عراكا داخل الشقق المجاورة حتى وان لم يشتك قاطنوها – ثم وجهت الماء..وكأنها دفعات رصاص إلى الأشخاص المجهولين..قبل أن تخور قواها..وتفتر عزيمتها.. لتجلس فى " البانيو " بعد أن أخرجت المخزون الانفعالى بداخلها...!!

فى الصباح، إستيقظت بهدوء وقامت بأداء صلاة الصبح.. ثم ارتدت ملابسها،ووضعت مكياجا ثقيلا كى تخفى ملامح الشحوب على وجهها.... ثم توجهت الى كافية كوستا الشهير بادجوارد رود كى تختلى بنفسها.. وتفكر فى مستقبلها...وإرتشفت الرشفة الأولى من قدح الكابتشينو الشهير!!

بكل ما تتسم به من جلد ومثابرة.. أخذت سها تصارح نفسها بالحقيقة التى لم تعترف بها قط... أنها ليست سعيدة فى حياتها. لا ليس هكذا الأمر، بل أنها قد تكون على حافة الاكتئاب.. أنها تستشعر بالخواء واللا معنى فى حياتها...، جمالها نقمة بالفعل...، لأنه أوجد حلقات من الغيرة حولها منذ صغرها، حيثما ذهبت أو أينما حلت.!! إعترفت سها بينها وبين نفسها أن إبتعاد الناس عنها جعلها أكثر انطوائية وربما ترفعا.. "فإذا كانت البنات لا يرغبن فى وجودى وسطهن، فأنا بدورى أستنكف أن أقارن بهن ".!. ولع الرجال بها منذ صغرها عوضها عن ذلك، وزادها ثقة فى النفس تنامت كلما تقدمت سها فى العمر من طفلة إلى صبية إلى شابة. فالنظرات تلاحقها..، وكأنها مخلوق من كوكب آخر حل الرحال على الأرض. رغم ذلك، لم تسمح لأحد قط بأن يتجاوز حدوده، ليس فقط عن تمسك بالأخلاق أو التزام بالفضيلة.، بل بسبب قناعتها أنه -أيا كان من هو -فهو بالتأكيد لن يستحقها.!

-" كنت، فى الجامعة.. أكاد أتحرك فى موكب مثل كبار المسئولين...، فحولى حاشية تؤتمر بأمرى، وتفسح لى مجالا للسير كلما رغبت، وكل من من أفراد الحاشية يفتخر بزهو أنه يجاور سها فى المشى.، فما أن أسير فى الردهات.. حتى تشخص الأبصار نحوى..، فيلتفت هذا..،ويتنبه ذاك..، ويتبادل بعض الطلاب النظرات و إبتسامات و تعليقات.".!.

-"لم أقع فى غرام أحد. إكتفيت بالتفوق العلمى كى أعوض النقص العاطفى الذى طالما إستشعرته منذ وفاة والداى وجفاء شقيقاتى، و خشيتهن من أن يتعلق بى أزواجهن رغما عنهم... لديهن مشعر مريضة وأفكار غريبة متناقضة تجاهى..، وكأننا نعيش مثل الحيوانات بلا رادع من دين أو أخلاق أو قيم"!!

-"حتى خلال عملى فى البنك...، إضطر مدير البنك عقب إستلامى العمل بأيام قليلة إلى نقلى إلى قسم الائتمان لتلافى معاكسات الجمهور... وبسبب طلبات الزواج المتراكمة التى تأتى إليـه كى يتوســط لـ.ى...".

-"لماذا إذن لست سعيدة.. ويكاد يداهمنى الاكتئاب؟!! هل أننى أستشعر الوحدة..؟؟ ربما ولكن الوحدة ليست بالشعور المستجد، فأنا أعايشها وأعاصرها منذ سنوات. هل لأننى بلغت الثالثة والثلاثين ولم ارتبط؟؟ ربما...نعم ربما...، لم أكن أتوقع هذا لنفسى... كنت موقنة بأن قرارات إنهاء العلاقات السابقة كلها كانت صحيحة... فكلهم غير جديرون بى. أنا الآن فى الثالثة والثلاثين... ولكننى أبدو أصغر سنا بما لا يقــل عن خمس سنوات كاملة...، كما أن جمالى وطولى وثقافتى وإجادتى للغات وعملى كلها عوامل لا تجعلنى أقلق من العزلة أو الوحدة الاجتماعية، فلو أردت الزواج الآن، وأشرت بأصبعى لتهافت الرجال من حولى وتراموا تحت أقدامى"!!

-"المشكلة لدى أنا. لم أقابل بعد من يستحقنى. الرجال المصريون تحركهم الشهوة، ولا يرون أبعد من أرنبة أنفوههم. لو وجدت الشخص المتدين..، فإنه فى أغلب الظن سيكون عقله مثل كتلة الاسمنت غير قابل للإنفتاح، أو التغيير، أو زاهد فى الحياة، ولا يحب الخروج أو التنزه أو الرقص!.. ولو عثرت على المتفتح المنطلق، فغالبا ما يكون فارغا تافها لا يملأ العين.!. ماذا أريد إذن..؟ هل وجبت المصارحة بأن فشل إرتباطى بالدكتور هيثم مازال يؤرقنى بأزير عقلى لا ينتهى!..خلاص..، إنتهينا...، موضوع وتم إغلاقه... وذهب كل منا إلى حال سبيله!...هل إستشعر مشاعر أمومة...؟.. نعم ربما...، مثلى مثل كل فتاة، فإن لدى عاطفة جياشة تريد أن تنطلق وتروى أرضا جدباء وصحراء قفراء. أريد أبا راقيا متعلما لإبنائى. سوف أنجب ثلاثة أبناء.. ولدان وبنت.... لا..بنتان وولد..، سأجعلهم يحبون بعضهم..، ويعطفون على بعضهم..، ولن يكونوا مثل من تنهش الغيرة قلوبهن.! سأجعل الكبير هو من يتولى رعاية أخيه وأخته معا...، مثلا أكلفه بشراء قطع الشيكولاته، وتوزيعها عليهما..، أو أن يتأكد من أن الصغيرين ينامان فى هدوء، وأن الأغطية محكمة عليهما. سأكون أما سعيدة لأطفال سعداء،فسيرثون جمالى، وذكاء أبيهم. ولكن من هو هذا الزوج؟؟.. ومتى سيأتى؟؟.. وهل يكون مصريا أم عربيا أم أجنبيا...؟؟ "!..

-"بالمناسبة..ماذا عن محمود.. الكائن هنا...، نعم محمود عز الدين يبدو محترما.. لماذا لم يتزوج حتى كاد يبلغ الاربعين...؟؟. لا أعرف تحديدا..، لم أتكلم معه كثيرا كى أسبر أغواره..، ولكن ماذا يمنع من الكلام معه أو غيره؟!!. نادية هى الأخرى تبدو ذكية ومتفتحة. لماذا أنغلق على نفسى وأرفض مصاحبة أو مصادقة المصريين.؟.. لماذا لا أقابل محمود وأتسامر معه؟... لا لا لا ليس الموضوع بهدف الزواج، ولكنه نوعا من كسر الوحدة. وحتى إن كان الهدف إستشراف المستقبل، فما الضرر إذن؟. فى الحقيقة أنه انسان جيد جدا...، نادرا ما تجد إنسانا مصريا يأتى الى لندن فى هذة السن للدراسة على نفقته "!..سأتصل به وأدعوه هو ونادية على الغذاء فى الإستديو الأسبوع

المقبل.. لا...من الافضل أن أدعوه بمفرده مرة..، وأن أدعو نادية مرة أخرى. أحمد مشتهر زائغ العينين " بصباص"، ولا يستطيع أن يكبح نظراته عن كل جزء فى جسمى، لذا فلن أشعر معه بالإرتياح. القنصل محمد شكله جاد جدا زيادة عن اللزوم..، والملحق الثقافى أكيد مشغول مع زوجته وأطفاله. أما سلوى مفيد، فلا أعرف سببا معينا يدعونى للنفور منها... لعلها طريقتها فى الكلام فى السياسة وكأنها تفيض علينا من علمها الغزير، أو استشعارى أنها على إستعداد لفعل أى شئ من أجل مصلحتها، أما "الفلاح" مدحت فلا يوجد بينى وبينه عمار منذ اللحظة الأولى....حسنا سأبدأ بدعوة محمود... فقط من أجل التواصل الاجتماعى ليس أكثر".

obeikan.com

(٣) أحمد مشتهر

لندن تطغى بتأثيرها على الجميع.!!. عبارة لم يصدقها أحمد الذى دأب على أن يحدد لنفسه ما يفعل وما لا يفعل منذ أن كان بالمرحلة الثانوية.. بعيدا عن أى قيود أو قواعد يرتضيها المجتمع والدين والأخلاق.! حاول أن يواصل حياته الروتينية التى إعتادها فى مصر، فإستبدل العمل بالمذاكرة، وحافظ على ثبات المتغير النسائى فى حياته.. باعتبار ذلك المتعة الكبرى واللذة اللا نهائية التى يستشعرها فى كل الأحوال سواء إشتدت رغبته أم فترت...!! ما لا يجب إغفاله هو أن أحمد هو أكثرهم انطواء وانعزالية. هذة حقيقة، فلا يغرنك الورود النسائية المحيطة به كلما حل أم رحل.....، هو بمفرده فى الدنيا ومنذ أن كان صغيرا...!!

توفى والده وتزوجت والدته وهو لا يزال طالبا بالمرحلة الإعدادية.. والتى هى بداية التكوين النفسى لأى صبى فى عمره. ليس له أشقاء، وكان عديم المواهب التى تجتذب الصبية والشباب فى تلك السن، فلا هو أحب أو أجاد لعب كرة القدم، أو الألعاب القتالية، أو الرسم أو الموسيقى. وجد الشاب الصغير نفسه يعيش مع والدته وزوجها وطفليهما الصغيرين شبه منبوذ.. أو لنكن أمناء... ليس منبوذا ولكنه غير مرحب به أو على الأقل لا يلقى العناية الكاملة أو الكافية من والدته التى صبت كل طاقتها على رعاية الصغيرين. ثم إزداد الموقف صعوبة وتعقيدا عندما جاءت إبنه زوج والدته لتعيش معهم بعد وفاة والدتها. هذا الوضع الحساس فى المنزل...، جعله يقضى أغلب الأوقات خارجه..، فهو مضطر بداخله أن يطرق باب غرفته قبل الخروج إلى الصالة.. أو التوجه إلى دورة المياة، مثلما طالبته والدته وزوجها، حتى تتنبه الابنة العزيزة المدللة، فلا تفاجأ به مرة واحدة أمامها...!!.

هذا الإضطرار إلى التواجد الدائم خارج المنزل...، وذاك الإفتقاد المبكر لحنان الأب الذى لا يعوضه شئ...، وقلة الاهتمام الكافى من الأم...، فضلا عن عدم قدرته على إيجاد قواسم مشتركة

Obeikan.com

بينه وبين الاصبية من سنه، كل هذة العوامل هى التى دفعته دفعا إلى إكتشاف موهبته الفذة فى إستلاب ألباب النساء والفتيات والإستحواذ على إعجابهن.....!! وكأنه كان أيضا -فضلا عن إشباع شهوته - يبحث فى أحضانهن عن الحنان المفتقد.. والأمان الغائب!

مرت الشهور الأولى بلندن..، وأحمد على نفس المنوال يقفز من فراش هذة.. إلى أحضان تلك.. مع تنوع الجنسيات باتساع البسيطة...، فلندن مدينة تحوى أجناس العالم كلها..ثم بدأت المدينة الساحرة.. تستلفت انتباهه!.ببساطة.. إذا امتلكت مليون دولار.. وودت أن تبددهم جميعا على الثقافة فى لندن فسوف تستطيع.. فالمدينة بها كل يوم عشرات المعارض الفنية، والمسرحيات، والأفلام، والندوات،وعروض الكتب الجديدة!! وكانت البداية..، عندما دعته ليدميلا.. للتنزه ذات مرة فى حديقة سان جيمس القريبة من قصر باكينجهام...، فخرجا سويا..، وثم سحبته من يده.. كالأطفال الى ميدان تلفراجر سكوير (الطرف الأغر).. لكى يشاهدا معرض الفنون القابع فى وسط الميدان والذى يحوى كنوزا فنية إبتداء من عصر النهضة وحتى العصر الحديث. تململ أحمد فى البداية وحاول التملص..، ثم إستسلم تحت ضغط اصرارها.. لأن أحمد بخبرته النسائية الكبيرة يعرف متى تتدلل النساء، ومتى يغضبن...، فمجرد أن لمح نظرة غضب فى عينيها تنازل، وذهب معها إلى المعرض الفنى الأول الذى يزوره فى حياته...

شخصت، عيناه وارتفع حاجباه... وهو يطالع لوحات كبار الرسامين العالميين..أمثال بيكاسو ومونيه ودافنشى وفان جوخ.. وغيرهم. تأمل أول لوحة..، وكأنه طفلا يستكشف شيئا للمرة الأولى فى حياته... ثم استهوته التفاصيل. فتقدم إلى اللوحة.. ثم تراجع...، ثم تقدم ثم تراجع.. وكأنه يضبط المسافة المثلى التى يستطيع الوقوف عندها لتأمل اللوحة كاملة دون إغفال تفاصيلها... ثم تكرر الأمر مع لوحات جديدة.....!!أعجبته الزيارة وإستحسنها...، فطلب من ليدميلا التى تجيد تذوق الفنون باختلاف أنواعها...، أن يكررا الزيارة مرة أخرى فى اليوم التالى...!! بدأت مساحات من الاهتمام بالفن الممزوج باللذة تتولد داخل مخيلته التى لم يكن يشغلها سوى النساء..

تكررت الزيارات مع ليدميلا... إلى معارض أخرى.. فهناك مبانى كثيرة بلندن.. يتصدر حوائطها.. وأسقفها لوحات فنية...،فاكتشف أن ليدميلا لديها ثقافة فنية رفيعة.. فسألها عن ذلك..فأجابت بأن النظم التعليمية التى أقرها الإتحاد السوفيتى -وقت أن كانت روسيا البيضاء لا تزال جزءا منه -.. كانت تفرض على الطلاب تدارس الفن والأدب...، حتى أنه كل يستوجب عليه أما أن يجيد العزف على آلة موسيقية.. أو ممارسة لعبة رياضية ما.. فضلا عن قراءة أمهات كتب الأدب الروسى العظيم لكبار الكتاب مثل تشيكوف وديستوفسكى وتولستوى وغيرهم..إلا أنها وجدت

نفسها أكثر اهتماما باللوحات الفنية مقارنة بأى شئ أخر. أعجبته اللعبة الجديدة التى طرأت على حياته... فطالبها أن ترتب لهما زيارة لاحد المتاحف الكبرى.، وبالفعل ذهبا الى متحف العلوم بكنيجستون والذى يجاور متحف التاريخ الطبيعى...، بكل ما بهما من إبهار وما يولدانه من إعجاب منقطع النظير..

شيئا فشيئا... تغيرت منظومة الحياة بأكملها لأحمد مشتهر.. وكيف لا.. وهو ينهل من ثقافة ليدميلا التى تستطيع أن تحدثه عن الأدب فتستعرض رواية عالمية - لم يسمع عنها أحمد من قبل -، بذات الكفاءة التى تنقد أمامه لوحه فنية رسمها أحد الفنانين المعاصرين..،وهكذا... ولأن للجديد دائما سحره، فقد أخذ أحمد يقرأ عن أى مكان يزوره، سواء معرض أو متحف أو ندوة كتاب، قبل الذهاب إليه..، حتى لا يكون الحوار رأسيا من ليدميلا إليه... أى أن يجد شيئــا يقوله أمامها.. وشيئا فشيئا.. تعرف على لذة المعرفة..، فبات يقرأ لنفسه هو..، حتى يعرف ظروف تلك الرواية الشهيرة.. (الحرب والسلام) لتولستوى..، والكتاب الجديد.. الذى اثار ضجة حول نهاية العالم والمحافظين الجدد لفوكاياما...، وتلك اللوحة الجميلة للفنان الصاعد...!!. تضاءل إذن الوقت المتاح لأحمد للذهاب للبار، فاقتصرت غزواته النسائية على كل من ليدميلا... و"لى" الصينية...، بل حتى الأخيرة بات يلتقيها نادرا.

(٤) نادية البيلى

فى الميعاد المذكور، وقبله بوقت كاف، تواجدت نادية فى أوج زينتها فى مستشفى كروميل فى إنتظار الطبيب المصرى الكبير. جلست فى آخر كرسى فى القاعة حتى تكون قريبة من الباب الذى ستدلف منه سريعا عقب إنتهاء المحاضرة.. للقاء الدكتور مجدى يعقوب الذى سيخرج بالقطع من الباب الجانبى. تلك هى نادية الذكية التى لا تهمل أى تفاصيل صغيرة.. تعلمت تلك الأمور من العدد اللا نهائى من المؤتمرات وورش العمل التى حضرتها بالقاهرة وشرم الشيخ التى تنظمها شركات الأدوية للأطباء للترويج لمنتجاتها...البعض يرى أن تلك المؤتمرات هى تباحث علمى ومناقشة جادة للدواء الجديد...، والبعض الاخر – وربما يكون أكثر إتساقا مع الذات – يراها رشوة مقنعة تدفعها شركات الأدوية للأطباء.. - بأن تنظم لهم رحلة مدفوعة التكاليف يومين أو ثلاثة أو أكثر إلى إحدى المنتجعات السياحية - مقابل أن يرد الدواء مرارا- بغض النظر عن قيمته الطبية أو مدى تناسب سعره مع المرضى - فى دفاتر الروشتات الخاصة بهم...!!

ما علينا.. بخطوات ثابتة تقدمت نادية البيلى إلى جراح القلب الشهير... حرصت نادية على أن تحتفظ بثبات عينيها ونظراتها تجاه عينى الدكتور يعقوب.. حتى يكون ذلك دلالة على مدى ثقتها بنفسها،وحجم الطاقة المتولدة بداخلها... وبدأت الحديث :

-مساء الخير يا بروفسيور.. أنا دكتورة نادية البيلى... كان أستاذ عبد الرحمن كلم حضرتك عنى...

-(بابتسامة تنم عن قدر من الطيبة).. أجاب " أهلا يا دكتورة نادية.."..

-حلمى يا بروفسيور.. أنى أعمل أو أتدرب مع حضرتك...!!

-(بذات القدر من الإبتسامة) " أيوة... أستاذ عبد الرحمن كلمنى عنك.. أنت عارفة يا نادية قوانين العمل...، لا نستطيع سوى أن نحترمها.، أحنا هنا فى لندن.. القانون عندهم مقدس... وهذا هو سر تفوقهم وحضارتهم.. كل ما أستطيع تقديمه لك هو أن تحضرى بعض العمليات الخاصة

بى... مؤقتا.... كذلك يمكنك أن تتصلى بمساعدتى إيلنيور ساندروس... وهى طبيبة متميزة.. لكى ترتب حضورك بعض المحاضرات الخاصة بى... حقيقة، فأن فرص العمل أصبحت صعبة جدا للطبيب المصرى...، ولكن ممكن تحصلى على تدريب طويل نوعا.. يعنى بضعة شهور فى إحدى المستشفيات إلى أن تحصلى بنفسك على تصريح العمل"..

-عظيم يا بروفسيور.... هذا أكثر مما أتمناه..، أنا حاليا أحضر دكتوراة فى جراحة القلب.. وأقوم بالتدريس النظرى لطلاب المستوى الجامعى.. فى بعض المواد كنوع من التدريب...

-أوكيه يا نادية... هذا هو كارت ايلنيور... اتصلى بها وهى ستعتنى بك...

-شكرا يا إفندم... مع السلامة...

إذا كان للسعادة تعريف... فهو " نادية " فى هذا التوقيت...، خرجت نادية وقلبها ينتفض من الفرحة الخافقة...، نبضاتها تكاد تخترق ضلوعها من فرط الإنفعال...، ها هى نادية البيلى...، خلال الشهور الأولى من تواجدها فى لندن، تضع أقدامها على أول مراتب المجد عبر العمل مع إحدى قامات الطب العالمية!!

-" طول عمرى محظوظة فى الدراسة والتفوق... دائما الأولى أو على الأقل من الأوائل..، هذا ليس حظا ولكنه ثمرة إجتهاد وتفوق ونبوغ... فعلا أنا نابغة!!... من هى التى فى سنى... وحازت على نصف ما تمكنت أنا من تحقيقه..... أنا الآن سعيدة وهذا يكفى.. هذا الإنجاز وحده يكفى أن أعطل جهاز القلق بداخلى الذى يعمل بلا إنقطاع...حسنا سوف أعطله لمدة عام على الأقل. لست بحاجة إلى أن اطمح إلى أى انجاز جديد خلال الشهور المقبلة..، فلتبق الأمور على ما هى عليه، فهذا أفضل شئ... هل أستطيع التوفيق بين الدراسة والتدريب فى آن واحد؟!!.. بالقطع.. أنا الدكتورة نادية البيلى.. التى تستطيع الجمع بين المتناقضات فى أن واحد... كنت أدرس الطب وأمارس السباحة، وأشارك فى فريق التمثيل والاخراج بالجامعة...، وأحقق التفوق والابهار للجميع. كل ذلك وأنا وحدى فى الدنيا، اللهم الا أخا صغيرا.. كنت أقوم له دوما بدور الأم والأب والشقيقة الكبرى فى آن واحد.... أه... أخى... لم أتصل به منذ أسابيع... لابد أن أتصل به فى أقرب وقت ممكن.. لنقل فى عطلة نهاية الاسبوع"..

بذات الدأب الذى يسرى فى دمائها..، والقدرة الفائقة على التقوقع والإنعزال، واصلت نادية دراستها وعملها و تدريبها- مع الدكتور مجدى يعقوب. ساعدتها إجادة اللغة والخبرة العملية فى مصر،على أن تنصهر سريعا فى أطقم الجراحة والعناية بالمرضى. ساعات النهار الطويلة تمضيها فى المذاكرة وحضور المحاضرات، ثم عدة ساعات مساء لحضور عملية أو الإشراف على ترتيبات ما قبل

وبعد العملية، ثم ساعة أخرى لتصفح الإنترنت بشكل سريع.. ثم ملء إستمارة أو أكثر لإرسالها إلى إحدى مستشفيات بريطانيا بطول البلاد وعرضها. هذا العمل بتلك الكيفية لم يترك لها أى فرصة للتواصل مع أى شخص.. حتى شقيقها لم تجد فى نفسها طاقة للتواصل معه الإ مرة كل ثلاثة أيام.. ثم إتفقت معه على أن تجعل المكالمة خلال عطلة نهاية الأسبوع - أى مرة واحدة فى الأسبوع -، بل أحيانا كان يمر أسبوع أو إثنان دون أن تجد فى نفسها القدرة على التحدث!!.كل ما كانت تحرص عليه رغم كل ما سبق أن تظهر دوما بأفضل الملابس.. وبزينة كاملة!. كانت تعتبر ذلك جزءا من واجباتها الدراسية أو لتدريبية، فالطبيب دائما يجب أن يظهر فى أفضل صورة ممكنة أمام مرضاه باعثا على الثقة مستدعيا للبهجة.!!.

كان من الطبيعى أن تستلفت نادية الأنظار بتألقها الذهنى المعتاد وشكلها المتفرد الخليط بين الملامح الشرقية والمظهر الغربى، سواء فى كلية الطب أو ضمن فريق الجراح العالمى. وغالبا ما يكون لفت الأنظار حمالا للأوجه...، فهناك من يبدى العطف والإهتمام.. وهناك من تستبد به الغيرة أو يتمكن منه الحقد والعنصرية!!... بدأت تلاحظ بعض الإهتمام الإنسانى الراقى من مارك ريكرستور الطبيب البريطانى، من أصول أستكتلندية.. وبعض الجفاء فى معاملة "أصف بلوش" ذى أصول هندية.. وكارول الإنجليزية...، فالأول كان يرى أن كونه من الهند، فإن ذلك لابد أن يقترن تلقائيا بالتميز عن نادية للفارق التعليمى والتكنولوجى بين بلديهما!.. هكذا كان يظن أو يتوهم داخل نفسه!.. أما كارول الإنجليزية.. فهى بطبعها لا يروق لها الأجانب ولا تروق هى للأجانب.. رفض متبادل ربما نتج عن أن نشأتها كانت فى مدينة ريدينج التى لا يقطنها كثير من الأجانب المقيمين. فضلا عن ذلك، فأن نادية بمجهودها الفائق وقدرتها على الإنتقال من حالة مرضية لأخرى سريعا – بحكم عملها السابق لمصر – مع الإحتفاظ بقدرتها على إصطناع المرح المعتاد مع المرضى...، كانت تسبب لها تلقائيا توترا داخليا غير عقلانى!!!.

نادية بطبعها لا تطيق أى مكون ثابت فى حياتها...، ولكنها فى النهاية إنسانة ولديها ما لدى الآخرين من مشاعر. بدأت تستشعر بعض الإرتياح للطبيب الاستكتلندى مارك.. لكونه إنسانا دمث الخلق. تعاملت معه، فأسرها بحنانه، ولاحظت أن لديه قدرة غير عادية بالفعل على إبداء التعاطف والحنان تجاه كل حالة مرضية يتعامل معها وكأنها المحور الرئيسى والأوحد لاهتمامه.

نادية بحكم خبرتها باتت متمرسة على أن تميز بين الحنان التلقائى والتعاطف المصطنع الذى يفتعله بعض الأطباء لكسب ثقة المريض.. لذلك فقد أثار إستغرابها هذا الأداء المبهر لمارك، بذات الكيفية وتلك السلاسة.. وكأن أن جرت إذن مياه الود تحت الجسر الرابط بينهما.!!

(٥)مدحت نبهان.. جوانا..!!

فى الميعاد المحدد، عاود مدحت الذهاب إلى المطعم إنتظارا لقدوم " صديقته الجديدة " - أو هكذا توهم - جوانا.. وبالفعل لم يخطئ حدسه سوى مرة أو مرتين.، ثم جاءت جوانا فى المرة الثالثة... إستقبلته بالبرود الانجليزى المعتاد ومدت يدها لمصافحته.، رغم أن مدحت هم بتقبيلها على سبيل الترحيب...!!

إستهل مدحت الكلام - مثلما إعتاد الانجليز دوما - عن الطقس المتقلب فى بريطانيا، وكيف أنه يفتقد شمس مصر الدافئة. الغريب أن الانجليز أنفسهم يستخدمون دوما نفس المقدمة رغم أن الجميع يعرف أنها حيلة مصطنعة لكسر حاجز الجليد الوهمى القائم بين البشر. أبدت جوانا تقديرها لذلك مشيرة إلى أن بعض الانجليز يتعاطون أدوية للتعويض عن غياب تأثير الشمس..، ولكنها شخصيا لا تتناولها.. بل تكتفى بالسفر كل ثلاثة شهور إلى أحد الشواطئ المشمسة سواء فى الدول الأسيوية مثل ماليزيا أو الفلبين..كما تذهب إلى جنوب أفريقيا.. أو غيرها.. حتى تستعيد شحن بطاريات الطاقة والتفاؤل بداخلها..!

بنظرة الخبير المثقف، أمن مدحت على كلامها مؤكدا على عمق تاثير العوامل المناخية على سلوكيات البشر.، حتى أن بعض علماء النفس ذهبوا إلى أن بعض الثورات قد حدثت فى الصيف القائظ عندما يكون مزاج الناس حادا أحاديا لا يقبل أنصاف الحلول أو المواءمات...، وأن هناك نظريات للتنمية تؤكد أن أنماط الإنتاج وسلوكيات البشر إختلفت تاريخيا بإختلاف المناخ من بارد إلى جاف إلى ممطر إلى دافئ وهكذا..علقت جوانا.بأن تلك النظريات لابد أنها تآكلت وفقدت قوامها الفكرى فى ضوء ما شهدته البشرية من تطور تكنولوجى.، فالناس فى الدول الأسيوية مثل سنغافورة وماليزيا وغيرها يعملون بشغف رغم الطقس الحار بسبب مولدات التكييف... كذلك الحال، فإن الدول شديدة البرودة تمكنت من إيجاد الحلول لمواجهة البرد مثل بناء التجمعات

Obeikan.com

التجارية والرياضية المغلقة فضلا عن إستخدام أجهزة التدفئة..

تمتم مدحت ردا على ما تقدم.، ثم أشار الى أنه كلما تقدمت البشرية.. كلما قل الوازع الدينى... وكأنه بذلك يمهد للحوار المنتظر والمأمول، والذى هو بغض النظر عن فحـواه ومراميه.. لن يؤثر قيد أنملة على الهدف الرئيسى لديه.، ألا وهو تطويـر العلاقة مع جوانا إلى الافق اللا متصور أو محدود مرحليا.!

-قلت المرة السابقة.. ما معناه أنك لست مؤمنة بوجود إله.. أليس كذلك!!

- ليس تماما يا مدحت.. ما أعنيه أن لدى فكرة مغايرة مازالت أبحث وأتحقق من مدى صحتها أو خطئها عن وجود الاله من عدمه.!

- هل لى أن أعرف فحوى تلك الرؤية... لعلى أسترشد بها؟؟؟

-(ضحكت جوانا).. لا تكذب يا مدحت.، أنت فقط تريد أن تعرف رؤيتى حتى تدحضها، لتثبت لنفسك أنك الفارس الهمام المؤمن الذى إستطاع هداية الكافرة الملحدة، لتحرز نصرا هلاميا أمام نفسك أو ما تعتقد أنه ربك...أليس كذلك؟!!. لقد قابلت كثيرا من الطلاب المسلمين -لاسيما من الدول العربية أو الشرق أوسطية -.. وأغلبهم حاول معى بنفس الطريقة التى تتبعها، وكأنكم جميعا خريجى نفس المدرسة الفكرية...!

- (مدحت، متصنعا الضحك)... أنا بالفعل أود أن أتعرف على نمط التفكير الغربى..

- حسنا من أين نبدأ؟!!

- حيثما تريدين..!!

- حسنا... دعنى أقول لك.. أن نقطة الخلاف الجوهرية بين الاسلام والغرب.. هو أن المسلمين لا يعون حقيقة واحدة وكبرى، وهى أن الغرب لم يعد ممثلا للمسيحية.. بل هو تعبير عن ثقافة جديدة... تعنى بالتحرر من عبودية الأديان... أو لتسميها أنت وفقا لتفكيرك " الإلحاد"..!!

- (مندهشا) كيف هذا... إذا لم يكن الغرب معبرا عن المسيحية.. فمن المعبر عنها إذن؟؟

- يعبر عنها أولئك الذين مازالوا يعتقدون فى أوهام المسيح المخلص والعائلة المقدسة وغيرها... شعوب.. وأفراد... مازالوا يتعاطون حبوب الهلوسة والتفكير اللا عقلانى.. الذى يدفعهم الى الثقة المطلقة فى أحداث وفرضيات وكتب - يقال عنها مقدسة - كتبت منذ مئات السنين.. وتناقلتها أجيال وأجيال.. والأمر لا يخضع لأى تمحيص أو تفكير... و حيث أنه...

- (مقاطعا)..على مهلك يا جوانا.. حتى أستطيع أن أفهم... إذن انت تنكرين أن الغرب بات معبرا عن المسيحية.. عن أى شئ إذن تستند الحضارة الغربية الآن؟؟-

-دعنى أشرح لك. هناك إفتراضية خاطئة مفادها أن الحضارة الغربية هى محصلة تعاقب الديانتين اليهودية والمسيحية.. العهدين القديم والجديد.،، أى أن الحضارة تنسب فى فضلها إلى تأثير على التطور الانسانى، وهذة مقولة خاطئة، إذ لا توجد حضارة غربية.. أو حضارة شرقية...، وأخرى لاتينية...، فى الواقع أنه توجد حضارة واحدة... هى " الحضارة الانسانية " شارك فيها الجميع بأنصبه متغايرة،وجهود متباينة فى أزمنة متلاحقة. إذن شاركتم أنتم المسلمون فى تطور الحضارة الانسانية..، عندما عملت مدن الاشعاع العلمى فى أسبانيا المحتلة على ترجمة ونقل علوم المنطقة التى نشأ فيها الإسلام الى أوروبا فى عصور الظلمات..، وبعضها كان قد وصل إلى تلك المنطقة من الحضارات السابقة. هى دورات متلاحقة من الإرتفاع والإنخفاض.. التقدم والتراجع...، الازدهار والخفوت... بين بنى البشر فى كل مكان..، تدافع وتلاحق وتغاير.. لتتشكل فى النهاية ما أسميه الحضارة الانسانية.

- لماذا تقولين إن المسيحية قد إندثرت فى الغرب.. ما هو دليلك على ما تقدم؟؟

- المسيحية تعانى أزمة فى مواكبة العصر الحديث...، فهى ديانة لم تجدد نفسها.. وهو نفس المأزق الذى يعانيه دينكم الاسلامى...، مثلما عانته ولا تزال تعانيه الديانة اليهودية.... دعنى أقول لك أن المسيحية فقدت الكثير من أرضيتها فى أوروبا. خذ بريطانيا على سبيل المثال.. وأنظر الى الكنائس يوم الأحاد.. كم يرتادها مقابل من يمتنع عن ذلك؟!!... النسبة كبيرة ومدللة... لاحظ إنخفاض نسبة المشاركين فى حضور قداس الأحد من الشباب.. ماذا يعنى هذا؟ يعنى أن المنحى فى إنخفاض...، فضلا عن إهتزاز ثقة المجتمع برمته فى الكنيسة بسبب فضائحها على مستويات مختلفة...

- أنت إذن تتحدثين عن الممارسة الدينية وليس المعتقدات الدينية..، فملكة بريطانيا أو ولى عهدها هو راعى الكنيسة الانجليزية.. على ما أعلم...

جوانا : ربما... لديك بعض الحق فى تلك النقطة...، ولكن ألا يعتبر عدم الإهتمام بالممارسة الدينية... دلالة على ضعف أو تراخى المعتقد الدينى وتراجعه...؟؟!! ألا يدلل ذلك على بشائر إنحسار وتراجع خاصة مع تحرر الفكر الانسانى وتطوره...؟!!

مدحت: عذرا جوانا... انا لم أفهم... لماذا تربطين بين إنكار الدين وما تسميه أنت تحرر الفكر الانسانى...؟؟

جوانا : لانه من الصعب جدا.. يا مدحت.. أن تصل بعقلك إلى حقيقة عدم وجود أله.. أو ديانات سماوية وأخرى موضوعة.. الخ...؟... أن تؤمن بتلك القصص والروايات هو أمر سهل لا يكلفك

الكثير من المشقة.. بل على العكس سيكون الدين بالنسبة لك بمثابة ترياقا تستخدمه للتخدير.. وتهدئة الخواطر، والتغلب على المشاعر السلبية مثل القلق والاحباط والإكتئاب وغيرها...!!! أما اذا واجهت نفسك - وبأسلوب علمى - فإن المواجهة ستكون بين ضميرك وما يمليه عليك عقلك... وبين الموروثات الثقافية والدينية والمجتمعية...، وتلك المواجهة ليست بالشئ المستحيل... ولكنها صعبة للغاية وتتطلب درجة عالية من التجرد والموضوعية...!!

-(بدأ مدحت يتحشرج صوته.. وهى عادة تلازمه منذ صغره عندما يتوتر.. يصاحب ذلك عادة إحمرار الاذنين.. وتقطب الوجنتين..).. ما تقوليه يصعب قبوله.. لا يوجد أى تعارض بين حرية الفكر الانسانى والأديان...، بل أن الاخيرة تدعو إلى الحرية والاخاء والعدالة... و و ، ولكن أود أن أسالك.. كيف تدرسين الاديان، وأنت غير مقتنعة بها.. وغير معترفة بوجود آله...؟؟

- أنا ابحث عن الحقيقة بأسلوب علمى.. ما قلته لك من قبل هو أن لدى فرضيات أعمل على فحصها وتدرسها بشكل علمى..، فإن ثبت خطؤها سأعيد النظر..، وأن ثبت صحتها.. أكون قد ساهمت فى إشاعة مزيد من التنوير لدى الناس..، وهذا فى حد ذاته هدف مهم بغض النظر عن الدرجة العلمية التى لا تعنينى فى شئ..

-إذن أنت مازالت فى مرحلة الشك فى وجود الاله.. أو صدقية الاديان..؟؟

- نعم ولكنه الشك العلمى الذى يستوجب البحث للتيقن منه..، ولدى الأمانة العلمية التى تجعلنى أراجع نفسى أن ثبت خطأ الفرضيات. أنت طالب دكتوراة، وتعلم بالضرورة أن البحث العلمى.. يكون مكتملا وناجحا إذا ما كانت خطواته ناجحة ومتسقة مع بضعها البعض. والفرضيات تفضى إلى النتائج وهكذا. فى جميع الأحـــوال،فإن البحث العلمى أما أن يدحض الفرضيات أو أن يثبتها... وأنا مازالت فى مرحلة البحث والتحرى، ولست بصدد الادلاء بما يشبه المقولات اليقينية...!!

-حسنا هذا دليل نزاهة علمية..، أن يكون لديك القدرة على التوصل إلى نتائج سواء أكانت متوقعة أو غير متوقعة مع البرهنة عليها. هل لى أن أسألك على مضمون الرسالة البحثية... ولا تخشى شيئا. فأنا لا أهتم الإ بالأدب الانجليزى:

-أنا أريد أن أبحث فى ظروف نشأة الأديان..، وعذرا فأنا لا أضع الخط الفاصل الإصطناعى بين ما يسمى الأديان السماوية الثلاثة والأديان الأخرى.سوف أحصى وأحصر المتشابهات فى النظام القيمى.. والاخلاقى لكل دين...، مع تحديد الفترة الزمنية التى تواجد بها..، ثم أقدم حصرا للقصص الدينية التى رواها كل دين..، ثم وضع تعريفات دقيقة لفحوى رسالة كل دين وهدفه الأسمى. الفرضية الأولى التى أود أن أختبرها هى أن كل الأديان تقدم نظم قيمية وأخلاقية متشابهة.

Obeikan.com

والفرضية الثانية أن كافة الأديان قد بنيت على بعضها البعض سواء عن طريق الإقتباس أو النقل والتحريف،وخلط الموروث الحضارى بالمقولات الدينية. أخيرا، ستكون الفرضية الثالثة، فى ضوء ما تقدم، هو أن الله أو الالهة أو القوى المسيطرة على هذا العالم هى تعبير مجازى عن تطور الضمير العالمى ليس إلا.. ومن ثم، فإن العلم الحديث مثلما إكتشف مؤخرا - أى من نحو عشرة أعوام أو يزيد - الخريطة الجينية للانسان البشرى.، سوف يستطيع أن يثبت فى مرحلة ما عبثية فكرة وجود الاله فى حد ذاته.. وأن الشعوب فى مرحلة ما من التطور افتعلت وجـــوده لضبط تفاعلات أفرادها أو إقرار فكرة الضمير، أو لعجزها - فى مرحلة تالية - عن التعايش مع التطور العلمى والتكنولوجى الذى شهده العالم خلال العقود الأخيرة!!

- هى موضوعات شيقة.. أتمنى أن يتاح لى فرصة المناقشة التفصيلية معك بشأنها...

كانت خطة العمل التى اعتمدها مدحت.. هى أن " يمرحل " الحوار معها.، أى أن يجعله على مراحل.، كل مرحلة تفضى إلى الأخرى.، ضمانا لإستمرار العلاقة إنطلاقا من محددين رئيسيين : أولهما أن يصل معها فى نقطة ما إلى مرحلة المضاجعة... وثانيهما : هو رغبته فى الانخراط فى مباراة فكرية مثيرة وشيقة معها... وهو الذى تعود دائما على لعب دور " الأستاذ" الذى يلقى ما عنده على أسماع الطلاب.. ثم ينصرف دون أن يتبصر فى عواقب ما ذكره وتأثيره عليهم..،وعما إذا كانوا قد فهموه أم لا....، ثم ليحفظه هؤلاء توطئة لكى يلقوه أو يتقيأوه فى الامتحان النهائى وكفى!!.لا تظن أن الهدفين متعارضان مع بضعهما البعض.، يشكلان ثغرة فى شخصية مدحت.. هو فى الواقع ما فتئ يبحث عما افتقده... أو ما كان يتطلع أن يحصل عليه فى شبابه.. التجربة.، المغامرة....، المنافسة..، إثارة المناقشات الفكرية.. وهكذا.. فمن منا لا يعانى قدرا من الإزدواجية؟!!.

(٦) سلوى مفيد.. والقنصل

الطيور على أشكالها تقع.. هذا المثل العربي القديم يتسق مع ما يقوله البعض بشأن " الكيمياء الشخصية "، والمقصود بها درجة التناغم والتوافق التى تنشأ خلال التعارف بين فردين.، فهناك أما قبول أو نفور بكل ما بينهما من درجات ومراتب. تولدت إذن سريعا كيمياء شخصية بين سلوى والقنصل محمد. صحيح أن شخصياتهما ليستا على نفس الدرجة من الإتساق فى كل شئ.، فسلوى أكثر إنفتاحا وإقداما وحرصا على تحقيق الشعبية حيثما كانت ووقتما تكون...، بينما القنصل محمد أكثر حفاظا على طاقته الذهنية والبدنية، فيفضل أن يكتنزها للأعمال الهامة التى يضطلع بها فى كل الأوقات.. عمل ودراسة وقراءة وكتابة ورياضة وضغوط إجتماعية وغيرها...

كيف كانت إذن نقطة التلاقى بينهما؟!!... ربما إشتراكهما فى البحث فى مادة واحدة.. ومن ثم،غدت هناك إستشارات ونصائح متبادلة بقدر ما بالطبع.، ربما أيضا بسبب عنصر الرغبة فى وجود أنيس لكل منهما... كانت الفكرة التى ما لبثت تتطور... هل هى صداقة متنامية.. أم مشروع إرتباط؟!! خلال تلك المرحلة لم تكن الإجابة واضحة فى ذهن كل منهما...، فقط كان كلاهما يشغل فراغا فى حياة الأخر.. بل ويشكل عونا نفسيا وعلميا فى نفس الوقت. بهدوء.. بدأ الإثنان فى عقد لقاءات ثنائية على المقاهى المنتشرة خلف شارع أوكسفورد استريت... أو بجانبيه...

فتألفا سريعا.. خلع القنصل محمد قناع "القنصل" بكل ما يستوجبه الأمر من جدية ورسمية.. وإرتدى قناع الشاب المصرى الذى يدرس الدكتوراة... ساعد ذلك بالطبع سلوى على أن تكون أكثر انبساطية وتفتحا معه...، فتارة تقول له.." محمد بيه "، وتارة تقول له فى وسط الكلام - وكأنها تصدر بصورة عفوية غير مقصودة - " ولكن يا محمد.. كده ممكن يؤدى إلى... زى ما قلت أنت المرة اللى فاتت ".. وهكذا سقطت الحواجز الوظيفية والرسمية بينهما تباعا إلا قليلا...!! تبادلا العزائم بشكل منتظم...، وإن كانت سلوى هى الأكثر دعوة.. لأنها تعد طعاما بسيطا بدار السكن

الجامعى... ومرة أخرى.. لعب " الطعام " دوره فى توطيد العلاقات الانسانية... بشكل أو بأخر... لم تفت العلاقة الجديدة المتنامية الناهضة غير محددة الأفق...من عضد اى منهما فى الاجتهاد فى الدراسة، ربما كان ذلك أيضا نوعا من الاتساق الشخصى والانسجام الفكرى بينهما... فكلاهما بطبعه طالب مجتهد... ولقد حرص كل منهما ان تكون صداقتهما أو لنقل علاقتهما بعيدة عن اطار ادجوارد رود.. فخلال مشاركتهما فى تلك اللقاءات المجمعة.. كانا يتصرفان بذات الطريقة الرسمية المعتادة... وكأنهما يحرصان على إخفاء أمر جلل... خاص بهما...!!!

مرت الأسابيع.. إلى أن تشجع أخيرا سيادة القنصل...وبادر فى فتح الكلام مع سلوى :

-سلوى... هل أنت مرتبطة... يعنى هل لديك مشروع ما فى مصر؟؟

-أبدا... أنا غير مرتبطة حاليا... كنت أمر بقصة حب... ولكنها لم تسفر عن شئ.. اختلفنا... هو شخص طموح جدا....، يعنى يعشق ذاته...، ويريدنى زوجة تقليدية دون أن أكمل دراستى العليا..، رغم أننى أفهمته مرارا أننى أسعى للتعيين فى الجامعة.. وهو ما يلزم الحصول على الدكتوراة.. (((هكذا وضعت سلوى... من خلال تلك الاجابة المثلى... القواعد المأمول بناء العلاقة الجديدة الممكنة إرتكازا عليها))..

-معقول.. هل مازال هناك من يفكرون بتلك الطريقة...؟؟؟.. طبعا نجاح الزوجة هو أمر يفضى إلى نجاح الزوج بالضرورة ولا يخصم منه.. المشكلة فى تخلف النظرة الشرقية.. التى ترى أن المرأة مجرد كائن مكمل للرجل..، ولا ترى أن الرجل والمرأة مكملان لبعضهما البعض... ربما ذلك يعود إلى فهم خاطئ للدين..(((بتلك الطريقة... بدأ القنصل محمد فى التأكيد على إستيعابه محددات الولوج الى ما هو أكثر من صداقة... ممهدا الأجواء لتطوير الهجوم)))...

-فى الحقيقة يا محمد بيه (قالت كلمة " بيه " بنوع من التشديد... وكأنها تتوقع منه أن يطالبها بعدم ذكر اللقب...) موضوع الارتباط فى مصر أصبح شيئا مزعجا للغاية.تصور أنا دلوقت 29 سنة (كانت تعلم أنه أكبر منها على الأقل بسبع أو ثمانى سنوات..) ومعظم صديقاتى تزوجن ثم إنفصلن عن أزواجهن...وكثيرات منهن بدأن فى الارتباط الثانى..!!.

-(لم يغفل الاشارة السابقة.... ولكنه آثر تأجيل الأمر لحين سبر أغوار شخصيتها بصورة كاملة) فى الحقيقة.. يا سلوى... المشكلة عندنا أصبحت مجتمعية. كيف صارت المادة وحدها تحكم جميع تصرفاتنا؟؟.. معظم حالات الطلاق مثلما ذكرت لان الزواج بنى على حسابات مادية وليست روحية وهذا هو الجانب الأهم...

-تماما يا محمد بيه (رددت كلمة " بيه " للمرة الثانية.. لعل وعسى)... المجتمع بات ماديا جدا..

كذلك هناك حالة عدم نضج نفسى.. هل تصدق أن بعض الازواج يضربن أزواجهن؟!!.. وأزواج أخرون يصرون على فرض زى معين (حجاب أو نقاب).. وهذا كله.. ليس بدلالة على الدين!!... (كان هذا هو الاختبار الثانى الذى أرادت سلوى من خلاله أن تتعرف على رأيه فى مسألة الحجاب وغيرها).

-(بحكم المهنة.. كان القنصل مدربا على إعطاء المعلومات التى يرغب هو فى الكشف عنها وليس ما يرغب فيه الطرف الأخر.. وكذلك على إستجلاب أكبر قدر ممكن من المعرفة من خلاله)... " فى الحقيقة يا سلوى... مشكلة مجتمعنا.. هو أنه يعانى من أزمة هوية... والناس تخلط ما هو دينى بما هو دنيوى..."!!

-فعلا... الحجاب ليس شرطا للسلوك أو نوعيته... الناس عندنا تخلط مثلما ذكرت بين ما هو دينى وما هو دنيوى. وهناك أراء – وإن كانت قليلة – ترى أن الحجاب هو خاص بأمهات المسلمين.. وليس كل النساء، ناهيك عن الإختلافات حول تعريف الحجاب، ومعناه اللغوى.. هل هو الحجاب بمفهومه الحالى.. أم الغطاء اللازم لمنطقة الصدر..؟؟ يعنى الأمر فيه اجتهاد... أما أنت يا "محمد" لماذا لم تتزوج حتى الآن!!!

-تنحنح القنصل من السؤال المباغت المقرون بنزع الصفة (بيه)... قائلا.. " فى الحقيقة.. العمل والدراسة.، التوفيق بينهما صعب للغاية... فما بالك لو أضفنا إليهما عنصر الارتباط... أنا أغلب حياتى أعيشها خارج مصر بحكم المهنة.، وبالتالى لم تعد لى علاقات كثيرة فى مصر عموما.. أنا سبق لى الخدمة فى مناطق صعبة للغاية –كما قلت لك من قبل - لا يحتملها أحد... لو كنت قد تزوجت آنفا.. لكنت الان فى قائمة المطلقين التى تحدثت عنها!!...

سارت بينهما مباراة تنس الطاولة الكلامية على النحو السالف.. كل منهما يحاول كشف هوية الآخر والتعرف على محددات شخصيته.. وذلك توطئة للإنتقال من مرحلة الصداقة والزمالة الإكاديمية إلى ما هو أكثر.... مباراة فى المحاورة والذكاء.. كلاهما يتفوق فيها...، ولو كللت بالنجاح – سيكون كلاهما فائزا فى نهايتها!!!

obeikan.com

لقاء «إدجوارد رود» المتجدد

ترسخت ديمومة إجتماعات المجموعة الشهرية بشكل ثابت.. وكأن هناك عقد خفى بين أعضاء المجموعة مؤداه..." نحن نجتمع ما بين الفينة والأخرى للتواصل الانسانى مع بعضنا البعض كمصريين شريطة أن يبقى كل منا بعد اللقاء فى حاله". إستمرارية اللقاء حولته إلى كيان شئ شبه رسمى، مثل آلية أو ندوة أو ما شابه، الكل يلتزم به، بل أن بعضهم كان يذهب الى هذا اللقاء - أو لنسميه الإجتماع -، وقد أعد سلسلة موضوعات لطرحها أو حكايات أو طرائف لروايتها لإثراء الحديث.. وإنعاش الثرثرة، لاسيما بشأن مصر وأحوالها!. وكأن مصر التى ينفرون منها.. بعضهم على الأقل لأسباب متباينة.. تحولت إلى حبل سرى يربطهم جميعا، وكل منهم يمسك بأطرافه وتلابيبه خشية الإفلات منه والنأى عنه!!.

على مقهى الجزيرة هذة المرة.. إلتقى الجمع بحضور القنصل والملحق الثقافى...، وكان الجميع يتوعد الجميع!.بدأوا فى محاولة فتح موضوعات إستهلالية عامة لا رابط بينها أو مراد من خلفها...، إلا أن دفع أحدهم الحديث دفعا لإستكمال النقاش حول الشأن الداخلى.

سها : فعلا يا جماعة.. زى ما اتفقنا المرة السابقة... الديمقراطية لابد أن تكون مقترنة بمستوى التعليم والتطور المجتمعى لكى يكون الناس قادرين أو مؤهلين للاختيار وتحمل نتائجه...

مدحت : (وكأنه يحرص على الثأر منها)... كلام إيه ده.. يا "آنسة" سها...أولا نحن لم نتفق على شئ... " مش كده ولا إيه يا جناب الرابورتير...(قالها وهو ينظر متعاطفا إلى سلوى مفيد.. وكأنه يستحثها على أن تسانده فى المناقشة).. ثانيا : كيف يستقيم المنطق الإنسانى مع تقييد حرية الإنسان فى الإختيار أيا كانت ظروفه أو محددات معيشته.؟!!.. هل هؤلاء الفقراء الأميون هم الذين أوصلوا أنفسهم إلى تلك الظروف أم أنهم ضحايا وجب التعاطف معهم، وأن نأزهم أزا إلى تحسين أحوالهم؟!.

سها : (وقد تعمدت تجاهل مدحت، وكأنها تأنف من أن تتورط معه فى مناقشة).. يا جماعة هل من الممكن أن نأمل فى أن نكون "ديمقراطية"، مثل ديمقراطية بريطانيا أو فرنسا... بالطبع لا.. تلك الدول تعيش ليس فى ظروف مغايرة بل فى زمن آخر!.. عندما نقارن أنفسنا يجب أن نضع الدول ذات الظروف المشابهة، يعنى مثلا الهند أو تونس أو الكاميرون وهكذا!..

سلوى : يا سها.. بالنسبة لموضوع التعليم... هذا موضوع شائك جدا... لأنه لا يمكن أن نقول أن الديمقراطية لا يستقيم عودها إلا فى وجود التعليم.الوعى السياسى ليس بالضرورة مرتبطا بالتعليم... صحيح التعليم يرتقى بالنوعية البشرية المتواجدة فى أى مجتمع.. ولكن من الناحية الإنسانية أو الإخلاقية لا يجب أن يكون التعليم هو شهادة بالإنسانية أو بعدمها!.... ثم ماذا يمكن أن يكون البديل عن الديمقراطية إذن..؟ النظام الديكتاتورى مثلا؟.

سها : (وقد إبتسمت).. لا يا سلوى لا أقصد الديكتاتورية بالضرورة.. ولكن هناك أنظمة عادلة أخرى.. ربما الملكية..أو...!!

سلوى : أنا لا أقصد نوع النظام يا سها... أنا أتكلم عن أسلوب الحكم.. هل ديمقراطى أم ديكتاتورى... الديكتاتورية.. هى تقود إلى الجحيم والخراب ووو.....

محمود (مقاطعا) :.. إسمحوا لى أن اختلف.. أنتم الآن تتحدثون عن قضيتين منفصلتين تماما... مع إحترامى يا سلوى، فالديكتاتورية ليست بالضرورة ضد التنمية...، بل على العكس.. أحيانا الحكم الديكتاتورى يفضى إلى نتائج تنموية أفضل من الديمقراطية لما يتمتع عادة به من قدرة على فرض النظام السلطوى، ومركزية القرار، والتخطيط طويل المدى دون الحاجة إلى تبرير كل قرار مثلما تستوجب الديمقراطية!.

سلوى (مستفزة).... سورى (آسفة) يا دكتور محمود.. يا ترى ممكن توضح بأمثلة؟

محمود : طبعا.. يكفى أن اقول لك كيف كانت نتائج الخطة الخمسية الأولى فى الستينيات فى مصر.. إلى ما قبل النكسة 67. إنظرى إلى نتائج التنمية فى بعض الدول الأسيوية.. النمور وغيرها.. وهى تفتقد بلا شك النظم الديمقراطية على غرار النهج الغربى...

سها :.. مضبوط يا محمود... (نلاحظ هنا أن سها بدأت فى الإتفاق الفكرى مع ما يقوله محمود بشكل متنام...بيد أن الحقيقة أنها كانت تقول مضبوط أو صح..ثم تقول كلاما مخلافا بعد ذلك).. أنا ضد أن يقيد المجتمع بأغلال الفقر والتخلف.. المتعلمون هم أصحاب القرار والمسئولية...!! يكفى ما تسببت فيه سياسات عبد الناصر فى توريط مصر داخليا وخارجيا...

سلوى : الدكتاتورية يا دكتور محمود لابد أن تقود البلاد إلى الجحيم إن عاجلا أو آجلا لسبب

رئيسى هو ضعف آليات إتخاذ القرار.! لا أحد يجرؤ على معارضة الزعيم الذى لا يراجعه أحد... أنظر إلى سياسات صدام فى العراق.. والقذافى فى ليبيا....!!

القنصل محمد : ما يتم ترديده فى مصر هو أن الديمقراطية تؤخذ بأسلوب الجرعات.. وهذا فى رأى كمن يقول للشعب.. أنت مازالت قاصرا ولا تستطيع أن تحكم نفسك بنفسك!...

مدحت (ضاحكا) :.... إيه ده يا سيادة القنصل... يعنى الحكومة بتنتقد الحكومة!!!

يضحك الجميع على قفشة مدحت....

إلا أن القنصل يستطرد قائلا : " لا...نحن الدبلوماسيين لا نمثل نظاما.. نحن نمثل مصر... الدولة والشعب..،عموما دعنى من فضلك أكمل فكرتى.... من صاحب الحق أن يحدد لى درجة التطور أو الحرية المسموح بها......لكى نكون منصفين.. نحن لدينا بعض مظاهر الديمقراطية ولكننا نفتقد آلياتها.. وأهمها الإنتخاب الأمين العادل الخاضع للاشراف المحايد..." ..

مدحت :(ضاحكا ضحكة خبيثة)... ما هى الإنتخابات عندنا صار يشرف عليها القضاء الشامخ!..

قفز القنصل على هذا التعليق وكأنه لم يسمعه... وإستكمل قائلا.." إلا أن أخطر الأمور فى إعتقادى أن تختزل الامور فى مجرد صندوق انتخابى ليس أكثر"..

-إلتقطت سلوى الفكرة بحكم التخصص والمناقشات السالفة قائلة: " طبعا يا محمد بيه... الديمقراطية ليست مجرد صندوق إنتخابات..يعنى مثلا لو صوتت الأغلبية على تغيير ديانة الأقلية، فلا يمكن قبول ذلك! لابد أولا من وضع نظم وقواعد حاكمة لحركة المجتمع وتطوره...، أى قواعد تحمى الأقلية من بطش الأكثرية العددية.. يعنى ديمقراطية لا تجور على الحريات ولا تقصى أحدا.، وكما يقال، فأن الليبرالية هى ضمان عدم شطط الديمقراطية".!.

-مدحت : عذرا أنتم تتحدثون... مثلما يتحدث كثيرون من الطبقة الوسطى المصرية وما يعلوها... دون أن تعرفوا ماهية مصر.. إسمحوا لى أن أسال من منكم نزل مرة إلى شق التعبان أو الدويقة أو دار السلام أو البساتين وغيرها؟!..... من منا زار الصعيد أو الأرياف؟... وكم من الوقت أمضى هناك...؟؟.. أظن أننا جميعا لابد أن نقول أننا نجهل حقائق كثيرة. لعلمكم، هناك دولة من العالم الرابع تبدأ من حيث تنتهى الجيزة، إسمها صعيد مصر... وحتى داخل القاهرة والمدن الكبرى بالوجه البحرى، يعيش الملايين فى عشوائيات... هل يعرف أحد كم عدد تلك الملايين؟.. أتحدى أن تكون الحكومة نفسها تعرف... عشوائيات تلفها عشوائيات يحوطها عشوائيات كأنها حزام ناسف يحيط بخصر كل مدينة...؟ ملايين... ربما عشرة أو عشرين مليون يعيشون هناك..، وسط حياة غير أدمية...، تنتشر الجريمة والمخدرات والدعارة والأعمال المشبوهة بل وزنى المحارم (.... لم تفهم سها

Obeikan.com

معنى زنى لمحارم، فمالت على نادية التى شرحت لها معناها).... كل هذا وأنتم تتحدثون على الديمقراطية؟؟.. بالله عليكم أى ديمقراطية فى مثل تلك الأجواء؟!! لابد من وجود تنمية حقيقية شاملة يضدللع بها نظام وطنى أمين وليس ما هو قائم حاليا... الديمقراطية الآن.. رفاهية بالنسبة للملايين.

أحمد : هنرجع تانى.. الديمقراطية قبل التنمية، ولا التنمية قبل الديمقراطية.، مثل البيضة قبل الفرخة ولا الفرخة قبل البيضة...!! ما هو يا جماعة لن يكون هناك تنمية بدون ديمقراطية لأن الديمقراطية، تعنى الحكم الرشيد وإحترام حقوق الانسان. الديكتاتورية الناصرية.. قد أوردت مصر الجحيم بعد معدلات التنمية فى عقد الستينيات التى تحدث عنها الدكتور محمود....انظر ماذا فعلت بنا.. نكسة وافلاس.؟!!.. لماذا لان الحكم الديكتاتورى لا يلق بالا برأى الجماهير...، لانه غير منتخب فيندفع فى مغامرات خائبة مثل حرب اليمن وغيرها...!!

مدحت : التيار هنا غير موات للناصرية تماما...، عموما أريد أن أقول لكم.. لولا تلك الحقبة السوداء، مثلما تصفونها، ما كان بعضكم موجودا الآن فى لندن... عبد الناصر هو من خلق الطبقة الوسطى فى مصر، هو من جعل ابن المكيانيكى.. يأمل أن يكون مهندسا..، وابن التمرجى.. أن يصبح طبيبا...

ران صمت على الجميع... اذ يبدو أنهم جميعا رفضوا أن يحاولوا دحض مدحت فى حجته تخوفا وخشية أن يبدو أحدهم وكأنه هو المقصود.. أو أن يدمغ أحدهم نفسه بشبهة الاستفادة من العهد الناصرى!!...

لقط مدحت أبعاد الموقف... فرغب فى الإستزادة...، قائلا : " عبد الناصر... لم يقتل الديمقراطية.. ولكنه كان يعمل فى إطار زمانه. هل كان من الممكن أن يقوم بالثورة، ثم يسلم الحكم إلى أحزاب ما قبل الجمهورية التى تواطأت مع الإنجليز تارة ومع الملك تارة أخرى؟!!... كم كان عدد الدول الديمقراطية، فى العالم آنذاك..؟ هذا كان " سلو " الحكم فى هذا العهد....، كما كان فى تصوره بناء قاعدة لدولة مصر الحديثة القائمة على العلم...

أحمد : والتعذيب..، دولة القهر وقتل الكرامة...، هل هناك حاكم فى الدنيا يقول لشعبه أنا من عملتكم الكرامة؟!... هل يعقل أن يقول.." سورى يا جماعة " على الإنجليز..أبناء ستين كلب... هل يعقل أن يتنول حسين ابن زين.. على ملك الأردن.. أو غير ذلك من الإسفاف!. أصوله المتواضعة هى التى جعلته، يمتلأ حقدا على من هم أعلى منه.! هو خلق طبقة وسطى عن طريق إفقار الاغنياء وإذلالهم. أبلغنى أبى رحمه الله أن ضباط التأميم كانوا يقومون بحصر الملابس الداخلية (الاندر

وير) لدى الأسر الغنية وترك عدد محدود منها لهم وكأن الباقى هو حق الدولة.. أريتم سفالة أكثر من ذلك؟!. وتوازيا مع ذلك توسع فى التعليم لأبناء الفقراء على حساب جودته أو احتياجات سوق العمل.. فأدخل الكثيرين الطبقة الوسطى دون ترو أو إعداد كاف... على فكرة، هو لم ينحاز تماما إلى الفقراء... لماذا لم يقم بمشروع محو أمية كبير مثلا؟؟... هو بإختصار أخذ شرائح الفقراء التى يمكن أن يعول عليها لضمان إستمرار مشروعه أو سلطته، ثم ضمها قسرا - دون التطور الاجتماعى المطلوب والمتأنى - إلى الطبقة الوسطى... والنتيجة.. تدهور عام فى الشخصية المصرية، وإضفاء النزعة الريفية على المدن!.

الملحق الثقافى جورج نسيم... أيوة.. علماء الاجتماع يسمون ذلك.. ظاهرة " ترييف المدن "!!!

نادية : تماما نسبة الريفيين المتواجدين فى القاهرة.. والصعايدة بالاسكندرية كبيرة ومتزايدة... تصدقوا البوابين فى المعادى والعجوزة.. أضحوا فى الشتاء يشعلون النار فى الخشب للتدفئة.. فضلا عن إنتشار القمامة فى كل حى.. تصوروا أن هؤلاء صاروا يشعلون الحرائق بها!!..

أحمد.: يا جماعة... كله كوم... والقيادة عكس اتجاه الطريق كوم تانى.. يعنى الواحد منهم بيقود الميكروباص بنفس الكيفية التى يركب بها حماره... يعنى لن ينتظر ريثما يصل الى الميدان أو إنحناء الطريق.. بل يتقهقر ثم يعدل " حماره " قصدى سيارته ويبقى أن يقول لها " شي... حاااا"..

ضحك الجميع بدرجات متفاوتة من الإنفعال، فمنهم من أصدر قهقهات عالية مفتعلة نوعا ما مثل سها وبدرجة أقل نادية.. ومنهم من إكتفى بالإبتسام مثل محمود وسلوى والملحق الثقافى... فى ذات الحين، ساد الوجوم وجه القنصل محمد لأنه لمح إذنى مدحت وكأنهما صارتا قطعتين من " الطماطم " من فرط الانفعال والتوتر..

مدحت : بجد دى حاجة عظيمة جدا... "ترييف المدن"...عال جدا....، أحب أنا الكلام الكبير ده... على رأى محمود عبد العزيز.. " أدينى فى الهايف.. وأنا أحبك يا ننس "!!!.. طب رأيكم أن إحنا نعمل أسوارا كبيرة تحيط بكل مدينة حتى لا يخالطها غرباء.. أو يدنسها أولئك الفلاحين الرعاع الأنجاس، حتى لا تتأذى مشاعر أهل المدن برؤية هؤلاء بملابس رثة وشعر أكث....!.

-نبرة الصوت الساخرة المحتقنة وطريقة الالقاء.. ظللت أجواء اللقاء بسحب رمادية ملبدة بنذر مواجهة أو شجار آت... ران صمت مطبق لفترة... حاول أحدهم أن يخفف من وطأته ببعض الكحة... إلا أن مدحت وجدها فرصة سانحة.. لتعليمهم درسا فى العلم والاخلاق وإستكمال التقريع!..

مدحت : أقولكم هناك فكرة أحسن... أيه رأيكم نعمل بطاقات رقم قومى بلون مختلف

للريفيين.، مثلا نعمله أحمر اللون مثل بطاقات العاهرات قبل الثورة، حتى يسهل لرجال الشرطة التعرف على هؤلاء.. إن تنكروا فى ملابس أهل المدينة وتمكنـوا خلسـة من إقتحام الأحياء الراقية.. ولا أيه رأيكم نعمل معهم زى ما كانت الهند بتعمل...، يعنى - ولا مؤاخذة - نحضر عيادة متنقلة فى سيارة نقل مثلا.. ونستدعى هؤلاء، أو نجعل الشرطة تحضرهم قسرا.، ونقوم بعمل إخصاء للرجال مقابل مبلغ مادى أو جهاز راديو أو تلفزيون...!!

وضحت إذن ملامح الشجار الآتى، فلم يرغب أحدهم فى القيام بمداخلة.، حتى لا يكون أول من يصاب بدفعات الإنفعال المتجلى على وجه مدحت ونبرات صوته. هنا حاول القنصل محمد التدخل قائلا... " يا دكتور مدحت.. الجماعة كانوا بيناقشوا الموضوع...من زاوية....."

مدحت " (مقاطعا ومنفعلا)..." من زاوية إيه وبتاع ايه... يا سيادة القنصل...دى- ولا مؤاخذة مش مناقشة - دى إسمها... سخمطة... من السخام...، والسخام ده ولا مؤاخذة مرض يصيب النباتات.. يخليها سوداء زى الفحم. هذة هرتلة رسمى.. للأسف يشارك فيها أفراد على درجة عالية من لعلم أوهكذا يفترض أن يكونوا.... أسلوب تفكير عنصرى مريض يكشف عن مبالغة فى تقدير حجم الذات. ولا يوجد كلام محترم يمكن أن يقال للرد عليه..، هرتلة يقوم بها مثقفون... فيرددون كلمات جوفاء رنانة يسمعونها ممن يسمون أنفسهم " نخبة ".. وللأسف نجد بعض ممثلى الدولة يشاركون فى هذا الهراء (قالها دون النظر إلى الملحق الثقافى.. وكأنه يوبخه على مشاركته بالتعليق)...

-واصل مدحت كلامه... " مشكلة مصر يا مثقفين يا متعلمين هو التفكير العنصرى...، يعنى إحتقار الغنى للفقير.. وكأن الفقر إختيار الفقير...، وإحتقار أهل المدن للفلاحين... رغم أن أغلبية مصر من الفلاحين... الصعايدة ضد البحاروة..، والصعيد بعضه تجاه بعض،... وأهل القاهرة والأسكندرية تجاه عموم سكان مصر...، روح جاهلية وعصبية مقيته تسود بنا.!! بالأمس أثناء تواجدى فى القنصلية... يا محمد بيه (ركز بشدة على كلمة "بيه"، وكأنه يمتدحه لكى يستطيع جذبه إلى تأييده).. سألت معاون خدمه(فراش) بقسم المواطنين.. أين تسكن؟؟... تعرفوا قال إيه.. يا نخبة يا مثقفين... قال أنا أسكن قريبا من القنصلية.. خلف شارع " سلون " قريبا من محلات هاردوز... يعنى منطقة من أغلى مناطق لندن وأكثرها غنى وثراء.!!!... الظاهر الرجل قرأ الدهشة على وجهى... فاستطرد قائلا.. أنه يسكن فى الكونسل فلاتز...- أى فى الشقق السكنية التى تخصصها الدولة للمحتاجين واللاجئين السياسيين والفقراء غيرهم -... أتفهمون ماذا يعنى هذا الكلام؟... ولا صعب عليكم أن تفهموا...؟؟ يعنى أن الحكومة البريطانية الأكثر تحضرا فى العالم تحرص على أن

تقيم "الكونسل فلاتز" فى كل حى فى لندن.... مهما كانت درجة ثرائه وتميزه، كى يستشعر الجميع أنهم فى مركب واحد!..فقراء وأغنياء... من شتى بقاع الأرض... وليس فقط من عموم المملكة المتحدة...، هناك ضرورة مجتمعية أن يشعر الجميع بالألفة والتجاور.، وأن يتعاطفوا مع بضعهم البعض. لم نسمع مثلا أن الأغنياء الذين يعيشون فى " سلون استريت " المحاذى للقنصلية.. قد أبدوا تذمرهم أو ضيقهم من مناظر وأشكال جيرانهم....لم تنتشر بعد فى عموم بريطانيا ظاهرة " الكومبوند" التى إنتشرت لدينا وكأن كل واحد يريد أن يربأ بنفسه أن يعيش فى مصر التى نعرفها جميعا.

أفرغ مدحت ما فى جعبته.. من شحنة إنفعالية...، وأرد أن يختتمها بشكل مسرحى...قائلا :

-" عموما إذا كان هذا نمط التفكير فلا جدوى للنقاش معكم من أساسه... كنت أتمنى أن يكون تحاورنا على مستوى عال من الثقافة.... ولكن بعد هذا الكلام الفارغ.، فإن اللقاء الدورى فقد إذن معناه وجدواه.. أتمنى لكم التوفيق وأعتذر عن إمكانية اللقاء مجددا... هه... يلا.. سلام عليكم"..

انتفض مدحت قائما.. وترك 15 جنيه إسترلينى ثمن الشاى والشيشة على المنضدة.، فهرع القنصل والملحق الثقافى بمحاولة جذبه للجلوس، مؤكدين أن الموضوع لا يستحق كل هذا الإنفعال... وأنه لا يعدو كونه مجرد مناقشة ليس أكثر. وترددت كلمات قصيرة وأخرى مطولة... إلا أن مدحت... الذى كان يرتعش من فرط الإنفعال تمتم بكلمات غير مفهومة أو مسموعة بدقة... " مثل حصل خير... معلش.. مضطر أمشى دلوقت،.. أشوفكم بخير.. " ثم سار بمفرده...!!!

عاود الزملاء الذين بادوا يقاربون حافة الصداقة الكلام بأسلوب متحفظ نوعا بسبب تأثير وقع كلمات مدحت وإنفعالاته... مرددين عبارات لائمة مثل " برضه ما كانش يصح نضحك على الريفيين بهذا الشكل وهو معنا....، و اللى على رأسه بطحة يحسس عليها... هو فيه حد وجه له كلام؟"!!...

صاحت سها... "بصراحة يا جماعة.، لم يخطئ فى حقه أحد.، فعلا لدينا مشكلة فى أن المدن الحضارية صارت شبيهه بالأرياف...، وأن الأرياف صارت شبيهه بالمدن.، يعنى شوهنا كل شئ وأى شئ... نحن ندفع تبعات ميرات ثقيل فى التركة الناصرية.. كله اختلط على كله".!..

محمود : "مع احترامى يا سها.. العشوائيات.. والهجرة من الريف إلى المدن لم تكن ظاهرة فى عهد ناصر.. بل بدأت وإنتشرت فى عهدى السادات ومبارك"...

سها : "هو يعنى يا محمود السادات شيطان وعبد الناصر ملاك... ما هو السادات ورث البلد خربانه من عبد الناصر... يعنى كان هيعمل ايه؟؟".

كان الجميع مرهقا نفسيا وعصبيا من سخونة مناقشات هذا اللقاء بأحداثه الدرامية..،فآثروا

الإنتهاء منه فى هدوء... على أن يقوم الملحق الثقافى ومحمود - حسبما اتفقوا - على الاتصال بمدحت ومحاولة تطييب خاطره.. ودعوته لحضور اللقاء المقبل.!!

obeikan.com

الفصل الرابع

ظلال لندن
هنا وهناك

obeikan.com

(١) محمود عز الدين...!!

-"خبرتى وقد شارفت على الأربعين أن هناك واحدة فقط فى حياتك... ليست ثلاثة أو إثنتين، هى التى خلقت كى تتواءم معك، فى كل شئ وأى شئ... هى تلك التى تسميها بعض الأساطير القديمة نصف البذرة المفقود منذ أن نثرت الآلهة الأغريقية البذور، منقسمة إلى نصفين، لإنبات وإعمار الأرض... هى فقط لا قبلها ولا بعدها... أى محاولة من قبلها.. هى محاولة لإفتعالها أو تخليقها... وأى محاولة من بعدها هى محاولة فاشلة لتعويضها أو إستنساخها. قد تقابل من هى أفضل أو أجمل أو أذكى فى مسار حياتك فيما بعد... ولكنك أبدا لن تعوضهـــا... فستظـــل ذكراها نابضة، ومتدفقة..ومتواجدة وحية بوجدانك.... المهم أن تقابلها فى الوقت الصحيح... بمعنى أن تيسر الظروف لكما سبل التلاقى وتنامى المعرفة دون عوائق أو عراقيل... والأهم ألا تكون غبية... فللأسف كثيرا ما تكون كذلك.. وقليلا ما تكون أنت أقل ذكاء من أن تدرك فى الوقت الأمثل أنها هى.. وأنه أنت.... الأوحدان،وليس فقط الأكثر توافقا..لإستكمال مسيرة الحياة وغرس الأرض بالبذرة المكتملة"!!!!

روادته تلك الأفكار وهو فى طريقه للسؤال عن تدريبات رياضة التايكاندو التى توقف عن ممارستها منذ سنوات بعيدة. أما لماذا قفزت إلى ذهنه فكرة أن يحاول إستعادة لياقته البدنية وممارسة اللعبة التى أحبها كثيرا وهو فى هذا السن الكبير نسبيا، فالإجابة أن لندن بطبعها مدينة تغرى بالتعرف والتعلم والتجربة.. فى أى سن وتحت أى ظروف. ممكن أن تجد مثلا رجل أعمال يبلغ الستين عاما، ثم يذهب للحصول على دورة تدريبية فى الإخراج السينمائى... أو طبيبة تقرر أن تتعلم الحياكة،بعد أن اكتشفت فجأة فى نفسها قدرة على تصميم الأزياء!!!... لندن مدينة لا تضع حدودا خاصة بالسن... فمن الممكن أن تجد طلابا فوق الثمانين وهو ما فتئوا يدرسون بالجامعات، حتى أن طالبا حصل على ماجستير قبل سنوات وهو فى الخامسة والتسعين.!!! هذة

الروح الشابة التى تولدها المدينة بتروسها الهائلة التى لا تكف عن الدوران بداخلك تدفعك دفعا للتعلم والتدريب.. دون خجل أو تحفظ.

وجد محمود أثناء بحثه على الأنترنت سلفا لعبة شبيهه بالتايكوندو غير منتشرة بمصر فرغب أن يجربها..لعلها تعيد إليه بعضا من لياقته وكثيرا من شبابه. وبالفعل بدأ فى ممارسة رياضة "الكيك بوكسينج - بنظام يسمى (الزين دوو) - وهى لعبة قتالية عبارة عن خليط من الملاكمة والتايكوندو -، بمركز سيمور الرياضى الكائن بالقرب من ادجوار رود بوسط لندن. وبالفعل، بدأ محمود بعد قليل فى إستعادة لياقته البدينة، وقدرته السالفة على فتح ساقيه متعامدين..، بل ووجد نفسه فى حالة مزاجية رائقة.. بسبب أن تلك الرياضة العنيفة، بما تتضمنه من ضربات باليدين والقدمين تفرغ الطاقة السلبية بداخل الإنسان، فتجعله وبسبب إفراز الإدريناين المكثف أكثر سعادة وهدوءا. الأمانة تقتضى ذكر أن تلك الرياضة أيضا كانت هى البديل الأسهل للصوم..، والذى هو الأداة الفعالة (الوجاء) لمواجهة ضغط الشهوة المتفجرة دوما فى داخل كل رجل يعيش بمفرده وسط لندن العامرة بالفاتنات من شتى بقاع الأرض فى كل شارع وكل زقاق...!!!

كانت قواعد التدريب بمركز سيمور تقضى بأن يقوم كل لاعبين من نفس لون الحزام، ومن ذوى الوزن المتقارب، بالتدريب القتالى الجدى لمدة عشر دقائق... إلا أن هذا لم يحدث تلك المرة، فعندما تم توزيع اللاعبين وجد " محمود " نفسه فى مواجهة "كاتيا" للمرة الأولى. فتاة جميلة غضة بيضاء تبدو حالمة وساكنه..، وهى تقريبا تزيد قليلا عن نصف وزنه، وترتدى الحزام البنى، وهو ما يعنى أنها خاضت بالفعل النزال الحقيقى عدة مرات للتأهل له... وأن خبرتها تفوق خبرته بما لا يقل عن عام أو أكثر..وإن كانت تبدو أصغر منه بحوالى عشرة أعوام أو أكثر.

كل هذا لا يهم... ما يعنينا هنا أنه وجد نفسه وجها لوجه.. مع تلك الفتاة حسبما تخليها وعاشت فى وجدانه وذهنه لسنوات طويلة..، هى نفسها بكل ملامحها وتفاصيلها الدقيقة. إضطرب قليلا أو كثيرا، فخيل له أن وجيب قلبه يتسارع ويمكن سماعه عن بعد. أنها بالفعل هى..، كما تمناها..، هل يعقل أن يقابلها هكذا صدفة لمجرد أنه غير مواعيد التدريب هذة المرة،؟؟ هل يبتسم له القدر.. بعد طول جدب وصبر على فشل قصص حب وتبدد مشروعات إرتباط.. حتى بلغ عمره الثامنة والثلاثين؟؟.. انها هى بالفعل.. ووووووو........ولم يفق محمود من غفوته إلا وهو يهوى على الأرض بكامل جسده، بعد أن هاجمته " كاتيا "،مستخدمة أسلوب "الرواند هوس كيك"، بضربة أولى سريعة بباطن قدمها فى ركبته، ثم ثانية بذات القدم فى جانب جذعه، ثم ثالثة فى منتصف صدره...، إذ إدركت كاتيا أن فارق الطول والوزن بينهما يستوجب منها السرعة وإستخدام

أرقى أساليب اللعبة لحسم النزال مبكرا.

حاول محمود أن يتغلب على إضطرابه، ولكن هيهات....، فضربات قلبه تتسارع.. وفرائصه ترتعد، وجبينه يتصبب عرقا.... أمهلته قليلا لينهض.. لتنقض عليه، على الفور، بلكمات خطافية سريعة أسفل الذقن، وضربات أخرى موجهه إلى صدغيه..كى تفقده الإتزان، ثم " فرونت كيك " أسفل البطن جعلته يثنى جسده للأمام، ثم " سيد كيك " فى صدره..ليرتطم بشده بالحائط ويسقط مجددا..!!، لاحظت هى والمدرب أن شيئا غير طبيعى يحدث.، فعرضا عليه معا وقف التدريب.، الا أن محمود نهض سريعا مترنحا، ومتمتما بكلمات غير مفهومة وإشارات توحى بأنه بخير وسيواصل التدريب.،

صار نصف عاشق.، ونصف واع.، ونصف غائم.، ونصف حاضر.، ونصف غائب!!!..لم يفلح فى الدقائق التالية سوى أن يقوم بحماية وجهه والمناطق الحساسة بجسده، بأقصى ما يستطيع، ساعيا لإخفاء اضطرابه من جانب.، ومحاولا تذكر أى أساليب قتالية سبق لها تعلمها خلال السنوات السالفة من جانب أخر دون جدوى!!!. ليمضى الحال على هذا المنوال.. هجوم شرس من تلك القطة البرية المتوحشة.، ودفاع بقدر الإمكان من جانب محمود.، ومع توالى الهجوم وتنامى وتيرته.. تخبت كاتيا، سواء بوعى أو بدون، عن الحذر الدفاعى المطلوب دائما وأبدا فى مثل تلك الألعاب القتالية.

عندئذ، تمالك محمود نفسه مدركا بخبرته أنه ما سبيل لهزيمتها إلا بإستخدام الخدعة الذكية التى طالما أجادها.. لثوان قليلة، أرخى يديه بجانبه متظاهرا أنه لا يقوم بالحماية اللازمة لوجهه... فلم تستطيع كاتيا - بحمق الشباب ونزقه - مقاومة إغراء النيل منه بضربة واحدة ونهائية...، الضربة الخلفية المزدوجة (الدوبل باك كيك) التى طالما تمرنت عليها حتى أجادتها إلا أن النزال الحقيقى لم يتح لها أبدا فرصة تأديتها...، فإرتكزت على قدمها اليسرى.، ودارت بكامل جسدها دورة كاملة، توطئة لكى تقفز لأعلى قليلا لتضربه وهى فى الهواء بباطن قدمها اليمنى فى صدغه وأنفه معا، ثم تضربه بدفعة قوية بالقدم الأخرى فى صدره...

كان هذا بالضبط ما ينتظره محمود.، ففى تلك الهوينة.. ألقى محمود بجسده لأسفل بشكل أفقى ليتفادى ضربتها.، ثم ليضرب بقدمه اليسرى - من الوضع طائرا - بكل ما أوتى من قوة " ساقها المبتورة على الأرض " بحيث جاءت الضربة على الجزء الخلفى الذى لا يغطيه واقى الســـاق (الشنكار)، لتصرخ كاتيا بأعلى صوتها متأوهة ولتسقط بكامل جسدها الواثب دفعة واحدة على الأرض.!! قبل أن تفيق من دهشة المباغتة، ألفت محمود يقفز عليها.، ليمتطيها بشكل كامل...،

مثبتا ساقيها بركبتيه، وقابضا على ذراعيها الممتدين بكفيه، متبادلا معها نظرة حنونة وابتسامة غائمة!!

لم تقاوم كاتيا أو تسع لتخليص جسدها أو تحريكه قيد أنملة...، إدراكا أن فارق الوزن بينهما لن يسمح لها بذلك، فبادلته الإبتسام برقة ودعة..، بعد أن إستوعبت خديعة محمود..، وكيف إستطاع أن يستخدم ذكاءه للتغلب على خبرتها ومرونتها!!!. فى تلك الأثناء، بدأت الدماء تسيل دفقات من أنف محمود، فنهضا سريعا وسارا معا......كاتيا لكى تضع ساقها فى الثلج، ومحمود لكى يضمد أنفه. أثناء ذلك تبادلا التحية والتعارف، وعبرت كاتيا ضاحكة عن سعادتها من أن يكون بداية تعارفهما بتلك الطريقة الفريدة من نوعها..!!!

توالى الحديث لدقائق ثم أمتد لساعات دون تدبير مسبق، فمنذ إنتهاء التدريب فى الساعة الخامسة وحتى الحادية عشرة مساء وهما يتجولان فى منطقة وسط لندن..، ويتحدثان فى كل شئ وأى شئ. أخبرها محمود أنه مصرى الجنسية ويدرس الدكتوراة فى القانون التجارى بجامعة ويستمنستر وأنه يعيش فى سكن الجامعة.. علقت قائلة بأنها لا تتصور أنه لا يزال فى العالم حمقى يعدون دراسات دكتوراة بلا عائد حقيقى، فالحياة أبسط كثيرا من أن يتم إهدار خمس سنوات فى إعداد دراسة قد تفيد أو لا تفيد، والحياة أعقد كثيرا من أن يتم فهمها عبر المعرفة النظرية..، وأنها تعمل بعد التخرج فى كلية الاقتصاد بلندن كمحاسبة فى سلاسل محلات دبينهام دون أن تفيدها الدراسة شيئا. لاحظ محمود بدوره أنها تتحدث بلكنه إنجليزية راقية للغاية وإن كانت بطيئة نوعا. إستفسر منها عن ذلك، فضحكت كثيرا قائلة أنها ليست إنجليزية تماما – وان كانت حصلت على الجنسية مؤخرا -، فهى من أصول روسية وهاجرت إلى لندن منذ سنوات، وأن عقلها مازال يعمل بأسلوب " ترجمة جوجل "، فهى تفكر أولا بالروسية ثم تترجم ذلك إلى منطوق باللغة الانجليزية. ثم تحدثا عن الحياة والسياسة والفن.. الخ. كل منهما كان لديه شغف كبير للتعرف على الأخر الذى بدا وكأنه قادم من عالم أخر.

عندما شارفت الساعة على الحادية عشرة.. إستأذنت فى المغادرة، إذ أنها تسكن فى المنطقة الرابعة من المدينة.. ثم دعوته إلى أن يتناول العشاء معها غدا فى منزلها الذى تقيم فيه بمفردها الأسبوع المقبل.

عندما لمحت "اللمعة" فى عينيه، إبتسمت بخبث... ثم أمسكت بأذنه وكأنه طفل صغير مذنب.. مؤكدة أن هذا لا يعنى على الإطلاق أى دعوة مجانية لممارسة الجنس، فإن حاول شيئا، فسيكون ما تعرض له اليوم بمثابة نزهة بسيطة.

أجابها محمـــود - بنبرة حاول أن يجعلها معبرة عن الإستنكار والدهشة- أنه لا يمكن أن يفكر هكذا!!. فأجابته على الفور.. بأنه كاذب.. فلقد لمحت فى عينيه منذ الوهلة الأولى نظره إشتهاء، وأن هذا هو السبب الوحيد الذى جعلها تترفق به نوعا!!.فلم تستخدم معه كل أساليب اللعبة...!!

إبتسم محمود قائلا - بشئ من الكبرياء - أنها حتى لو طلبت ذلك، فلن يستجيب، فدينه الاسلامى يمنعه من ذلك. علقت قائلة " يا للمسكين..هل مازالت تدرك الدين بمثل تلك النظرة المتخلفة؟!"!..

obeikan.com

(٢) سها النجاد... ومحمود

إستجابة لدعوة سها، قابلها محمود أمام محطة ماربل أرش فى بداية شارع أوكسفورد.. وتصافحا.. وافادته سها برغبتها فى السير بمنطقة وسط البلد.. فاستجاب محمود مرحبا فهى أيضا منطقته المفضلة..ومن شارع أوكسفورد عرجا إلى ميدان نوتنتهام جيت، ومنه توجها سويـــا إلى شـــارع " ريجنت" التجارى العريق وصولا إلى منطقة البيكاديلى...

طوال سيرهما سويا.، للمرة الأولى، إصطنعا معا محادثات لا معنى لها للتغلب على الصمت من جانب، وتحقيق ألفة الطريق والصحبة من جانب آخر.. بدأت سها إنتقاداتها لأسلوب مدحت غير الراقى فى الكلام.، فأجابها محمود ببعض تمتمات لا يفهم منها شئ، سوى أنه غير راغب فى إستمرار الحديث بشأنه. فمحمود، بحكم تدينه، لا يحب أبدا الإغتياب أو النميمة التى وضعها الدين بمثابة أكل لحم الأخ ميتا. بلباقتها التى لا تقل أبدا عن جمالها.. إستطاعت سها إدارة دفة الحديث عن صعوبات الحياة فى لندن.، وكيف أنها تضطر إلى تخصيص يوم كامل لغسيل الملابس وكيها... وتنظيف الإستديو.، بعد أن وجدت أنها تدفع مصاريف باهظة...، "الجيب" وحدها تتكلف ستة جنيهات.، "التاير" ليس أقل من عشرة جنيهات.، أى أنها وجدت أنها تدفع أسبوعيا ما لا يقل عن مائة جنيه إسترلينى - أى ما يناهز الألف جنيه مصري فى تلك الأغراض..!.

علق محمود ضاحكا.. بأن مثل هذة الخدمات فى مصر تتكلف مبالغ زهيدة مقارنة بلندن.، يكفى أنه فى مصر.. يقوم المكوجى بالقدوم لإستلام الملابس ثم يعيدها إليك فى وقت مناسب بعد الإنتهاء منها،... أو أن خادمة تنظيف المنزل تبلغ "يوميتها" ما لا يزيد عن أربعين أو خمسين جينها.، أى خمسة جنيه إسترلينى فقط وهكذا. أبلغها بدوره أنه رغم إعتياده الوحدة منذ سنوات، إلا أنه أبدا لم يستطع يوما أن يقنع نفسه أن يقوم بتلك الأعمال أو حتى يعتنى بترتيب حجرته...لأنه يفضل أن يصرف طاقته فى أمور أخرى أكثر فائدة مثل الرياضة او القراءة.. أو "غيرها" (كان يقصد

" بغيرها " الجهد التعبدى الخاص مثل الصلاة وقراءة القرآن...، ولكن محمود لا يحب أبدا أن يطلع أحدا على تفاصيل علاقته بخالقه..سيما أنه يعرف أنه ليس قديسا البتة).

إبتسمت سها وتورد خداها.. وعلقت قائلة... " أوباااا... إذن أنا أسير حاليا مع سى السيد.. وفقا لثلاثية المبدع نجيب محفوظ "...ضحك محمود... ولدهشتها.. بدأ ظريفا بأكثر مما تشى ملامحه... حكى لها فزوره وتحداها أن تعرف الإجابة... " واحد عصبى جدا... تزوج خمس مرات.. وطلق ست مرات.. ولم يطلق واحدة من زوجاته مرتين.. إزاى؟؟؟"...أطرقت سها... ولم تجب.. وهى تحاول أن تعثر على الإجابة الصحيحة فى وقت مناسب دون جدوى..فأجابها ضاحكا أن الرجل لانه عصبى جدا.. بينما يتشاجر مع جارته نسى أنها ليست زوجته وقال لها أنت طالق".. رغم سخافة الطرفة، إلا أن سها إفتعلت ضحكا متواصلا حتى لا تحرجه!! وعندما مر ساعتان.. انفصلا على وعد بتكرار التنزه مجددا!!!

الخلاصة أنه لم يحدث شئ.. سوى كلمات هنا وهناك لا رابط بينها ولا منطق من ورائها.. لم يحدث شئ سوى تجاور الاثنين فى المشى والكلام...، إلا أن شيئا ما كان مختلفا فى سها صبيحة اليوم التالى عندما إستيقظت!!.

بعض الأشخاص بطبيعتهم، ومنهم سها، عادة ما يكونون فى أكثر أوقاتهم كآبة أو عصبية فور الإستيقاظ من النوم، ربما بحكم العادة أو تركيبات نفسية معينة...، ثم تتحسن نفسياتهم بمرور الوقت وبدء فعاليات اليوم. اليوم وعلى عكس المعتاد.. إستيقظت سها سعيدة مرحة يقظة تتفجر فى عروقها نبضات هرمون السترونين بشكر تلقائى.

مدت يدها كالمعتاد إلى علبة الدواء المضاد للإكتئاب، الا أنها سرعان ما تراجعت. ذهبت إلى الحمام، وأخذت دشا دافئا سريعا، ثم إرتدت ملابسها، ولم تضع أى مساحيق زينة. وقررت أن تسير إلى مقر دراستها. جميل أن تلفحك لندن بهواء شتائها المنعش. أخذت سها تسترجع تفاصيل كل ما حدث...، كلمة كلمة.. ماذا قالت؟؟... وكيف عقب محمود؟؟... يعنى هو " ثقيل الظل شوية... ولكنه محترم ويبدو عليه أنه إنسان راق".. هكذا تجمعت خلاصة التقييمات العقلية التى كانت تجريها إلى حين وصولها إلى قاعة الدرس.

وجدت بنفسها طاقة إيجابية دافقة أثناء المحاضرة.. رغم أنها لم تستوعب كثيرا الدرس...، الا أنها درأت عن نفسها الصمت الذى كانت تلتزمه...، فبدأت توجه الأسئلة إلى المحاضر... أول الاسئلة كان بلا معنى تقريبا...، مثل أن تسأل " كم الساعة؟ " فى ميدان ملئ بالساعات... فقط كانت تجرب صوتها وسط القاعة للمرة الأولى للتغلب عن خشيتها من مواجهة الزملاء والمحاضر معا...

تلقى المحاضر السؤال بترحيب رغم هزاله.. فهو بخبرته يعرف أن هناك من الطلاب من يريد أن يسأل كى يلفت نظر الآخرين إلى تواجده ليس إلا...، أو لرغبته فى كسر رهبة العلاقة بين الإستاذ والطالب..، أو أى أغراض أخرى لا علاقة لها بالدراسة... مرة أخرى، كونت سها رأيا عن نقطة ما فى المحاضرة..، هى تأثير إنضواء الدول النامية تحت مظلة منظمة التجارة العالمية..، ثم رفعت يدها، وبمجرد أن إلتفت إليها المحاضر مبتسما...، ذكرت أنها تعتقد أن تلك المنظمة عكست فى تكوينها، وأسلوب عملها بالتبعية، التوازنات الدولية بين الشمال الغنى والجنوب الفقير.. شأنها فى ذلك شأن الأمم المتحدة... ومن ثم، فإن الدول النامية -وإن كانت مضطرة للإنضمام إليها للاندماج فى الاقتصاد العالمى - عليها أن تستمر فى الدفاع عن مصالحها وتعديل أساليب العمل.!!.. ثم رددت ما معناه أن الحضارة الغربية قد إستندت فى نمائها التاريخى إلى نهب ثروات الدول الفقيرة، ومن ثم فأن تلك الدول لا يجب مطالبتها الان بالالتزام بقيود الملكية الفردية التى تحد قدرتها على التنمية أو حتى إستيفاء احتياجاتها الأساسية من الدواء والطعام.!

أثار التعليق من فوره مداخلات أخرى من الطلاب القادمين من مختلف الدول للدراسة بتلك الكلية العريقة. صحيح أن سها لم تكن تستمع لاى منهم..، فقط كانت سعيدة بنفسها... ما سر هذة السعادة؟؟.... هل لانها فقط سارت مع محمود...دقائق وتبادلا كلاما عابرا لا يفضى إلى شئ؟؟..... منذ متى كانت سها...، على سن ورمح...، تحتاج إلى رجل... -أى أن تحادث وتسير بجانب رجل... حتى تستعيد توازنها النفسى؟!! ربما بسبب الوحدة والبرد وضغوط الدراسة خلال الشهور السالفة..، كل تلك العوامل كفيلــة بأن تؤثـــر على نفسية أكثر الأشخـــاص إتزانا...!.

عرجت سها بعد إنتهاء الدراسة إلى محل بيع الزهور المقابل لكليتها، والذى كان من قبل محطة للتزود بالوقود فبات اسمه.." محطة الورود"...، وإشترت لنفسها باقة من الورود والأزهار الحمراء والبنفسجية.. وسارت بها- وهى تحتضنها - حتى محل سيلفيرج بشارع أكسفورد.. ليقابلها الناس رجالا ونساء بابتسامات سريعة وايماءات مرحبة...، فمثل تلك الحركة فى الثقافة الغربية... تعنى أن زوجها أو صديقها (البوى فريند) قد أهداها الباقة أثناء تواعدهما...، تماما مثل أن حمل الطفل الصغير يستدعى الإهتمام والتدليل وإبداء التعاطف. إستمتعت سها، والجميع يرمقها. سها الجميلة الفاتنة صاحبة الحظوة التى رفضت من قبل عشرات الرجال من جنسيات عدة....، تسير الآن.. كملكة متوجه فى قلب لندن..، وتتبادل التحيات مع الجميع. وكجزء من تدليل الذات، إستقلت تاكسى لندن الشهير....، رغم إرتفاع تعريفته...، عائدة إلى الإستديو..، وهى تتذكر ليلة الأمس... وحتى اليوم... وكأنها تشاهد فيلما سعيدا تمثل هى فيه بنفسها دورها!!...

فور دخولها إلى الإستديو أعدت طعامها على عجل.. ثم أدت صلاواتها كلها (الظهر والعصر والمغرب والعشاء)... فيوم لندن قصير جدا ينتهى تقريبا فى الرابعة مساء.. وهى لا تستطيع الوضوء والصلاة فى الكلية.. رغم وجود مصلى أو بمعنى أصح غرفة للعبادة لذوى الأديان (اليهودية والمسيحية، والاسلام)... وذلك لانها لا تستطيع الوضوء أمام الأخريات.. وكى لا يفسد ميكاجها وهندامها ثم قررت أن تخلد سريعا إلى النوم.. وثمة إبتسامة تلوح على شفيتها... وسؤال حائر يتردد بين جنبات عقلها.... "ماذا تريدين من محمود؟؟ "... لا شئ... هو فقط إنسان جميل ورقيق.... لعله يكبرها بسنوات.. هو يبدو فى الأربعين أو أصغر قليلا. عموما.. لندع الأمور تجرى فى أعنتها، فما بين غمضة عين وإنتباهتها يغير الله الدنيا من حال إلى حال...!

obeikan.com

(٣) أحمد مشتهر...!

"يقولون إن هناك منطقة ما غامضة مختفية فى النظام الشعورى داخل نفس الإنسان لا تنمو أو تستثار إلا إذا بدأ الإنسان فى إقتناء الحيوانات الأليفة أو الطيور وبدأ فى مداعبتها أو العناية بها.. يقولون ما هو أكثر من هذا، وهو أن السعادة التى تستشعرها عندئذ تغير ما بداخلك من منظومات قيم ونظم سلوكيات. بالتأكيد أن للأمر أبعاده النفسية.، وإلا ما هو تفسير ولع هؤلاء الغربيين بإقتناء الكلاب والقطط".

هكذا دار الحوار الداخلى لدى أحمد الذى قرر فجأة إقتناء كلب صغير..!! فى الواقع أن من شجعه على ذلك ليدميلا التى تعشق الكلاب وتعرف صفاتها وأنواعها وكيفية التعامل مع كل منها بطريقة مختلفة...

يستطرد أحمد فى منولوج فكرى :"... نعم بالتأكيد أن للأمر شئونه وشجونه فى الشخصية الغربية.. هذا الحنان الفائق والرعاية الكبيرة التى يقدمونها للكلاب والقطط لابد أنها تعكس أن لديهم إحساسا عميقا بالحرمان العاطفى.! حقا بالضرورة لديهم هذا الحرمان.. لقد عشت طول عمرى محروما من الدفء الأسرى منذ وفاة والدى..، وأستطيع أن أتعرف على المحرومين بسهولة..، حتى الحرية الجنسية التى يمارسونها..، مثلما أعتدت أن أفعل..، لابد أنها تعكس نقصا فى المشاعر الإنسانية لا يستطيعون أن يشعروا بها أو يحققوها وسط هذا اللهاث وراء العمل، كأساس الحضارة الغربيـــة... العمل ثم العمل ثم العمل.. حتى التنزه لديهم صار جزءا من الواجبات الأسبوعيـــة التى يجب القيام بها"..

" قررت شراء كلب صغير...، لكى أستكشف هذا العالم المجهول..، أو الجزء المجهول فى منظومة المشاعر بداخلى..، سأعهد به إلى " ستيف " بواب السكن ليتركه فى الحديقة الخلفية... سيساعدنى هذا الكلب أيضا على أن أتعرف على مزيد من الأصدقاء..، أو بمعنى أصح الصديقات... لاحظت

Obeikan.com

أثناء جلوسى مرارا فى الحديقة.، أنه ما من شخص يمر مصطحبا لكلب أو قطة.. والا نال تعليقات أو إبتسامات أو إيماءات مرحة من الفتيات والسيدات على حد سواء...عموما هى تجربة قررت أن أخوضها "!!

"إصطحبت ليدميلا لشراء الكلب من سوق شعبى فى منطقة ومبلدون الشهيرة بملاعب التنس العالمية.لاحظت وجوما على وجهها على غير المعتاد...، فإحترمت رغبتها فى الصمت وعدم البوح وسرنا صامتين.. أثناء الشراء.. تصرفت ليدميلا كخبيرة حقا.، فسألت البائعة عن الشهادة الصحية للكلب من فئة الدرواس الأحمر... " والتى تبين سلالة أسلافه للتأكد من نقاء العرق...، ثم فحصته جيدا.. ونظرت مليا الى الأسنان واللعاب...، ثم فوجئت بها تخرج مائة جنيه استرلينى من حقيبتها وتعطيها للبائعة ثمنا للكلب الذى لم يتجاوز عمره أسبوعا...قدمته لى باسمه ولمحت بعض الدموع فى عينيها.قبضت على يدها فى حنان وقوة..، وحملت الكلب ثم سرنا سويا إلى كافيه نيرو...بالهاى ستريت.. وجلسنا صامتين ببرهه.. قبل أن تخرج الكلمات المترددة بداخلى ":

-ليدميلا.. ماذا بك؟.. أراك اليوم حزينة...وتبدين شاحبة.. ولماذا دفعت ثمن الكلب من نقودك.. أنا معى نقود وكنت مستعدا أن...

- من فضلك يا أحمد... لا مشكلة... فى الواقع وددت أن أهديك شيئا.. كى يذكرك بى دائما...

-ماذا تعنين؟ ما خطبك اليوم؟

-أحمد. . لقد تعين على أن أنهى دراستى وأعود إلى مينسك (العاصمة).. لقد بعثت لى أمى بالأمس رسالة إلكترونية تفيد أن والدى قد أصيب مؤخرا بمرض خطير..، وأن الأمر يبدو قد أوشك.. أنه الآن فى النزع الأخير..، وأنا لا أريد أن يموت أبى، وأنا لست بجواره...

-حقا.. أنا آسف وحزين جدا أن أسمع تلك الأخبار المؤسفة.. يمكنك أن تقدمى شهادة للجامعة تفيد عدم إستطاعتك حضور المحاضرات خلال الأسبوع أو الأسبوعين المقبلين حتى لا...

-(مقاطعة كلامه) للأسف يا أحمد...، على أن أرحل نهائيا... وفاة والدى المنتظرة ليست كل الخطب.. ولكن أمى لن تستطيع تصريف تجارة والدى بمفردها..، وستكون بحاجة إلى أن أبقى معها شهورا لتسوية الأمور مع الشركاء. أنا لم أمض سوى الفصل الدارسى الأول هنا..، وسوف أجد طريقة ما.. لكى أكمل دراستى أما بالمراسلة مع جامعة بريطانية أخرى فى ويلز أو إستكتلندا أو البرنامج الخارجى لجامعة لندن ذاتها، أما البقاء هنا فلم يعد ممكنا!..

-ليدميلا.. لا يمكنك الرحيل... لقد تعودنا على بعضنا وبعض...

-صدقا يا أحمد..، لقد أمضينا أوقاتا ممتعة..، ليست فقط فى السرير..، ولكن أيضا فى التجول

فى أنحاء لندن. أنت بالفعل إنسان طيب القلب، ولقد استمتعت بصحبتك كثيرا.. كنا نعرف حدود العلاقة بيننا منذ البداية، ولكنى لا أنكر أن ثمة تجاوزا فى السقف المحدد لها قد حدث!...

أحمد.. وقد بدا متأثر للغاية...» ليدميلا... أرجوك يجب أن نجد طريقة...، أنا فعلا لا أستطيع أن أبقى بدونك... صدقينى.. ليست لدى مشكلة خاصة بالجنس أو..

-(ابتسمت ليدميلا إبتسامة رائعة فى حسنها وعميقة فى حزنها) :" أعرف يا أحمد.. أعرف أن لك علاقات جنسية مع فتيات أخريات.كنت أستشعر ذلك خلال لقاءاتنا بحدس الأنثى... ولكن صدقنى ما من سبيل للبقاء".

أطرق أحمد قليلا...، ثم رفع رأسه فوجدها تستعد للرحيل.. فعرض عليها أن يدفع ثمن الكلب.. فرفضت بإباء...، وأكدت أنه تذكار منها..أكد أحمد أن عليهما أن يبقيا على إتصال مستمر عن طريق الفيس بوك و أسكايب..، فردت بإيماءة موافقة...، ثم إحضتنته وقبلته دامعة.. فأمسك بها مؤكدا أنه سيبقى معها وسيقوم بمرافقتها إلى المطار... فرفضت ذلك لأن مثل تلك اللحظات تكون نوعا من تعذيب الذات. ثم غادرت مثل الطيف الجميل الذى يداعب المرء فى أحلام اليقظة بأكثر مما يراوده فى الحقيقة. عاد أحمد إلى السكن الجامعى، حاملا كلبه الجديد...، وأودعه لدى " البواب " وأوصاه بشراء كافة إحتياجاته من طعام وسلسلة وبيت خشبى... ثم نزع إلى غرفته فى هدوء تام... فاذا به يجد " لى " الصينية، وهى تجر حقيبتها فى طريقها إلى مغادرة المبنى...

-لى.. أين أنت ذاهبة... هل ستقضين أجازة فى بلادك؟

-أووه أحمد.. عظيم أن أراك لكى أقول وداعا... أنا إنتهيت من دراستى هنا وحان وقت الرحيل... لقد أمضيت الأسابيع الأخيرة فى التنزه فى المدن البريطانية..، ولم يتسن أن ألقاء... وداعا يا أحمد... هذا عنوانى الالكترونى.. لنبق على إتصال...وداعا...

مثل الجنرال المهزوم كسير النفس..، دخل أحمد إلى غرفته يعتصره الأسى والحزن..، ليس لفراق لى بالقطع..،ولكن لأن ليدميلا قد غادرت. غادرت بعد أن أمتعته، وعلمته أن للحياة صنوفا ودروبا أخرى لم يطرقها من قبل. عليه إذن أن يبدأ من جديد..!!

(٤) نادية البيلى..

غدا الكلام اليومى المعتاد مع مارك يتزايد من مجرد التحية وتبادل بعض المعلومات الطبية الجافة.. إلى حوارات طويلة ممتدة قد تستغرق عشرة أو خمسة عشرة دقيقة متصلة...، وهو وقت طويل جدا بالنسبة لشخصيتى نادية و مارك.. أو من يعمل فى هذا المجال!...

-مارك.. أنت بجد مبهر فى تعاملك مع المرضى...، قدرتك فائقة على إظهار الاهتمام بكل شخص.. حتى يظن من يراك أنه مريضك الأوحد أو أنك تعرفه منذ سنوات طوال.

-(مبتسما) أنا لا أمثل أو أدعى يا عزيزتى نادية.. أنا أتواصل روحيا مع مرضاى..

- تتواصل روحيا...كيف؟؟!

-مازالت مسيحيا إنجليكيا، ولكنى أرى الحياة بمنظور أكثر شمولية من الخلافات الحالية بين البروتستانت والكاثوليك والارزدوكس والانجليكيين... أنا أنظر إلى روح المسيحية الحقة التى تسمو فوق الخلافات المذهبية والعنصرية والتاريخية... ديانتى مثلما أراها هى التى تمثل تواصلا مطردا بين مختلف الأديان بما فيها الإسلام، لان رسالتها نشر السلام والمحبة... وهى لا تتعارض مع ديانتى أو لنقل فلسفتى الجديدة!!

-ما هى يا مارك.. يبدو أن لديك الكثير لتقوله؟

-تسمى Soka Gakka سوكا جاكا...، وهى احدى مشتقات تطور الفكر البوذى.. وعلى فكرة، فأنها منتشرة حاليا فى الولايات المتحدة ويؤمن بها نحو 300 الف شخص...

- عذرا.. مارك.. لا أفهم هل أنت مسيحى حاليا وبوذى فى نفس الوقت؟!!!...

يضحك مارك بهدوء الأطباء..." لا يا عزيزتى....أنا مسيحى الدين... أعترف بالمسيحية مثلما أنزلت.. والثالوث المقدس..، ولكنى لا أقيد نفسى بتخريجات البشر التى قسمت المسيحية إلى فئات شتى . بينها تناقضات فكر وإختلافات مواقف لا شأن لى بها... فى نفس الوقت أنا اعتقد فى

القوة الروحية الغائمة عن أعيننا نحن البشر.. تعلمت هذا خلال تواجدى فى ناجازاكى اليابانية خلال رحلات الشباب التى كانت تنظم بالجامعة. مكثت هناك عدة شهور، فقرأت كثيرا عن الثقافة اليابانية.، ولعبت السومو.. هل تتخيلين طبيبا مثلى بحجم جسدى الصغير نوعا يلعب مصارعة السومو للأوزان الثقيلة؟.. كما إلتحقت هناك بأحد مراكز التواصل الروحانى مع الآخرين سواء أحياء أم أموات!!...

- ماذا تعنى يا مارك؟.. أكاد لا أفهم شيئا.

-سوف أشرح لك... هناك دائما وجود محسوس وأخر خفى لكل منا... فى الثقافات الهندية فان تناسخ الأرواح وارد جدا.، فمثلا أنت الآن فتاة فى جسد طبيبة فى القرن الحادى والعشرين.. هذا لا يمنع من أنك كنت فى عصور سالفة، مثل القرن الخامس عشر، عاملة فى مصنع، أومغنية فى بلاط أحد سلاطين الشرق!!

يضحك الأثنان سويا...، وبشغف طفل صغير.. يواصل مارك حديثه..

- إتفقنا أن هناك وجودا محسوسا ووجودا خفيا... عندما أدخل فى مرحلة التواصل الروحى.. مرحلة النشوة الكاملة التى ينعدم فيها الإحساس بالزمان والمكان والظروف المحيطة أستطيع أن أحلق فى عوالم سابقة ولاحقة..!!

-كيف تصل الى تلك النقطة؟

-فى البداية، فإن الأمر يكتنفه صعوبات بالغة بالقطع...، ولكن بالتدريب والتركيز وتكرار الأمر مرات ومرات..، ربما بالرقص..، أو بالسباحة..، أو بالتركيز أو التأمل فى الطبيعة..، أو مرور عربات قطار...، أو بالرياضة العنيفة..، يستطيع الإنسان أن يصل إلى درجة إنعدام الإتزان... الوقتى وفقدان الاحساس بالجسد...، ثم يعرج منها إلى درجة التحليق الروحى... هذا بالضبط ما أفعله يوميا مع مرضاى. آه....نسيت أن أخبرك أن وجودنا المحسوس مرتبط بحجم معين من الطاقة السلبية والإيجابية التى نفرزها نحن، والتى نتأثر بها من الأشياء والأشخاص المحيطين بنا... عندما تتحرر أرواحنا....فأنها تكتسب طاقة ذاتية غير محدودة..، ويتلاشى أى تأثير سلبى حولها...، وهذا ما يمكننى من أن أبدى كما من الإهتمام غير طبيعى حيال كل مريض لأننى ببساطة فى هذا التوقيت.. أكون فى غير الحالة الطبيعية...!!

-موضوع مسلى وشيق... اعترف أننى لم أسمع به من قبل!!

-لماذا؟؟ مراكز الإتساق والتواصل الروحانى منتشرة فى أغلب دول الغرب...هل تخمنين لماذا؟

-لا

- لأن الغرب يعيش أزمة روحانية أخلاقية. طغت الأمور المادية على حياة الناس وحولتهم إلى مجرد تروس فى آلات جبارة تعمل إلى ما لا نهاية.. فتقلصت المساحة الروحانية الأخلاقية داخل البشر.. ومن ثم، فهم فى أزمة نفسية متصلة. الإنسان لا يمكن أن يعيش مثل الحيوان يشبع غرائزه (أكل وشرب وجنس) ثم إستمتاع.. ثم لا شئ يتعلق برسالة أخلاقية أو دينية أو ما شابه... فى اعتقادى أن جمود الخطاب الايمانى للأديان الكبرى وعدم تجاوبه وإتساقه مع مشكلات الإنسان المعاصر هو ما دفع الناس فى الغرب عموما إلى البحث عن الديانات القديمة من ثقافات أخرى مثل اليابانية والهندية والصينية!!... عموما...أنا فقط إستخدم ما يناسبنى من " سوكا جاكا " فى التواصل الروحانى مع مرضاى، ولتقليل حدة التوتر الناجم عن صعوبة الحياة فى مدينة مثل لندن (هنا إبتسمت نادية وهى تقارن بين مستوى الحياة فى القاهرة ولندن)، والحاجة إلى تكرار نفس الروتين اليومى لكسب النقود (مترو صباحا.. عمل.. عودة للمنزل.. نزهة العطلة الاسبوعية)... فضلا عن أن حالة النظام المبالغ فيه مثل المرور، ومنع التدخين، ومراقبة كل شئ وأى شئ بالكاميرات...، كل هذة العوامل المجتمعة تخصم من الرصيد الإنسانى وتحولنا الى مسوخ بشرية بلا عواطف أو مشاعر!!..

-هل أستطيع أن أقرأ عنها أو أتعملها... يعنى على سبيل التجربة ليس أكثر؟!

-إسمعى يا نادية. لا أدعى أننى أعرف كثيرا عن دينك الإسلامى.. ولكننى فى حدود ما قرأت عنه أظن أنه لا يقبل أى غيبيات أو تواصل روحانى أو ما شابه.. ربما لأنه دين يضع جانبا كثيرا من ثقله على أخلاقيات البشر سعيا إلى رقى التعامل فيما بينهم... دون أن يغرق فى المثالية مثل أديان أخرى... عموما بامكانك أن تسألى شيخك أثناء جلسة الإعتراف.!!.

-... لا يوجد لدينا جلسات إعتراف أو شيوخ بعينهم...، ولكن ربما جاز الحصول على فتوى... ما يضايقنى فى بلادنا أن الناس ألغت عقولها فى السنوات الأخيرة.. وباتت لا تتحرك الا بنظام الفتاوى فى كل شئ وأى شئ..!!!

-أعتقد أن للأمر ثمة إرتباطا بالنواحى الإقتصادية والاجتماعية..، كلما تأزم المجتمع كلما إزدادت لديه النوستالجيا والحنين الدينى، لزمان قديم كان فيه رجل الدين هو المرجع فى كل شئ.. وكلما تقدم المجتمع، مثلما نرى فى العواصم الكبرى مثل لندن ونيويورك.. كلما قل الوازع الدينى.. وتقلص التأثير الروحانى. ليستمر الناس هكذا فى حالة الفراغ الكائنة عن غياب الدين.. فيصيبهم الضعف النفسى والخواء الروحى.وهنا يكون أمامهم خياران.. أما القبول بنمط الحياة الغربى وسعادته المصطنعة..، أو التخلى عنه والعودة إلى النمط الدينى المعتاد.... القلة فقط هى التى

تفعل مثلى... الجمع بين ديانة قديمة وممارسة جديدة...!!

-فى المطلق، لا أعتقد أن الإسلام يقبل ذلك.. أنا بطبعى لست متعصبة أو شديدة التدين..

-عذرا يا نادية... لا يحق لى أن أتدخل فى حياتك الخاصة..، ولكن لكوننا أصدقاء.. أقول إننى لاحظت بالفعل أنك انسانة عملية على النمط الغربي... عذرا.... فأن ملابسك حتى على النمط الغربي.. وليس مثل بقية المسلمات اللاتى تعاملت معهن فى السابق.. هل تمارسين الفروض والصلاة.؟!!.

-اسمع يا مارك.. من الخطأ أن ينظر الانسان إلى مثل هذة الأمور.. ويتناسى جوهر الأديان عموما..

-أنا آسف يا نادية.. لا أريد أن أتطفل عليك..، ولكنها مجرد ملاحظة مثيرة للاهتمام أن تجد طبيبة شرقية نابهة مثلك تحمل فى الوقت نفسه بداخلها شخصية غربية تماما... عذرا يا نادية.. ولكن لديك أكثر أنماط الشخصية الغربية غلوا... حتى أن كثيرا من الفتيات من المدن والريف الانجليزى لا يستطيعن ارتداء ملابس مثل ملابسك!!

-لا عليك يا مارك... انا فقط أستشعر وأمارس الحرية التى لا أستطيع أن أمارسها فى بلدى.. هل تصدق أننى لا أستطيع أن أرتدى "مايوة بكينى" إلا فى شاطئ خالص.. رغم أن المايوة عادى جدا وليس "فرينش كت"... (أى ليس شديد الصغر والإختزال على النمط الفرنسى) إلا فى شاطئ خاص.. هل تصدق أننى لا أستطيع أن أرتدى شورتا أو جيب فوق الركبة وأسير فى شوارع القاهرة...!!

-أبدى مارك تأثره الشديد، وتعاطفه الإنسانى الصادق مع نادية..، وربت على كتفها.. قائلا.. "ولكن لماذا يا نادية؟.. هل تقوم الشرطة الإسلامية بالقبض على الفتيات اللاتى لا يرتدين الحجاب أو النقاب؟؟ كيف ذلك ومصر بلد سياحى.. هى أحد أهم مقصد سياحى للانجليز على الأقل؟!!..

-دمعت عينا نادية (لا نعرف حقا أم تمثيلا) وتهدج صوتها قليلا...: " لا مارك.. لا توجد شرطة إسلامية فى مصر... الناس هم الذين لا يسمحون بذلك...، يفرضون نمط حياتهم على الآخرين المختلفين معهم من ناحية الفكر والسلوك والتعليم...، الكل يتدخل فى حياتك، وينتقد ملابسك إن لم تجد قبولا لديهم.!! ليت الأمر يقتصر على ما تقدم، بل يتعداه إلى التحرش الجنسى.. لو سرت بـ "جيب" قصيرة لتعرضت إلى ما يتحمله أحد..!!

-إنزعج مارك كثيرا مبديا دهشته قائلا: " وأين الشرطة؟؟ لماذا لا يطبق القانون على هؤلاء المخالفين...، هنا لو تعرضت فتاة لتحرش..، فالنتيجة الطبيعية أن يسجن المتحرش.. وتحصل هى على تعويض إن تم ذلك فى مكان عمل أو ما شابه. الأسبوع الماضى، وقعت حادثة تحرش بموظفة

obeikan.com

ببنك فى منطقة وسط البلد.. علق المدير شفاهة على إمتلاء صدرها... هل تعرفين ماذا حدث؟.. رفعت قضية، وحصلت على تعويض قدره نصف مليون جنيه استرلينى على مجرد تعليق شفاهى!!

- هكذا لو طبقنا هذا فى مصر.. لكنت أمتلك ثروة طائلة"!!! يضحك الاثنان كثيرا...

- حقا يا نادية..لماذا لا تتدخل الشرطة؟

-الشرطة لدينا فاسدة..، قد تتدخل فى المناطق السياحية.. ولكن فى القاهرة فنسبة ضئيلة جدا من الحوادث، هى التى يتم التعامل معها...، أما بقية الحالات فهى ممارسات عامة.. هل تصدق أن الناس لا تستهجنها..؟؟! هل تصدق أن الناس تلوم البنت أو الفتاة أو السيدة ولا تلوم المتحرش؟!!

رفع مارك حاجبيه مندهشا.. وهو يقول..:" كيف ذلك؟.. هل لأنها هى التى بادرت بالتحرش فقام الرجل بالرد عليها والتجاوب معها مثلا بأكثر مما ينبغى؟!!

- أبدا يا مارك.. الناس تلوم الفتيات على كل شئ..، فتدعى أن طريقة إرتداء الملابس هى التى أغرت المتحرش بالتحرش..، فاذا كانت الملابس محتشمة أو حجاب مثلا.. فيلومونها على طريقة السير أو التحدث بصوت عال أو حتى الضحك..تخيل مجرد ضحك الفتاة له مدلول جنسى!!.

-شئ غريب فعلا.. لم أسمع عنه من قبل.. هل يمكن أن نلوم الضحية على سلوك إجرامى تعرضت له لانها كانت ترتدى أية أنواع من الملابس.. هذا عبث!!! إذن بذات المنطق لا يمكن أن نلوم اللصوص لانهم لم يستطيعوا أن يقاوموا إغراء الأموال فسرقوها...، هذا منطق مغلوط.. معك حق يا عزيزتى.. أستطيع أن أتفهم الآن حاجتك أن ترتدى من الملابس ما تشائين!!

-أنتم هنا يا مارك فى نعمة كبيرة..،هى نعمة الحرية..، أن يتركك الأخرون فى حالك ولا يتدخلون بالنقد أو النصح أو التبويخ أو حتى المزاح. عدم إحترام الخصوصية فى مصر يكاد يقتلنى!!!... الناس تسألنى كل يوم عدة مرات عن الزواج...، والإنجاب...، وكل شخص يدلى برأى أو تعليق... وأنا حتى الان لا يوجد رجل فى حياتى... ولا أستطيع أن أفتعل شيئا لارضاء مجتمع خانق لبعضه البعض!!!.

(٥) مدحت نبهان

إنصرف مدحت من ملتقى إدجوار رود غاضبا من المناقشة السمجة التى حدثت حول ترييف المدن وتأثيراتها على مجمل تطور الشخصية المصرية خلال العقود الأخيرة لاسيما فترة حكم مبارك..

-" عنصريون...، هؤلاء قوم عنصريون...، المصريون شعب عنصرى... حقيقى.. يحتقرون بعضهم بعضا... أهل المدينة يتعالون على أهل الريف...، بل الأنكى والأشد وطأة أن أهل الريف أنفسهم عندما يفتح الله عليهم وينتقلوا إلى المدينة... يتعالون على أهل الريف بدورهم....شئ غريب... حتى الفتاة الريفية قد لا تقبل بمن هو ريفى مثلها...، إبنة عمدة قرية مجاورة بالزقازيق.. رفضتنى لأنها تظن نفسها من طينة أعلى..، لمجرد أن أحد أجدادها هاجر من الجزيرة العربية إلى الزقازيق قبل مئات الأعوام...!!!. مجتمع متخلف لا يقبل الاختلاف... رغم أن الاختلاف هو السنة الكونية الغالبة.... كيف وصلنا الى هذا الدرك الأسفل فى كل شئ؟.. لعلها سنوات حكم مبارك.... "

هكذا تواصل الحوار الداخلى الذى أججه التوتر المكتوم وزاد منه تراكم الإحباطات :

-"أتذكر لقاءات السادات التلفزيونية مع همت مصطفى... فى قرية ميت أبو الكوم التى لا تبعد عنا كثيرا...،يرتدى الزى الفلاحى ويجلس وسط الخضرة.. ويتحدث عن الذكريات وأخلاق القرية... وقانون العيب.... ترى ماذا حدث لقانون العيب هذا؟!... لعله طوته سنوات الفساد والإفساد"..

-"حتى زملائى بالجامعة... الذين يفترض فيهم أنهم أرقى العقول وصفوة المجتمع..ألمح ثمة إبتعادا أو تأففا حيالى بسبب أصولى الريفية... لماذا لا أدرى؟!!.. رغم أنى أستاذ جامعى شأنى شأنهم... حتى وإن كنت تأخرت قليلا أو كثيرا فى الحصول على الدكتوراة".

-" لكن لماذا يعادى المجتمع بعضه؟.. هل هناك مصر واحدة؟.. أم هناك "أمصار" عديدة؟!!... لعلها الإجابة الثانية.. حقيقة نحن مجتمع غير متناسق أو متجانس...أتذكر مقولة لأحمد بهاء

الدين – رحمه الله – أن الفتاة المصرية لو سارت بالشورت فى الزمالك لنالت استحسانا بينما إن فعلت ذلك فى بولاق التى تبعد أمتارا لقذفها الناس بالطوب!!. فعلا مصر ليست دولة واحدة.. لا يوجد نسق ثقافى أو اقتصادى موحد....فهناك مصر العليا والتى تقتصر على عائلات محدودة لعلها لا تزيد عن 300 عائلة على الأكثر...، وهناك مصر المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية والمنصورة.. وهناك مصر الطبقة الوسطى وقوامها موظفى الدولة وضباطها وهؤلاء يحافظون على مكانتهم بحكم وظائفهم وإنتماءاتهم للبيرقراطية المصرية.. رغم أن بعضهم يكاد يغطى نفقات الشهر بالعافية، وهناك مصر ما دون الوسطى التى ترتفع قليلا فوق خط الفقر..، وهناك مصر الفقيرة المعدمة التى تضم قرابة الأربعين فى المائة من المجتمع أو أكثر ويعيشون فى العشوائيات والصعيد والأرياف الفقيرة.. وهؤلاء هم قوام مصر التى لا يعرفها أو التى لا يريد أن يعرفها أحد.. وكأنهم مصابين بالجزام!!! وكل مصر من تلك الأمصار لها ثقافتها وعالمها المستقلين والخاصين بها!!

-"وكل ما يقال فى أجهزة الإعلام ومقررات التعليم بعكس ذلك عن المواطنة والمساواة..، هو كذب بواح..، أه من الكذب..، شعبنا يعشق الكذب...، حتى بات خداع النفس فضيلة...، الكل يكذب ويكذب ويكذب..، حتى ما عادوا قادرين على تمييز ما هو كذب.. وما هو حقيقة!! ندعى الوطنية.. ونردد شعارات ونبالغ فى إظهار المشاعر..، حتى تكون المزايدة بين الجميع هى نبراس السلوك.. وهؤلاء الوطنيون قد تجدهم يستنكفون أن يجالسوا -ولو قليلا- الفقراء أو الجهلاء من أبناء الوطن.. وكأن الفقر والجهل والمرض هى صفات جينية وليس نتاجا لفشل المجتمع وظلمه لبعضه البعض".!!!.

-"إختنقت من مصر والمصريين....، لعل المصريين هم أسوا ما فى مصر....، أولئك الذين يستمرئون الفساد ولا يستنكفون الإستبداد..!! الكل يسرق الكل.. لو تعاملت مع أى شخص بالمجتمع.. فسيكون إفتراض سوء النية والتوجس وإحتمالات السرقة هى أول ما يتبادر إلى الذهن... عنصرية مريضة هى التى تربط الفقر بالانحراف..!!!. صحيح أن الفقراء هم الأولى بالإنحراف.. ولكن هذا ليس شرطا...، ثم هل الفقير المنحرف أشد وطأة أم كبار العائلات التى تحتكر كل شئ فى هذا البلد.. وتعيش حياة وصفها الكاتب الأمريكى توماس فيردمان بأنها أفضل من حياة الأمريكيين أنفسهم؟!!"..

-"هذا " المبارك " ورطنا كما لم يفعل أحد...، وها هو يود أن يواصل المسيرة عن طريق الابن الغالى..، الذى يجلس الوزراء من حوله....، ليأخذوا ملاحظات بشأن ما يدلى به من أفكار وحكم خلال إجتماعات لجنة السياسات..،شئ قميئ ومقزز..... نفاق... أرض النفاق كما وصفها يوسف

obeikan.com

السباعى"...

-"من الأفضل أن أقلل مشاركتى فى لقاءات ادجوارد رود من الان فصاعدا.. طالما بقيت مع المصريين.. فلسوف يشعرونى دوما بأننى أقل منهم... شئ غبى وغريب.. رغم أن أحدهم ما كان ليصل لدرجة الاستاذ الجامعى – الذى سأنالها بعد حين – لو وجد نفسه فى مثل ظروف نشأتى".

... سأتصل بجوانا.. لأقابلها غدا... سوف أحاول أن أتوسع فى صداقاتى مع الأجانب.. سواء نمت مع جوانا أم لا...فى نهاية الأمر.. فى النهاية هى أكثر تحضرا ورقيا من سها ومن هم على شاكلتها "!!

فور وصوله إلى السكن..، بعث برسالة الكترونية إلى جوانا... هذا نصها " عزيزتى جوانا... إن كان لديك بعض الوقت غدا... يمكننا أن نتقابل للتنزه فى حديقة ريجنت.. فأنا شعر ببعض الضيق... تحياتى"... فى الصباح... إستيقظ مدحت...، وقبل فعل أى شئ.. ذهب إلى الكومبيوتر ليجد رد جوانا الذى حمل الطابع الانجليزى فى نكهته.. " عزيزى مدحت... رغم أننى لا أقبل عادة دعوات وفقا لإخطار قصير الأجل مثل هذا...، ولكنه سيكون من دواعى سرورى أنا أقابلك..، فأنا أيضا لدى بعض الملل... كما أود أن أناقشك فى بعض نقاط دراستى... تحياتى"..

على الفور.. ذهب مدحت إلى الحمام لحلاقة ذقنه.عادة مدحت لا يحلق ذقنه فى العطلات الرسمية والإجازات أيا كانت الأسباب..، وتعطر...، وتناول قدحا من القهوة وبعض البسكويت...، ولم يصل الصبح كالمعتاد.. (كلمة "المعتاد" هنا ليست ملاءمة.. فلم يعد مدحت منتظما فى الصلاة منذ قدومه إلى لندن)..!!

تقابلا أمام مدخل ريجنت بارك المقابل للمركز الثقافى الاسلامى...، ورغم أن جوانا بدت متحفظة كعادتها، الإ أن مدحت بكرم أخلاقه حرص على يحتضنها ويقبلها..

جلسا صامتين لبرهة أمام البحيرة...، وكأن كل منهما لا يريد أن يفتتح هو الحديث.. جال مدحت بنظره يمينا ويسارا..، متابعا سباحة البط فى البحيرة...، وصخب الأطفال والكلاب..، ولمح فتاة تستلقى على جانبها لتقرأ كتابا...، وبعض الشباب يتقاذفون الكرة.. والمنظر الجميل الخلاب المحيط بهما من كل جانب. أكملت جوانا تدخين سجارتها فى هدوء..، ثم تحركت عدة خطوات لكى تلقى بها فى سلة المهملات...، سلوك متحضر لفت نظر مدحت الذى قارن بينه وبين سلوك المصريين من مختلف الطبقات والذين يقومون بإلقاء المخلفات بشكل روتينى ويومى فى الشوارع...، وكأنهم يعانون من العرض النفسى " الماسوخية "- أى التلذذ بتعذيب الذات -. والحكومة بدورها تستمرئ أن تبقى هؤلاء فى البيئة التى أرادوها لأنفسهـم.. فتشترى راحتها وتحمل فاتورة النظافة على فاتورة الكهرباء..، رغم أنه لا توجد نظافة أساسا..وأحيانا لا توجد كهرباء أيضا.!!

obeikan.com

افتعل مدحت كحة لكى يستهل الحديث!!

- "بلدكم متحضر..وشعبكم متحضر...، كم أتأسى على نفسى أننى لم آت إلى هنا وأنا شاب صغير.. لو علمت ذلك...، لو كان لى الاختيار...، لو توفرت لى المعرفة..، لجئت إلى بلادكم فور تخرجى مثلما فعل العديد من أصدقائى وزملاء دراستى "!!

-"هل تريد الهجرة يا مدحت...؟... أنت طالب دكتوراة، وحصولك على الدرجة قد يتيح لك تحقيق ترتيب متقدم فى برنامج الهجرة لذوى الكفاءات.. أعلم كذلك أن هناك تعديلا فى قانون العمل قد أقره مجلس العموم مؤخرا مؤداه أن كل خريج جامعة بريطانية يحصل على الماجستير والدكتوراة بإمكانه الحصول على تصريح بالعمل ببريطانيا لمدة زمنية لا أذكرها تحديدا.. لعلها عام أو عامين... ريثما يتمكن من الحصول على عمل دائم مستمر. أعرف عددا من الهنود والباكستانيين واجناس أخرى فعلوا ذلك مؤخرا"..

-"ليست المشكلة فقط فى قوانين العمل لديكم يا جوانا...، المشكلة لدى أنا أيضا.. فأنا كبير فى السن... أكاد أقترب من الخامسة والأربعين..، ولدى أسرة وثلاثة أبناء كبار..، فلقد تزوجت صغيرا... صحيح أننى منفصل عن زوجتى (كان مدحت هنا يكذب.. حتى يسهل لنفسه نيل الهدف الأعظم من علاقته مع جوانا)..، ولكنى مكبل بتدبير نفقاتهم جميعا... كيف أستطيع أن أبدا من جديد فى هذا السن "!!.

-"كيف ذلك يا مدحت... أنت تعرف فى أمريكا..تغيير " الكاريير" -أى مجال العمل - شئ طبيعى للغاية.. الشئ الغريب هناك هو أن يبقى الانسان يفعل نفس الشئ طوال عمره... ثم أنت لست كبيرا إلى هذا الحد..(قالتها بقدر من الدلال وربتت على خده..كأنها تداعب طفلا صغيرا).. يمكنك دوما أن تبدأ من جديد.."!!

إستشعر مدحت رعشة لذيذة فى وجهه من لمسة يديها... فإستطرد قائلا : "ربما... الحياة فى مصر صارت صعبة جدا يا جوانا...، لست سعيدا.. مصر ليست للمجتهدين أو ذوى الكفاءة.. مصر الان للصوص وذوى المحسوبية والفسادين.. أكاد أختنق من الفساد.. وأنا نفسى أمارسه.."

-(صاحت جوانا من الدهشة).. كيف؟؟:

-"مهلا ياجوانا... أنا لست سارقا أو قاتلا... أنا أمارس الفساد فقط..، والفساد من وجهة نظرى هو أن أفعل ما أنا غير مقتنع به!!... لا تنزعجى.. ما أقصده هو إضطرارى لإعطاء دروس خصوصية للطلاب.. بالمخالفة للقواعد..، حتى أستطيع أن أكفل اسرتى.. لأن مرتبى فى مصر ضعيف جدا... ولو قلت لك أننى أتقاضى ما لا يزيد عن 300 جنيه استرلينى فى الشهر.. لما صدقتنى..!!

Obeikan.com

صمتت جوانا.. وبدا على وجهها التأثر الشديد.. وأحمرت إذناها.. وأطرقت فى هدوء كنوع من ابداء التعاطف...

سرح مدحت قليلا.. بعدما لمح ما حاق بوجهها من تأثير ما قاله.، وأخذ يحدث نفسه..أن هؤلاء الأجانب لديهم مشاعر حساسة وعواطف جياشة..حتى وإن لم يتبد ذلك فى سلوكياتهم... "اللى يعيش يا ما يشوف"..

لكسر حدة اللقاء وضمان عدم تحوله إلى دراما تراجيدية، عرج مدحت الى التناقش الفكرى مع جوانا حول دراستها..!!

obeikan.com

(٦) سلوى مفيد...

توطدت علاقة سلوى بالقنصل محمد تباعا.. رويدا وريدا... فى إطار الصداقة المتنامية التى يمكن أو لا يمكن أن تفضى إلى ما هو أكثر من ذلك...، تعاونا سويا فى الدراسة... واستفاد كلاهما من مهارات الاخر الاكاديمية البحثية. سلوى بطبعها شديدة الذكاء والطموح.، ولديها قدرة غير طبيعية على تطويع الخيارات العاطفية لسلطان العقل... تراها فى ذلك تسلك سلوك أكثر الرجال عملية وبرجماتية!!...

"هى حتى الان صداقة...، والدراسة تسير سيرا حسنا بلا مشاكل..، فلنستثمرها أفضل استثمار ممكن... دون تقييد أى خيارات مستقبلية"..

وخلال -حضورها حفل خريجى الكلية الذى يقام كل سنة، لكى تتيح الكلية لطلابها أن يلتقوا بالخريجين لإرشادهم عن فرص التوظيف المتاحة هنا أو هناك..، إلتقت سلوى بأياد السنكاوى.. الفلسطينى الجنسية.. فوجدته شابا فى أواخر الثلاثينات...، ويعمل إستشاريا بإحدى شركات الاستثمار العقارى فى لندن...،ويبدو وسيما وأنيقا. تبادلا الحديث سريعا، وكذلك الكروت الشخصية، وأرقام الهواتف. قبل ذلك، أبلغها أياد أنه يعرف مصر جيدا لانه يذكر أنه تربى هناك حتى نهاية المرحلة الابتدائية.. عندما كان والده يعمل فى مكتب تمثيل المنظمة، قبل أن ينتقلوا الى العيش فى تونس..ثم قدم إلى لندن للدراسة، فهو أيضا بات يحمل الجنسية البريطانية.!!..

للجنسية البريطانية تلك ألقها وتوجهها الذى يديرعقل أغلب الفتيات خاصة شديدات الطموح.. ومتقدات الذكاء..كانت إذن للكلمتين " الجنسية البريطانية " وقعها على نفس وعقلية سلوى...

على ذات المسارين.. مسار القنصل..، ومسار إياد الفلسطينى.. قررت سلوى السير فى ذات الوقت..، ولكن بتركيز مختلف..، فلقد قررت منح أياد نحو 70 فى المائة من تركيزها ووقتها...

والباقى للقنصل. إذ تبدى أن الأخير لا يبدو الآن جذابا بالدرجة الكافية..، فهو ليس بالثراء الذى يبدو عليه أيـــاد الذى يحرص على إرتـــداء الساعـــة " باتريك فيليب "..، وحمـــل محفظة وقلم Mont blonc ، ورابطات عنق كريستيان ديور "سينيه".القنصل أيضا هو جاد بأكثر مما ينبغى.. فيرتدى الألوان الغامقة..، ربما بحكم الوظيفة...، ولا يضع " الجيل " على شعره مثل أياد...

" ما علينا... خلينا فى المسارين إلى أن تتضح الأمور... " هكذا حدثت سلوى نفسها عند ختام المناقشة الفكرية التى دارت بعقلها!!

obeikan.com

اللقاء الشهرى
بادجوارد رود

جاء الجميع الى الموعد المحدد للقاء بقدر من التحسب لما شهده نهاية اللقاء الماضى من مناقشة أفضت إلى إحتداد فكرى... ثم مغادرة مدحت نبهان اللقاء غاضبا، والذى لم يستجب للعودة إلا بعد الحاح من القنصل..... بات اللقاء نوعا من الأشياء الجيدة أو السيئة التى نعتاد عليها فى حياتنا.. فلا نستطيع أن نتوقف عنها بعد ذلك.. فروتين الحياة قادر على قهر الجميع داخل تروسه العملاقة التى تهرس أشد العقول تمردا.. فتحولها إلى أسيرة لقاعدة الإرتباط الشرطى...مثل تجربة بافلوف الشهيرة التى إعتاد فيها الكلب أن يربط بين الجرس وظهور الطعام، فسيل لعابه تلقائيا..!.

مدحت بطبعه لا يترك ثأره...، هو يشعر بقدر من الإنهزامية لأنه إنسحب من اللقاء الماضى.. كان يود لو بقى كى يعلمهم ما يجهلوه عن أنفسهم وبلادهم.. فقط تلك " اللازمة " السخيفة التى تعاوده عند النرفزة..، فيتحشرج صوته، ويعرق كثيرا وكأنه مريض بالقلب... تلك الأعراض هى التى ألجمته، وحجمت من حجم الإنتصار الفكرى الذى كان بمقدوره أن يحققه على هؤلاء " الافنديات "!...

إستهل الكلام... وكأنه يستدعى توجسهم ومخاوفهم... كلها مرة واحدة!!

مدحت : "على فكرة يا جماعة... بالأمس كنت أقرأ قصيدة لشاعر انجليزى فى الخمسينيات اسمه ميلتون...، كتبها عن غروب شمس الإمبراطورية البريطانية...، وما ينتظر أن ينتج عن هذا... طبعا.. عندما نقيس هذا بمقياس الخمسينيات.... واخده بالك معى يا " آنسة " سها...، ما احنا لازم نقيس كل حاجة فى إطارها الزمنى والمكانى...، ولا أيه يا دكاترة...، واخد بالك معى يا سيادة الملحق

الثقافى...، وكمان معى يا محمد بيه (يقصد القنصل... قالها بنوع من التفخيم..، بينما تعمد تجاهل ذكر اسم الملحق الثقافى عقابا له على موقفه خلال المناقشة الماضية عندما ذكر عبارة ترييف المدن)..... أنا بأقول يا محمد بيه (كررها مرة ثانية.. وكأنه هو الوحيد الجدير بالاهتمام وسط المجموعة)... وجدت الشاعر يتحدث عن أزمة العدوان الثلاثى باعتبارها بداية النهاية للإمبراطورية التى حكمت نحو خمس مساحة العالم وربع سكانه.... يا سبحان الله.. يعنى مصر أيام عبد الناصر كانت ممكن تغير حاجات كتير فعلا، وتكون سببا لاضمحلال الإمبراطورية التى ما كانت تغيب عنها الشمس"..!..

محمود : "فعلا يا دكتور مدحت أنا قرأت قبل ذلك أن أزمة السويس هى بداية النهاية للامبراطورية البريطانية."..!!

مدحت : ليس إسمها " أزمة السويس" يا دكتور.. إسمها العدوان الثلاثى.. لازم نخلى بالنا من المصطلحات التى نرددها وراء الغرب بلا تعقل..، يعنى هم يسمونها أزمة السويس لاخفاء عدوانهم التأمرى الثلاثى على مصر.. وبمرور الوقت تختفى الحقائق..، يعنى زى ما يقولوا أزمة الشرق الأوسط من أجل أن يخفوا اسم " فلسطين ".. وبعد كده الأجيال الجديدة تنسى ما هى فلسطين؟ ,,وأين كانت؟؟!

محمود(متقبلا النصيحة على مضض لاعتبارات المواءمة فى ضوء ما حدث اللقاء الماضى)... "تماما يا دكتور مدحت... فعلا.. لابد أن نتنبه"...!

أحمد : "فعلا يا جماعة الفترة الناصرية كانت مليئة بالأحداث... مش عارف مين قال المرة اللى فاتت.. أنه حتى الان توجد أحزاب ناصرية فى دول كثيرة منها أمريكا اللاتينية...، يعنى عبد الناصر.. قاد التحرر.. زى جيفارا وكاسترو.... وإن كان موضوع العدوان الثلاثى هذا محتاج بحث!!

الملحق الثقافى جورج... (وقد إلتقط خيط الفكرة).. "ماذا تعنى يا دكتور أحمد؟!!... آه.. ربما تعنى جدوى التأميم من عدمه"...!!

سها : "أيوة فعلا... هناك أسئلة كثيرة عن جدوى التأميم... يا ترى كانت مصر مدركة لأبعاد الأزمة"...

سلوى: عقد تأميم القناة.. كان سينتهى عام 1969.... يعنى لو كنا صبرنا 13 سنة.. لتفادينا الحرب.."

مدحت: (مقاطعا)... ما كانوا ليسلموا لنا القناة...!!!

سلوى : "يبقى إذن العالم كله كان سيقف معانا عندئذ فى الحرب... انا كدارسة علوم سياسية

أعتقد أن عبد الناصر إتخذ موقفا جماهيريا بأكثر مما ينبغى.، يعنى كان يريد توطيد أركان حكمه.. والقضاء على شعبية أعدائه.، نجيب والإخوان والشيوعيين وفلول النظام الملكى والأحزاب.. فأراد الحرب، لكى يوحد الشعب خلفه ويكتسب تعاطفا عالميا..".

نادية : "يا جماعة.. نحن الآن ننظر بعد سنوات طويلة الى الحدث... لو كنا نعيش زمانه كانت رؤانا قد اختلفت...، عموما سواء تصرف تصرفا جيدا سابقا لأوانه..،أو تصرفا طائشا ردا على رفض البنك الدولى والولايات المتحدة تمويل بناء السد..، فالنتيجة واحدة أنه انتزع عنوة القناة لمصر.. وهذا فى حد ذاته انجاز..."!!

سها: "صحيح... ولكن بأى ثمن يا نادية..عبد الناصر شوه الشخصية المصرية...(قالتها وهى تتعمد أن تتجاهل مدحت وكأنه غير موجود أساسا).

مدحت : إزاى يا أنسة سها... " أشجينا"...!! (قالها بلكنة ساخرة)..

سها : (بلهجة أمرة).. مدحت.. أسلوبك فى الكلام لا يعجبنى.. وأنا لم أقصد الإساءة اليك مطلقا... ولا أفهم سر التصرف الغريب الذى قمت به المرة السابقة... أنا أقول ما أراه... اذا كان يروق لك أو لا.. هذا أمر لا يعنينى من قريب أو بعيد!!

على الفور تدخل القنصل والملحق الثقافى.. بكلمات طائشة وعبارات هائمة لتلطيف الأجواء قدر المستطاع...

سها.. لم تضع الفرصة لكى تسجل إنتصارها المراد... فواصلت.." الحقيقة أن فى أى بلد..، هناك طبقات... عبد الناصر تعمد خلط الأوراق. وبالتالى لا تجد أحدا راض عن حاله... هل يعقل أن تكون مصر بلد فقيرة.. والناس تحت خط الفقر يصلون الى 40 % أو اكثر.. يعنى يعيشون على أقل من 2 دولار يوميا... وتكون هناك أزمة بطالة فى قطاعات معينة... أزمة حقيقية فى أن تعثر على خادمة فى منزلك.. لماذا؟؟...لأن الناس باتوا مشوهين نفسيا... متطلعين إلى مكانة تفوق إمكاناتهم.. أى ما حققوه بالعمل و التعليم... يعنى يفضلون البطالة.. على ألا يعملوا بالأعمال الدنيا.!! عبد الناصر.. لم يرفع الفقراء.... ولكنه أذل الاغنياء وخسف بمكانتهم... وهكذا توسعت الطبقة المتوسطة.. التى تتحدثون عنها...!!

مدحت: هذا مقياس إقتصادى جديد... أزمة الخدمة فى المنازل هى مقياس تقدم ورقى الشعوب ودليل على التطور التنموى... مش كده ولا ايه!!

سها : مدحت.. مرة أخرى..لا يعجبنى أسلوبك فى الكلام..، لا أعرف لماذا تأخذ كل كلامى على أنه إنتقاص من قدر الريفيين الذين تنتمى اليهم (قالتها بشبه إبتسامة مكتومة كفيلة بأن تشعل

obeikan.com

نارا فى دماء أكثر الناس برودا)..

على عكس المتوقع... إفتعل مدحت ضحكة صاخبة بأكثر مما ينبغى... " المشكلة يا أخت سها.. أن الناس تخلط بين مصالحها ومصالح الوطن..يعنى ما يعنيك هو العثور على خادمة لمنزلك العامر.... يعنى مثلا... مثلا يعنى.. لو كان عندك أسرة وأولاد..(ثم صمت برهة.. كى يتمتع برؤية تأثير الكلمات على وجه أنسه سها).. يمكن كنت تحتاجى خادمة أو أكثر... فعلا معك حق... ولكن يبدو أنك لا تعيشين فى مصر.. يا أنسه سها... هناك مناطق فى مصر.. يتضور الناس فيها جوعا.. لانهم لا يجدون ثمن العشاء.. ويتوجعون فى صبر.. لانهم لا يجدون ثمن الدواء... كل ما فى الأمر أنك تبحثين عن الخادمة فى مناطق القاهرة الراقية... ولو اجتهدت قليلا.. لوجدت العشرات والمئات والالاف الذين يبحثون عن عمل كل يوم بلا جدوى.!!..

تجاهلت سها الرد.. كى توصل له رسالة بأنه كلامه فى مجمله لا يعنيها من قريب أو بعيد.

نادية : "أنا أرى المرضى من كل حدب وصوب... الناس فى مصر غلابة جدا... ونسبة الأمية عالية جدا.... يعنى لا أتصور انها 30 % مثلما يقولون.. ما بين كل خمسة مرضى أكشف عليهم أجد واحدا أو اثنين بإمكانهم القراءة.. الناس فى مصر.. بجد... لا يعرفون عن الحياة شيئا... المرض بالنسبة لهم النهاية المحتومة... أحيانا أستشعر أن منهم من يأتى للمستشفى للكشف لأنه لا يجد ما يمكنه فعله... أو لأنه يفتقد من يعتنى به... هذا بخلاف من يأتون للحصول على الدواء لبيعه فى الخارج والتكسب من ثمنه...حتى لو كان ذلك فى مقابل مزيد من الألم الجسدى لهم..!!.

سلوى : "حقيقى أن الناس غلابة... كل الأنظمة الحاكمة من عبد الناصر إلى مبارك مسئولة عن الوضع المزرى الذى وصلنا اليه"!!..

محمود: "إزاى بس يا سلوى.. تقولين هذا الكلام؟؟.. يعنى المسئول عن تصنيع مصر ومشروعات السد العالى والقناة.. والحرب... تقارينه بالمسئول عن سياسات الانفتاح بكل عشوائيتها"..

أحمد: لاحظوا يا جماعة أنكم دخلتوا فى المنطقة بتاعتى (ضاحكا لتخفيف جو المناقشة).. زى ما أنتم عارفين..أن أحمد بهاء الدين الله يرحمه قال إنه إنفتاح السداح مداح.. لأنه كان إنفتاحا إستهلاكيا بمعنى الكلمة وليس انتاجيا... أى بدلا من أن نستورد مدخلات ووسائط الانتاج.. اتجهنا إلى الكماليات واكسسورات السيارات وأدوات الزينة والمنتجات الغذائية..الخ..

سها : (ضاحكة) "كله يا جماعة إلا أدوات الزينة... إحنا ما نقدرش نعيش من غيرها".!!.

يضحك الجميع افتعالا... إلا أن أحمد يستطرد بشئ من الجدية.." حقيقى يا جماعة الانفتاح كان إستهلاكيا... يعنى بدلا من التصنيع الثقيل والمتوسط ومشروعات انتاج سيارة مصرية او

obeikan.com

انتاج طائرة مشتركة مع الهند فى الستينيات...، وجدنا أنفسنا نغوص فى طوفان التوكيلات والتجارة الورقية... يعنى أسهم وعقود وعملات.. تدر نقودا بلا مدخلات إنتاج حقيقى.. أشياء مثل انتاج اللبان والبطاطس وغيرها... هذة وجهه نظر له تقديرها من جانب الاقتصاديين..":.

يتوقف قليلا.. لجذب بعض الانتباه.... ثم يواصل " ولكن فى الوقت نفسه... لا يجب أن ننسى أن شعبنا عاش محروما بمعنى الكلمة فى الفترة الناصرية.. كل شئ كان مقيدا بشكل أو بآخر من الدولة.. يعنى مثلا هناك نوعين أو ثلاثة من الصابون...، وهناك إنتاج ثلاجات ايديال...، وبذلات المحلة...، وسيارات النصر.... والدى الله يرحمه.. كان يحكى لى أنه كان من الممكن أن تجد موظفا كبيرا.. بدرجة وكيل وزارة أو ناظر مدرسة يسيل لعابه على بعض السلع الترفيهية... مثل سجائر المارلبورو. والدتى.. كانت تحكى لى أن علب اللبان المستورد كانت نوعا من ممارسات الإرستقراطية لسيدات الطبقات العليا...، يعنى مجتمع كان يعيش الضنك بمستوياته المختلفة... فالذى فعله السادات هو أنه أنهى الحرمان. فأتاح للشعب أن يعرف أن الحياة لا تبدأ أو تنتهى بمجرد أن تشاء الدولة... أن هناك أنواعا أخرى من السلع والخدمات من حقه أن يعلم بوجودها بل ويتملكها....

محمود : صحيح يا أحمد... ولكن هذا أثار أحقادا طبقية.. وخلق إزدواجية..وو

أحمد : (مقاطعا)... دكتور محمود..... ما هو الإقتصاد؟... أقصد ما هو المقصود من علم الاقتصاد عموما؟ أن تعامل الناس مثل الماكينات أو تروس فى آلات تتحرك وفقا للخطة بلا أدنى معنى للرفاهية؟؟!! بالطبع لا... السادات بطبعه لم يكن يميل إلى تقشف عبد الناصر... فكان محبا للحياة، وأراد للشعب أن يحب الحياة وأن يستمتع بها.!!.. هو وضع الأساس النظرى لتجربة الإنفتاح الاقتصادى... لها بالقطع سواءتها وعيوبها... لماذا إذن ننكر على الرجل حسن نيته..؟؟ هل هو المسئول عن كل المثالب التى حاقت بها والشرور التى نتجت عنها أم من تولى التطبيق؟؟... لماذا إذن نترع إلى أن نسامح عبد الناصر على كارثة 1967 التى لم تحق بمصر هزيمة مثلها فى كل تاريخها... ونلتمس له الاعذار بأن مساعديه لم يكونوا على قدر المسئولية أو أن هناك من ضللوه أو أن أطرافا دولية تآمرت (رغم أن هذا كله لا يعفى من المسئولية)... ثم نتقمص دور القاضى والجلاد فى آن واحد مع السادات بسبب سياسات الإنفتاح الاقتصادى... وغيرها.؟!!..

سلوى : "أيوة صحيح يا أحمد..أنا فعلا قرأت كتاب وجيه ابو ذكرى عن مذبحة الابرياء.. يعنى كم الأخطاء السياسية والعسكرية فى الحرب تكفى للعن هذا النظام حتى نهاية التاريخ... يكفى أن موشى دايان قال عقب الحرب أن مصر ما كان أحد يستطيع أن يفعل بها ما فعله قادتها.. أما بالنسبة للسادات فأنا ممكن أتسامح مع الانفتاح، بس " غيرها " هذة التى ذكرتها.. هى التى لا

يوجد تسامح بها!!

أطرق الجميع فى سكون مشوب بالتشوق للاستماع الى سلوى التى كشفت مكنون صدر أحمد... فأكملت.. " ممكن كذلك ندعى أن هناك أمورا إجتماعية ينبغى أن تؤخذ فى حسابات الإقتصاد الوطنى وكيفية إدارته.. والحاجة إلى التوظيف بأى صورة كانت بالرغم من ضعف إنتاجية الدولة... ممكن أن نقول أن السادات كان بيحاول أن يتقرب إلى الولايات المتحدة.. فطرد الخبراء السوفيت ثم إنتهج سياسة الإنفتاح كسبا لودها... على إعتبار الحاجة إلى دور الولايات المتحدة فى عملية السلام التى كان يخطط لها... ممكن أن نقول مثل تلك الأعذار وغيرها... أما ما يجعلنى أمقت هذا الرجل وأعتبره أسوأ من حكم مصر.. فهو موقفه من الجماعات الاسلامية... فهو الذى أطلق سراحها وسمح لها بالعمل والإنتشار والتوغل فى المجتمع."..

سها : "أيوة يا سلوى معك حق... هو الذى سمح للحجاب والنقاب أن ينتشروا فى المجتمع.. وسمح لأن تفقد مصر هويتها.. لصالح من يريدون أن يأخذونا قرونا الى الوراء..!!

محمود : مش بالضبط يا سها... الأمور لا تؤخذ هكذا... أنا شخصيا لا أميل إلى الفكر الذى يرى عبد الناصر ملاكا والسادات شيطانا.. ويفسر كل الأمور وفقا لتلك المعادلة... لكل منهما أخطاؤه وعيوبه وأيضا إنجازاته ولكن ما يمكن قوله أن السادات اتخذ قرارات جرئية جدا تاريخية فى الحرب والسلام..... أنا بطبعى لا أميل إلى سياسات أى منهما بصورة كلية!!...

مدحت معلقا :... "يبقى كده بتميل إلى سياسات الرئيس مبارك"..!!!

يضحك الجميع...

يستطرد مدحت قائلا : على فكرة أنا موقفى من السلام مع اسرائيل براجماتى تماما... يعنى أثق أن السادات فى هذا الأمر كان يستهدف مصلحة مصر...صحيح أن تأثير ما فعله كان كارثيا على الوضع العربى برمته فضلا عن أخراج مصر من معادلة المنطقة. ولكن من ناحية أخرى، لو كان العرب اصطفوا خلفه كان يمكن أن تكون النتائج مختلفة وأكثر إيجابية... بعض الفلسطينيين قالوا ذلك مؤخرا... عموما لا يجب أن نغلب سوء النية دائما..

يلتقط أحمد خيط الكلام ..." عليك نور يا دكتور مدحت... لماذا نسئ الظن بالسادات فى كل ما فعله؟؟؟... فنرى أن الصلح مع اسرائيل خيانة رغم أن لولا ذلك لتم استنفاذنا فى حروب مطولة بلا طائل...، ونرى أن سماحه للجماعات الإسلامية والإخوان وغيرهم بالعمل.. بأنه فقط كان يستهدف التيار الناصرى بالجامعات والمصانع وغيرها فى إطار لعبة التوازنات بالمجتمع... لماذا نستبعد أنه بالفعل كان يستهدف إطلاق الحريات، وتحقيق مصالحة بين النظام والإخوان بعد الصدام بينهما

فى الستينيات وإعدام سيد قطب.. وغير ذلك؟!!...لماذا لا يروق لنا أن نغلب حسن النية على المقصد حتى إن كانت النتائج سيئة...!!

سها : "كلام ايه ده يا أحمد.. لا يمكن أن تطلق العفاريت فى المجتمع.. ثم تقول أنها حسن نية.. هى جماعات متخلفة الفكر تريد أن تستخدم الدين للسيطرة الاجتماعية ثم السياسية.. وبالتالى فلا توجد إمكانية للتعايش معها"...

مدحت : "يا أخت سها يبدو أننا أخيرا سنتفق على شئ...ولو مؤقتا... هؤلاء أناس ظهروا نتيجة أزمات إقتصادية وإجتماعية طاحنة.. أنا درست الأدب وأعرف أن عصور الإنحطاط لابد أن تنتج مسوخا مشوهة فكريا"..

نادية : "فعلا الجماعات دى متخلفة... لابد من إستئصالها والقضاء عليها!!..

الملحق الثقافى جورج نسيم: الجماعات هى تعبير عن واقع داخل مصر لا نعرفه، وربما لا نرضى عنه... ولكنها جزء من واقع مصر.. لذلك أن أتفق مع الدكتور أحمد أن السادات كان يستهدف وجود عقد شامل للمجتمع يضم الجميع.!!

مدحت : الجماعات دى بطبعها تكاد تنفصل عن المجتمع... يعنى هم يتقوقعون على أنفسهم ويخلقون مجتمعا موازيا...، إقتصادا موازيا خاصا بهم...، حتى أنهم يتزوجون بصفة أساسية من بعضهم البعض...!!

محمود: ربما صحيح... هم جزء من الواقع المصرى حتى وإن رفضناه وبغضناه... ولا سبيل سوى التنمية والتعليم.. لتغيير هذا الواقع....

سها : التنمية والتعليم... هذة أمور تستغرق وقتا طويلا.. يعنى لابد أن تموت أجيال وتولد أجيال...، شئ يحدث فى أماد طويلة...، مثل الثورة الثقافية فى الصين مثلا. إلى أن نصل إلى تلك المرحلة لابد من السيطرة الأمنية على تلك الجماعات...

محمود : تانى السيطرة الأمنية يا سها!!. ما كانت السيطرة الأمنية يوما كافية أو ضامنة لاى شئ.. يعنى مثلا هنعمل ايه.؟؟؟ هنخلى وراء كل واحد منهم عسكرى...، ووراء العسكرى ضابط يراقبه.. مش ممكن... إحنا كده هنبقى دولة بوليسية فاشية... ثم أن القوة ما إستطاعت يوما أن تقضى على أفكار أو متعقدات... حسن البنا تم إغتياله قبل الثورة.. يقال من الحرس الحديدى التابع للملك آنذاك ردا على إغتيال الإخوان للنقراشي..سيد قطب تم إعدامه فى الستينيات.. وحتى الان..، فإن إفكار الرجلين مازالت هى المصدر الرئيسى لتجنيد الشباب وإحتوائهم فى تلك التنظيمات... أنا فى الجامعة كنت أقوم بشراء كتب الوصايا العشر لحسن البنا.. وأوزعها على الطلاب...، يعنى كنت

متوهما أننى أفعل شيئا لبلادى أو دينى... ولم أكن مستوعبا للفكرة بأكلمها، يعنى تقدروا تقولوا نوعا من المراهقة الفكرية والوطنية مثلا.!..

مدحت(ضاحكا) : إيه ده يا دكتور محمود.. أنت كنت جماعات زمان بقى...

سها : شوف يا محمود... صحيح إستحالة القوة تقتل أفكارا...، ولكن السماح لتلك الجماعات بالعمل العلنى مثلما فعل السادات...، يغرى الكثيرين على تبنى فكرها... يعنى لو كانت محظورة زى أيام عبد الناصر... لم صار مجتمعنا يعانى من الإزدواجية الشديدة التى ظهرت فى عهد مبارك...

أحمد (ضاحكا هو الاخر ومقلدا مدحت فى نبرته الساخرة): أهه كله الا الرئيس مبارك..الحياة سهلة..،والمواصلات فاضية... يستطرد قائلا..." فعلا يا سها... مجتمعنا يعانى من إزدواجية فكرية.. وهذا ناتج عن شيئين اثنين.. فى اعتقادى.. ضعف مستويات التعليم والتنمية عموما.. ثم وجود إزدواجية فى التعليم يمكن أن تكون قد بدأت فى عهد محمد على عندما أرسل بعثات الطلاب إلى الخارج لنقل العلوم المدنية....، يعنى عندنا نوعين من التعليم (تعليم دينى.. وتعليم مدنى أو دنيوى)..وهذا كفيل بشرخ الأساس الثقافى الموحد لأى مجتمع... كنت فى الإجازة الصيفية أذهب فى رحلات إلى إيطاليا وفرنسا سواء للسياحة أو العمل..، ولاحظت هناك من خلال الإقامة فى بيوت الشباب..، والتحدث مع أقرانى فى السن..، أن التعليم حتى ما قبل المرحلة الجامعية لابد أن يكون مثل المسطرة... أى آله تخرط الجميع بنفس الطريقة.. لتضع الجميع على نفس الموجة الفكرية...، ثم يأتى بعد ذلك التعليم الأرفع درجة سواء فى المعاهد أو الجامعات لتحقيق التمايز المطلوب. أقصد أن المطلوب هو قدر من التناغم بين كل فئات الطلاب حتى سن معينة.. أتتذكرون عندما تحدثنا عن وجود كذا مصر..، ونحن لا نعرف إلا مصر التى نعيش فيها..، كنا نتحدث عن المستويين الاقتصادى والإجتماعى...، لا هذا لا يكفى.... حقيقة الأمر أنه يوجد أكثر من مصر على المستوى الثقافى أيضا...، يعنى هناك مصر المتعلمة..، وهناك مصر نصف المتعلمة... وهناك مصر الغارقة فى الجهل....، والنظام الحالى يرتكز على الأخيرة لتحقيق شعبيته...!!

مدحت : "شعبية إيه ولا مؤاخذة يا دكتور أحمد.... ده نظام إبن.... ولا بلاش علشان معانا حريم وممثلين الحكومة... (إنعكست الكلمات الأخيرة سلبا على وجوه البنات.. ووجوما وتجاهلا على وجهى القنصل والملحق الثقافى)..هذا النظام فقد شعبيته من زمان قوى.. و أنتم لا تدرون!!

نادية : "لا أعتقد يا دكتور مدحت...، الناس فى مصر يعشقون الفرعون..، فى الإنتخابات الرئاسية الأخيرة 2005..الرئيس مبارك تغلب على أيمن نور بفارق كبير...، حصل على حاجة وثمانين فى المائة.. تقريبا كده 86 %...، يعنى مازالت له شعبية...، الناس فى مصر يحكمهم التطبع وحكم العادة...

وعلى رأى المثل اللى نعرفه أحسن من اللى معرفوش!!..

مدحت(ساخرا) "... يا دكتورة نادية...، ألا بصحيح كده...، ولو فيها رذالة..، أنت مصدقة فيلم الانتخابات ده... ده حتى المخرج بتاعه تعبان ولو كان عندى فى الجامعة أسقطه".!!.

نادية : ليه يا دكتور مدحت...هذة كانت إنتخابات تحت إشراف قضائى كامل..، وعلى ما أذكر أن التقرير الختامى للهيئة القضائية أشار إلى حدوث تجاوزات..، ولكنها فى مجموعها لا تؤثر على النتيجة الانتخابية...!!!

(كاد أن يفلت من مدحت عندئذ صوتا داخليا مكتوما يصدره بعض الأشخاص عادة عند الغضب أو الإستنكار..، الإ أنه إستدرك نفسه سريعا...، وتظاهر بأنه كان يقصد أن يسعل أو يرشح)... وقال " آه بالنسبة لموضوع الإشراف القضائى..، ياريت كل واحد منكم لما ينزل مصر أجازة يروح يتفرج على أحوال أقرب محكمة له!!... يا أخوانا.. أنتم كما قلت من قبل تعيشون فى كوكب آخر.. عدالة ايه؟؟...هل تعلمون أنهم يتوارثون المناصب لهم ولابنائهم حتى الفاشلين منهم الحاصلين على تقدير مقبول.؟؟.. الرئيس مبارك نفسه ذات مرة رفض إعتماد قرار بتعيين وكلاء نيابة لأن أغلبهم من أبناء القضاة وفاشلين دراسيا... عدالة إيه ولا هباب إيه..؟؟. ولا مؤاخذة يعنى... لو كانت هناك عدالة فى مصر... كان يبقى حالنا كده... قضايا تقيد ضد مجهول لأن الشرطة أو النيابة لا يروق لها أن تبذل جهدا...، قضايا تبقى نحو 30 عاما أو اكثر..، اللى إحنا فيه ده... نتيجة غياب العدالة لا أكثر ولا أقل..".!!

أحمد مشتهر :... فعلا يا دكتور مدحت الحقيقة إن......

مدحت : (مستبقا مصمما على إكمال فكرته) لحظة أرجوك يا أحمد..، كنت بأقول إن المخرج بتاع الانتخابات ده.. ولا مؤاخذة.. يعنى " خرونج " على رأى عادل امام...، فى الجامعة عندنا... هناك- ولا مؤاخذة - عيال فاقدة... يعنى تدخل الامتحانات ومعهم نماذج إجابة...، فيقوم الغشاش الغبى ينقل الإجابة النموذجية من البرشامة أو الموبايل كما هى....، بدون زيادة أو نقصان على السؤال بشكل مفتعل ولا يتناسب مع مستوى اجاباته على باقى الأسئلة. وبالتالى كنت أعرف أنه غشاش وأسقطه، بينما الغشاش الذكى... هو من ينقل الإجابة النموذجية مع تغيير هنا أو هناك، أو تعمد بعض الأخطاء فى الحروف أو ما شابه تحت ضغط العجلة... هذا كان يخدع أشد المصححين خبرة.... من أخرج الإنتخابات الرئاسية الاخيرة... كان يكفيه أن ينجح مبارك بستين أو سبعين فى المائة...، يمكن كنا صدقنا...، ولكنه ينجح بتلك النسبة الكبيرة...، رغم وجود كل تلك المشكلات فى مصر...، يبقى إذن هناك إحتمالان أننا شعب أهبل أو مغيب.. وفى الحالتين يبقى حلال اللى يحصل

فيه وما يعايشه...!!!

لضرورات المواءمة الوظيفية...، إلتزم الممثلان الحكوميان الصمت...، فللوظيفة قيودها وإن كان كلاهما ينزع أحيانا إلى التغلب على ذلك بالتورية أو الحديث الفضفاض.

سلوى : يا دكتور مدحت... الرئيس مبارك.. صحيح اكيد مسئول عن الوضع الحالى... ولكنه ايضا ورث تركة ثقيلة ممن سبقه...وأكيد له إنجازات أيضا!!!

مدحت.:. "ورث إيه يا سلوى...، أخر رصاصة أطلقت على إسرائيل... كانت فى 73.. يعنى عشرات السنين عدت على آخر حرب.....وبعدين نحن نظل نكذب بشأن الحروب وتأثيراتها.. ونصدق أنفسنا.. أقولكم.. نحن لم نعانى مثل شعوب أخرى..عدد شهداء حرب 67 بلغ قرابة 6800 شهيد فقط – ربنا يرحم الجميع -، بينما عدد قتلى الاتحاد السوفيتى خلال الحرب العالمية الثانية بلغ 6و26 مليون شخص.. الجزائر وفيتنام قدموا مئات الألاف من الضحايا.. دول كاملة تم محوها وقامت مجددا فى فترة أقل من العقود العجاف الأخيرة... يعنى نحن لم نعانى كغيرنا... مبارك ورث إيه يعنى مش فاهم...؟!!.

محمود : البقاء معكم بجد مثمر... ولكنى أشعر بالارهاق... مضطر إستأذن... تلت تلك الكلمات همهمات فيما معناه انه حان وقت الانـصراف.... على ان نستكمل الحوار فى اللقاء المقبل... لينصرف الجميع بنفس الروتين المعتاد.

obeikan.com

الفصل الخامس

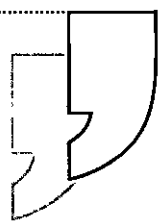

بذور الحب
تعاود الانبات

obeikan.com

(١) محمود عز الدين...

إستعد دا لموعد العشاء مع كاتيا... أخذ محمود يستعد ويتهيأ منذ الصباح.... وكأنه طالب صغير سيواجه إمتحانا عسيرا... كان قلبه يرقص فرحا وطربا... كان لقاؤهما بحق يوما سعيدا رغم أن بدايته كانت محرجة نوعا عندما تواجها فى نزال "الكيك بوكسينج "...، إلا أن بهجته بلغت ذروتها عندما مكث مع كاتيا قرابة ست ساعات كاملة للحديث، وهو الذى إشتهر عنه قلة الكلام والتدبر قبل اتخاذ أى قرار!.

-" جميل أحيانا أن يتصرف الإنسان بتلقائية بلا تدبر أو حسابات...، جميل أحيانا أن يتصرف مثل الطفل فى سجيته وإنطلاقه... لا أعرف ماذا أريد من كاتيا...؟!!.. ولا أعرف بالتأكيد ماذا تريد هى منى...؟؟!!.. هى فقط دعوة العشاء الأسعد التى تلقيتها فى حياتى!..

-"على كثرة ما قابلت من فتيات، إلا أننى لم أجد أقرب من كاتيا إلى الصورة النمطية التى ترسخت فى خيالى منذ سنوات المراهقة.. حتى..... حتى ماذا يا محمود.؟!!. أنت خرجت بالفعل من مرحلة الشباب، وها أنت أصحبت على مشارف الأربعين....وماذا يعنى ذلك؟!!.. قديما كانت عتبة سنا منقدما للغاية..، الإ أن الوضع تغير!! يعنى أيام سيدنا المسيح....متوسط أعمار البشر كان 25 عاما...، ثم إزدادت معدلات العمر تباعا... الآن الرجل الذى يبلغ الأربعين لا يعتبر كهلا.. مثلما كان عليه الحال قبل خمسين عاما بسبب تقدم الرعاية الصحية والرياضة والنظام الغذائى... (هكذا أخذ محمود يقنع نفسه بأنه مازال شابا..،بإمكانه أن يخوض تجربة حب مع كاتيا أو غيرها)!..

يستطرد محمود فى حواره الداخلى..." على اى حال.. كونى الآن فى الثامنة والثلاثين لا يجعلنى عجوزا.. كما أنه لا يجعلنى شابا صغيرا أيضا..ترى كيف سوف يسير العشاء "؟.

إشترى لها باقة ورود يانعة متنوعة ومتناسقة الألوان (فلا يوجد أفضل من تلك الهدية عند أبناء الثقافة الغربية).. سوف يتعمد أن يضع باقة الورد أمام صدره..، ولعله سيتظاهر بالرشح أو

ما شابه عند الولوج للمنزل...، حتى لا تقوم بتقبيله قبلات التحية المعتادة.. فى الواقع هو يتمنى داخل قلبه أن تقوم بتقبيله أو حتى أن يتلامس خده مع خدها مثلما تقضى التقاليد الغربية عند التحية - فالأمر لديهم ليس له أى علاقة بالغريزة الجنسية مثلما هو الحال فى ثقافات أخرى -، ولكنه بالفعل يريد أن يحتفظ بتركيزه ورباطة جأشة لأنه يعلم أن العشاء سيتحول بالضرورة إلى مناقشة حامية الوطيس حول الإسلام والغرب. فمنذ تفجيرات الحادى عشر من سبتمبر، وهذا هو موضــوع الحــديث الرئيسى هنـــا..، بل لعله كذلك فى كل عاصمة غربية يعيش فيها مسلمون..

محمود بطبعه متسامح وطيب القلب.. لذا فهو لا يمانع مطلقا أن ينهزم فى رياضة التاياكوندو.. والتى إستبدلها مؤخرا بالكيك بوكسينج..، فهو على أى حال لم يكن يوما لاعبا متميزا أو موهوبا.. حتى أن والدته كانت تقوم بإهداء - أو بمعنى أصح رشوة - المدربين أو الحكام للسماح له بالترقى من حزام لآخر.! هو بحكم تكوينه النفسى لم يكن يجيد سوى الدفاع عن نفسه...، ولكنه لا يستطيع أن يبادر الهجوم. المهم أن روحه الرياضية المتسامحه كبرت معه..، فلا مانع من الهزيمة من بنت مثل كاتيا فى الكيك بوكسينج. لعله يتوتر قليلا إذا خسر مباراة شطرنج لآنها - بشكل أو بآخر - علامة وبرهان على الألمعية الفكرية...، وقد ينزعج كثيرا ويتأذى إن خسر مناقشة فكرية لاسيما إن لامست موضوعات معينة يعتبرها محمود بحكم قراءاته الكثيرة تقع مباشرة فى قلب نطاقه الفكرى، مثل العلاقة بين الإسلام والغرب..، وحقوق الانسان..، وحقوق المرأة..، الصراع العربى الإسرائيلى..، الثقافة الفرعونية...، وتأثير الثقافة العربية على المجتمع المصرى والعكس... وهكذا..!!.

ما ذكرته كاتيا بشأن الدين، وما بدا عليها من إستنكار فى ختام تنزههما سويا،يرجح أن يشهد العشاء معركة فكرية حول " الإسلام "، وهو لا يمكن أن يسمح " لبنت مفعوصة " - تصغره بعشرة أو خمسة عشرة عاما - أن تهزمه فكريا.. كما فعلت فى الكيك بوكسينج. لا...هو لم ينهزم.. صحيح أنه إستطاع أن ينهى القتال بخدعة ليست أخلاقية مائة فى المائة ولكنه لم ينهزم على أية حال. الآن وجب الإستعداد...،"فاليوم يومك يا دمشقى"!!!!

حلق محمود لحيته ثم إرتدى أفضل ثيابه..، وطوال الرحلة عبر قطار الأنفاق من بوند ستريت بقلب لندن إلى منطقة دوكلاند الواقعة جنوبا على نهر التميس.. بالمنطقة الرابعة، كان محمود يشعر أن كل شئ من حوله يرقص مرحا..، حتى نبضات قلبه غدت تنوع إيقاعها فتعلو وتهبط فرحة بما يجرى وما سيكون!. حتى الزهور اليوم تبدو أكثر ألقا وجذلا....، حتى المترو ذاته يبدو رائعا.!!!. فى الواقع كل شئ يبدو رائعا...، ألا يكفى أنه سوف يتناول عشاءه مع كاتيا؟!!!. هى بلا شك معجبة به وإلا لما كانت دعته هكذا سريعا للعشاء..، ربما يمثل لها سحر الشرق بكل ما يحيطه

ويحيق به من أساطير وأوهام.. ترى كيف يمكن أن تتطور تلك العلاقة؟؟... لا....ليس هذا وقت تلك الأسئلة حتى لا نفسد جمال اللحظة الحالية.!!

وصل محمود إلى منزلها بسهولة، فكل شئ هناك مرقم.وإستقبلته بابتسامة واسعة، وربتت على كتفيه ضاحكة وقائلة بخبث أنثوى.." أعرف ما تفكر فيه الآن.، وأرجوك أن تطمئن أن العشاء سيسير بما يتواكب مع شخص مثلك مازال يعيش فى القرن الماضى غارقا فى الأوهام والتخاريف"!!!.. هكذا اختارت كاتيا.. أن تطلق سريعا الرصاصة الأولى فى المناقشة!

كان محمود بدوره مستعدا لمثل تلك المناقشات التى تدور عادة بين الطلاب بالسكن الجامعى، فضلا عن أن دراسته للقانون منحته شيئا من الثقة بالنفس.، وشيئا من القدرة على إستدراج الخصم إلى مناحى ضعفه ثم تفنيد حججه توطئه لهزيمته!!... محمود بحكم تكوينه يتمتع بقدر عال من الذكاء والثقافة.، بيد أنه لا الذكاء ولا الثقافة هما أمضا أسلحته أوأقواها. فى الواقع أن أفضل وأقوى ما لديه هو قدرته الفذة على التركيز. نعم، يستطيع محمود أن يعزل نفسه كلية عن الواقع المحيط لبعض الوقت، فيحشد كل نبضة دم فى عروقه،وكل ومضه تسرى بوجيب عقله من أجل إنجاز هدف معين فى وقت محدد.! هذا السلاح لم يكن متاحا فى تلك المناسبة لأسباب عدة منها وجوده مع كاتيا الجميلة فى مكان واحد ضيق يلمح أثناء جلوسه على منضدة العشاء أطراف سريرها بملاءته البمبى.، فضلا أن طبيعة الملابس التى كانت ترتديها كاتيا جعلت من عدم تشتت الذهن أمرا شبه مستحيل.، سيما أن كاتيا بطبيعتها كثيرة التحرك والإنحناء والإنثناء خلال الحديث،بحكم كونها رياضية وتحب أن تعبر عن نفسها بالحركات وليس الكلام فقط.!!.

لبعض الوقت، إستأنفت كاتيا إعداد الطعام ووضعه على الطاولة.لاحظ محمود أن الثقافة الغربية غالبة عليها من حيث الإقتصاد فى الطعام (قطعتان فقط من اللحم وبعض الأرز.، وطبق سلاطة واحد مشترك بينهما وبعض المشروبات الروحية والغازية لأنها خمنت أنه لا يشرب خمرا). سرح قليلا وحدث نفسه..

-" كنت أظن أن روسيا بلدا شرقيا أكثر منه غربيا.. فتوقعت أن تكون كميات الطعام أكثر.. فى حقيقة الامر روسيا هى دولة لا شرقيـــة ولا غربيـــة..، شئ مختلف متفرد بذاته حسبما قرأت..، ومن الطبيعى أن تكون كاتيا الصغيرة قد تأثرت بالثقافة الإنجليزية التى تضع تعريفات ضيقة للضيافة.. أقل القليل... ترى هل يتناسب المستوى الإقتصادى مع الكرم؟.. بمعنى هل هناك إرتباط عكسى.. بحيث أنه كلما إزداد مستوى دخل الشخص كلما إشتد بخله وتقتيره أم العكس؟!!... لا أعرف... بالأمس الأول دعانى صديق سوادنى د.سيد السنهورى.، وأعلم أن راتبه من المنحه يكاد

يكفى إحتياجاته خاصة أنه مضطر للإنفاق على أسرته وأقاربه فى الخرطوم...، ووجدت مأدبة عشاء عامرة بكافة أنواع اللحوم والفاكهة!... السودانيون بالفعل أناس طيبون يحبون العشرة والتباسط.. ولديهم نخوة ومروءة وحب مساعدة بعضهم البعض....، يجوز أن الجانب العملى فى الثقافة الغربية لم يصل إليه رغم حياته فى لندن بسبب تشربه لصفات الكرم منذ الصغر على عكس كاتيا الصغيرة الجميلة."

تنبه على وقع كلمات كاتيا :..

-" محمود.. لماذا أنت صامت؟. ظننت أننا سنتعارك فكريا مثلما فعلنا فى التدريب... على فكرة يا محمود أنت تفكر جيدا..، ولكن لابد أن تنقص وزنك على الأقل عشرة كيلو جرامات حتى يستطيع جسمك أن يترجم إشارات العقل أثناء اللعب بصورة جيدة وسريعة".

-"أنت يا كاتيا بالفعل...لاعبة متميزة جدا"...

-"أووه .. شكرا..، فى الحقيقة نعم..، أنا لاعبة متميزة.. لا تظن أن مستواى أقل من الحزام الأسود أو البطولات. كل ما حدث أننى تعلمت اللعبة فى موسكو من قبل ثم توقفت بسبب هجرتى إلى لندن مما أثر كثيرا على مستواى. ورغم ذلك تمكنت من إستعادة بعض لياقتى البدينة والذهنية وكدت بالفعل أن أحصل على الحزام الأسود..، إلا أننى فضلت أن أركز طاقتى كلها فى المذاكرة للحصول على درجة علمية خاصة أننى كنت آنذاك أدرس كطالبة أجنبية.. مما جعل مصاريف الدراسة باهظة بالنسبة لى..، ثم أصبت بالقدم إصابة أقعدتنى عدة شهور..."

-" أننى بالفعل سعيد بالتعرف عليك..، وسعيد أيضا أن أتعرف على أرائك لاسيما ما ذكرتيه مؤخرا بشأن الدين."..

- (ضاحكة).. تماما..، أعلم أنك مستفز بسبب ما ذكرته..، ولكن رجاء دعنا اليوم نستمتع بالعشاء.. على أن نجرى المناقشة فى وقت آخر...

فى الواقع كان هذا الأمر بدوره يروق كثيرا لمحمود.... ولقى لذلك هوى فى نفسه...

(٢) سها... ومحمود...

إرتفع منذار علاقة سها ومحمود درجة أخرى... لعلها جاوزت الزمالة إلى أولى مراحل الصداقة..... ذات مرة، وجدت سها رسالة على هاتفها من محمود يدعوها لتناول عشاء هندى فى كوينز واى... فى محل خان...، وهى منطقة أخرى يقطنها العرب. رحبت سها كثيرا بالدعوة، إذ ما فتئت تعانى من وحدة حقيقية يؤجهها صراع نفسى لا تهدأ حميته.

مشكلة سها أن داخلها أكثر من شخصية متفردة بذاتها تتصارع فيما بينها حتى تفوز أحداها بشرف تمثيل سها بمفردها.! أحد تلك الشخصيات هى الفتاة المتحررة، وقد كانت لها الغلبة فى الشهور الأولى من الدراسة، خاصة مع إستنساخها الأسلوب الغربى فى الملابس أو الهوايات مثل رقص الصالصا والتانجو. الشخصية الثانية هى الفتاة القوية الجادة المنضبطة التى تبهر الجميع دوما ليس فقط بجمالها ولكن بجديتها وصرامتها فى العمل. الشخصية الثالثة ترتكز على نوازع دينية تظهر حينا وتختفى حينا حسبما تقتضى الأحوال أو تفرض الظروف!!. شخصية صعب أن نفهمها أو حتى أن تفهم هى نفسها...، فهى تستمتع بالشئ ونقيضه..، وتقبل أشياء وترفض أخرى بلا مبرر!.. هل السبب أن وفاة والديها، ونبذ شقيقاتها لها بسبب أو بأخر جعلها تضطر إلى مجابهة الحياة بأكثر من شخصية فى نفس الوقت...!! ربما.... هذا التعقيد وذاك التركيب فى شخصيتها هو ما جعل الكثيرين فى مصر عاجزين عن التعامل معها. ربما لأنهم تربوا على تأثير الدراما والإعلام اللذين يصوران الناس أما جيدين أو سيئيين..، وكأننا جميعا مخلوقات أحادية التوجه أو مبرمجه نحو الخير والشر. بينما الواقع أن كل إنسان منا يخوض صراعا يوميا..، بل فى كل لحظة قرار بين نوازع الخير ودوافع الشر بداخله!.

أما فى لندن، فإن المعاناة مستمرة أيضا بشكل أو بآخر. كثيرون يقبلون على سها ويدعونها للخروج أو العشاء...إلا أن سها..، وبنظرة واحدة وبخبرة كبيرة إكتسبتها من معاناة تعاملها مع الرجال فى مصر،... كانت تلمح ما وراء تلك الدعوة من شهوة بادية سواء بسبب جمالها أو تمايزها

العرقى!!... فالرجال الغربيون أيضا لديهم صورة نمطية عن سحر الشرق.. فيتخليون أن النساء الشرقيات كلهن يجيدن فنون العنج والرقص الشرقى وخلافه!!.كانت سها إذن مضطرة للتحذر فى علاقاتها لأنها تحافظ على نفسها وشرفها..فضلا عما ذكرناه بشأن وازعها الدينى الذى يصحو ويغفو ما بين الفينة والأخرى...!! لكل ما سبق، سعدت إيما سعادة بدعوة محمود.. فهى كانت تأمل وتنتظر أن يبادر هو بدعوتها للعشاء ذات مرة!!

إلتقيا فى المطعم الهندى...، وتبادلا حديثا متنوعا بلا معنى. فى الواقع أن اللقاء كان يستهدف إشباع حاجة نفسية لدى كليهما. فمحمود بدأ يتحسب من تفكيره المستمر بشأن كاتيا ولا يعرف أين المسير معها...، وسها بدورها كانت تفتقد الأمان النفسى الذى تستشعره عندما تتعامل مع شخص نظيف ومؤدب وحنون مثل محمود - لاسيما إن كان من بنى جلدتك -، فمحمود مهذب.، حقيقى مهذب جدا.!!... صحيح أن سها لاحظت بخبرتها أنه مثل غيره من الرجال يختلس بعض النظرات لمناطق معينة فى جسمها...، وأنه يبذل مجهودا كبيرا لمداراة ذلك.. فمثلا يمسك بقائمة الطعام ويتظاهر بأنه يعرض عليها شيئا، وينظر الى نصفها العلوى. ثم ينصحها بألا تضع حقيبتها على الأرض خشية السرقة، وينظر إلى نصفها السفلى. قدرت سها أن ذلك سلوك ذكورى غريزى يجب أن تتفهمه وتتقبله، فهى تعرف تميزها الشكلى، ولا شك أن ذلك أيضا كان يسعدها ويرضى غرورها الأنثوى، ومن ثم، فلقد تظاهرت بأن الأمر لم يلفت انتباهها كى تعطيه فرصة أكبر لذلك.ما يعنيها فعلا أنها باتت تستشعر راحة كبيرة لمجرد القرب منه!

إنتهى العشاء بلا شئ محدد ثم إنصرفا كل إلى حال سبيله، وبداخله إنطباعات خاصة. فسها... قررت أنه " ينفع "...، وأنها ستوافق إن طلب يدها خلال الفترة المقبلة!. هذة السرعة لم تأت من فراغ، بل هى نتاج خبرة طويلة إكتسبتها سها من مقابلتها لعشرات وربما مئات المتقدمين لها من قبل مثلما أسلفنا...، كذلك فهى الآن أوشكت على الرابعة والثلاثين عاما وهى تريد الانجاب..حتى لو اسفر الزواج عن طلاق فيما بعد...، فهى تدرك قطعا وجود إختلافات كبيرة فى الطبائع الشخصية بينها وبين محمود لاسيما فيما يتعلق بكيفية إنعكاس التدين على السلوك.!!!

محمود... بدا هو الآخر سعيدا باللقاء. قطعا، فإن سها، بل كارزمية جمالها وسحره الطاغى.. تركت فيه إنطباعاتها وتأثيراتها. عموما فإن ما لاح بذهن سها توارد أيضا بذهنه ولكن ليس بدرجة الشفافية والوضوح اللازمتين خاصة أنه بدوره لديه تحفظات بشأن سها مثل الغرور الذى لا يطيقه ودرجة التحرر السلوكى الذى لا يتقبله. كما أنه ما فتئ مراوحا مكانه القريب من كاتيا، فهى الأقرب إلى مخيلته حتى الآن.

(٣) أحمد مشتهر

" هذه بداية موفقة للغاية ".. أسرها فى نفسه عندما أبلغته " كارمن " الشابة الإيطالية الحسناء أنها من عشاق مصر والحضارة الفرعونية القديمة، ولطالما حلمت وهى صغيرة أن تزف يوم زواجها بمعبد الكرنك بالأقصر، وأنها تتلقى دروسا فى الرقص الشرقى.!!! كان هذا فى حفل عشاء نظمه أحد الطلاب الإيطاليين بدار السكن الجامعى.. ودعا أحمد للحضور... كان أحمد بالفعل يمر بفترة فتور وسكون وملل ضاعف منها كونه لا يطيق أن يعيش هكذا بمفرده- أى بلا مضاجعة مستمرة - بعد مغادرة ليدميلا (فى المقام الأول) ثم لى الصينية، ثم أن شتاء لندن بدأ يبهت بالفعل على مزاجه الذى لم يعد رائقا مثلما أعتاد من قبل!!!

بخبرته النسائية، لم يغفل أحمد الفرصة. أجاب كارمن على الفور قائلا "أنه وإن كان من سكان القاهرة - و بمعنى أصح أرقى أحياء القاهرة - إلا أن عشقه للحضارة الفرعونية القديمة يدفعه إلى قضاء عطلة نهاية الأسبوع - كل أسبوع - فى زيارة خاصة لمعبد الكرنك، وأن خالته - وهى بالمناسبة الراقصة الشهيرة تحية كاريوكا - قد تركت تراثا فى الرقص الشرقى تم تسجيله على أقراص دى فى دى يحتفظ بها - لحسن الحظ - فى منزله، وأن عمه - وهو بالمناسبة الفنان العالمى عمر الشريف - كان يوصيه دائما بضرورة تعلم اللغة الإيطالية، وهو الأمر الذى لم تتح فرصته من قبل، لكن يبدو أن الأمر مازال ممكنا!! (كان بالطبع كاذبا فى كل ما تقدم).

هكذا فتح أحمد فى ثلاث جمل متوالية إحتمالات متنوعة لتنامى العلاقة مع كارمن التى بدت كفتاة بالغة الحسن والرقة معا. كارمن هى نموذج للفتاة الأوروبية المثقفة التى تعطى كل شئ قدره، فجزء من حياتها للعمل والجزء الآخر للإستمتاع، فهى تحوذ قدرا من المعرفة بمختلف الفنون - يساعدها فى ذلك بالطبع كونها إيطالية نشات فى واحدة من أكثر بلاد العالم عشقا للفنون

بأنواعها والموضة بأشكالها المختلفة!

رغم تاريخه النسائى الحافل، بدت كارمن فى عينه إنها أجمل "عشرة نساء" شاهدهن فى حياته، فهى الأولى والعاشرة، وبعد ذلك يمكن أن تصنف الآخريات!. بدت وكأنها لوحة موناليزا جديدة، تستوجب التأمل والتفكير مليا فى جوانب الجمال الخفى والظاهر بها.

نمت كيمياء العلاقة سريعة بينهما بلا إصطناع أو إفتعال. وجد أحمد فى كارمن غايته، فهى إمتداد أو تطور لعلاقته مع ليدميلا.، بل لعلها تفوقها قدرة وإبهارا على تذوق الفنون والآداب.. هذا العالم الجديد الذى ولجه على كبر، ولكنه بات يسعد به!. كارمن بدورها وجدت فى أحمد شيئا ما مختلفا عن تعاملها مع الأوروبيين، لعله الرقة، فانجذبت إليه بدورها. كان كلاهما يأتنس بالآخر ويسعد بصحبته أيما سعادة. المشكلة هى ما هو سقف تلك العلاقة. أوضحت كارمن لأحمد – بما لا يدع مجالا للشك -أن لديها صديقا أوروبيا يعيش فى دولة أخرى، وأنها مخلصة له.. ولن تقبل خيانته عن طريق إقامة علاقة كاملة أو جزئية مع رجل آخر.. هى فقط تريد صداقة بريئة مع أحمد لتستمتع بها...!! لم يعجب أحمد بالطبع بهذا المنطق..،وظن أن ذلك نوعا من التمنع النسائى المعتاد لإثارة اللهفة ولمزيد من التشويق!!.

هكذا سارت الحياة بهما على وتيرة واحدة شهرين أو ثلاثة بدون جنس...ولكن هناك شعاعا من السعادة يمضى بلا إنقطاع. حاول أحمد مرارا تطوير العلاقة إلى أن كارمن أفهمته بلطف تارة وبحسم تارة أخرى أنه ليس كل الغربيات كما يظن جاهزات لخيانة رجالهن.، وأن تلك الحدود قد إرتضاها منذ البداية، فإن شاء إستمرت الصداقة، وإن شاء توقفت إلى هذا الحد. لم يكن أمام أحمد سوى الخضوع والإذعان.، لاسيما بعد أن عرف أنه لم يبق على عودتها إلى بلادها سوى بضعة شهور، إذن فالمنطق يقتضى أن يقتنص أوقات السعادة معها فى إرتياد المتاحف والمعارض وغيرها. كذلك فقد دأبا سويا على زيارة بعض المدن التاريخية مثل أكسفورد وكومبريدج عن طريق القطار من محطة فيكتوريا والعودة فى نفس اليوم، فكارمن فتاة محافظة لا تقبل أن تبيت بصحبة رجل خلاف حبيبها فى فندق.

ثم جاء وقت الرحيل..غادرت كارمن عائدة على بلادها دون يطأها أحمد صاحب الغزوات النسائية.، فكانت أرضها محرمة عليه. ورغم ذلك، فإن رقتها وثقافتها تركا فى نفسية أحمد "شيئا جميلا"...، هو خليط من مشاعر حب وإعجاب وصداقة. شئ رائع إسمه كارمن ولعلها تكون قد حازت نفس الشئ أيضا. شئ رائع حتى وإن لم يخالطه الجنس.، وهو شئ جديد على نفسية أحمد ومخيلته!!

عاد أحمد إلى روتينه اليومى.. بات يختلس لحظات " وحدة " ينعزل بها عن واقعة اليومى ليتذكر لحظاته السعيدة مع " كارمن ". هذا الشبح الغامض الذى تسلل إلى حياته.ما تركته فى قلبه من إنطباعات وفى عقله من آثار. يضحك أحمد كثيرا، وهو يتذكر عندما دعاها مرة لتناول " الفول المدمس" مخبرا إياها أن الناس فى مصر تسميه "الأسمنت"... أو "مسمار البطن" لأنه يعطى إحساسا بالشبع لثمانى ساعات أو أكثر. أكلت المسكينة كارمن بحذر عدة لقيمات...، إلا أن معدتها الرقيقة لم تتحمله فأصيبت بمغص معوى حاد، واضطرت إلى التوقف، فى طريقها للعودة للمنزل، عدة مرات لقضاء الحاجة فى مطاعم ومحلات الأكل السريع. يتذكر كيف أنها عاتبته بشدة وقاطعته عدة أيام خاصة أنها إضطرت للإنقطاع عن العمل بسبب دعوتها لأكل " الأسمنت"..!!.

يتذكر أنه تظاهر بإصابته بإلتواء فى الكاحل بعد أن لاحظ أن لياقته البدنية لن تسعفه لإستكمال مباراة التنس معها بعد أن هزمته شوطين بجدارة.. ويتذكر الكثير والكثير....كان كثيرا ما يتساءل.. ترى هل كانت " كارمن " حلماً أم أن الحلم نفسه كان " كارمن "؟.... وشيئا فشيئا، ودون أن يدرى بدأ هاجس " كارمن " يطارده أينما كان. فإذا ما شارك فى حلقة بحث بالجامعة سرح إلى ماضيه القريب الجميل، وإذا شاهد فتاة جميلة، أخذ يساءل نفسه هل يا ترى تبلغ 10 أم 15 فى المائة، من كارمن؟، وإذا ما تحدث أحد أمامه بصوت عال... أخذ يقول كم كان ذلك سيزعج كارمن؟.. وهكذا!!. وشيئا فشيئا تحولت ذكرى كارمن إلى أداة تكاد تعزله عزلا تاما عن واقعه الذى بات عليه أن يعايشه بعيوبه و مميزاته.....

إنتهت علاقته بكارمن وعادت إلى حبيبها... فماذا عليه أن يفعل..؟؟ لا شئ.. ربما العثور على صديقة جديدة....، ولكن لماذا صديقة..؟. لماذا لا يبحث عن زوجة له بعد أن جاوز مطلع الثلاثينيات؟....، زوجة تكون مخلصة له مثلما كانت كارمن مخلصة لحبيبها...، زوجة مثقفة ثقافة رفيعة تثرى دنياه مثلما كانت كارمن تمثل له،... أسئلة عديدة بدأ أحمد يطرحها على نفسه.. وهو مستلقى على سريره، والنوم يأبى أن يداعب جفونه..!!.

(٤) نادية البيلى....
شئ ما يلوح فى الافق

رويدا رويدا.... بدأت العلاقة بين نادية ومارك تتنامى....،كل منهما مبهور بالآخر...مارك معجب أيما إعجاب بذكاء نادية المتقد وقدرتها على الثبات النفسى عند أشد المواقف صعوبة..كما بات مارك بدوره يروق كثيرا لنادية بعلمه وثقافته الواسعة.

مارك كان يعانى من مشكلة نفسية مجتمعية معقدة.....، فهو كمواطن إسكتلندى يستشعر أن هذه البلاد ليست بلاده رغم مرور مئات السنين على إنضواء إسكتلندا تحت التاج الملكى البريطانى بقوة السلاح حينا وحيل السياسة أحيانا. لو زرت تلك البلاد الواقعة كجزء مستقل فى شمال بريطانيا فلابد أن تحس أن شيئا ما لازال يسرى فى دماء الإسكتلنديين وتحت جلودهم يجعلهم يشعرون دوما بتمايزهم عن الانجليز فى الفكر والسلوك والثقافة. هناك دوما ما يجعلك تستشعر ثمة غصة فى الحلق ما تلبث ان تظهر للعيان ولو بدون قصد عبر فلته لسان أو ايماءة وجه. أحيانا يخيل لك أنك تسمع صرخة غير مسموعة "بأننا لسنا منهم وهم ليسوا منا".!!

للإنصاف، فإن تلك المشاعر لا تقتصر على الإسكتلنديين وحدهم...، فالانجليز أنفسهم ما إنفكوا يناقشون عما إذا كان من المجدى إقتصاديا إبقاء إستكتلندا تحت التاج البريطانى، طالما أنها تستهلك جزءا معتبرا من عوائد ضرائبهم وحصاد إنتاج مصانعهم ومزارعهم.أليس من الأفضل - هكذا تدور المناقشات فى لندن من وقت لآخر - فصل عرى الإرتباط وإستبدالها بعلاقة ما جديدة كاتحاد اقتصادى او سياسى مثل الكونفدرالية او ما شابه...؟

نفس النقاش يجرى فى إسكتلندا ولكن من زواية اخرى....، فكلما تولت شخصية قوية كارزمية منصب الوزير الاول - حسبما يسمونه -، الإ ويجدونه يلهب حماستهم بخطب نارية عن آفاق

الاستقلال لو تم مستقبلا مثل إنشاء دولة مستقلة قادرة على الاستئثار بعوائد النفط والملاحة فى بحر الشمال أو على الاقل النصيب الأوفر منها..بعض العواجيز مازالوا يلكون الحكايات التى سمعوها من أجدادهم، والتى سمع بها هؤلاء بدورهم من أجدادهم، عن وحشية الإنجليز فى حكمهم وقمع حركات التحرر الوطنى التى كثيرا ما إشتعلت ثم خبت على مدار التاريخ. يذكرون كيف أن مالكى الأراضى الاقطاعيين الإنجليز كانوا يحتفظون لأنفسهم بما يسمى حق الليلة الاولى...، والتى بموجبها يقوم صاحب الأرض بفض بكارة أى عروس إسكتلندية قبل أن يلقاها زوجها الإسكتلندى، طالما تعيش فى غبار رقعته الزراعية!!!!

كان مارك بالضرورة حانق على الإنجليز، ويتألم فى صمته بسبب النكات السخيفة التى يرددونها عن سلوكيات الإسكتلنديين ونعتهم بصفات الحمق والبخل...، وما كان يثير دهشته بالفعل هو وصف الانجليز لأبناء جلدته بأنهم باردى الدماء والمشاعر. إذ كان يؤمن بداخله بأن الإنجليز هم آخر شعب فى العالم يمكن أن ينعت أحدا بمثل هذة الصفات لأنهم - أى الإنجليز أنفسهم - هم المنبع الرئيسى لها!. هكذا كان مارك يشعر بالغربة داخل المجتمع اللندنى رغم ثراء تنوعه....، ويحرص على متابعة أخبار بلاده تباعا، لاسيما ما يتعلق بأخبار إستطلاعات الرأى التى تجرى حول رغبتهم فى الإستقلال او الحصول على حكم ذاتى موسع لا يقتصر مثلما هو كائن على بعض مظاهر الدولة مثل حكومة محلية وبرلمان مستقل وفريق كرة قدم.

هذة الأزمة الداخلية التى خبرها مارك منذ طفولته جعلته أكثر إستعدادا للتعاطف مع مشكلات الآخر....، أيا كان هذا الآخر... مختلف العرق أو الجنس أو الديانة أو الفكر أو حتى الميول الجنسية...، فرغم أنه كمسيحى لا يقر أبدا الشذوذ الجنسى...،أو ما بات يطلق عليه فى وسائل الإعلام الغربية " المثلية الجنسية "، الا أنه كان يحتفظ بصلات طيبة مع الشواذ من الرجال والسحاقيات من النساء أو متعددى التوجه على إعتبار أن ذلك يساعده على توسيع مدارك إستيعابه للنفوس البشرية التى تتنوع بقدر يعجز أن يدركه الخيال الإنسانى!!!

تحت تأثير جاذبيته الشخصية، وافقت نادية على حضور إحدى جلسات التواصل الروحى التى ينظمها بعض المؤمنين بأحدى مشتقات الديانة البوذية السالف الإشارة اليها. رغم الرهبة والتخوف من اللاشئ، الا أن نادية - فى حقيقة الأمر - كانت تستشعر راحة عندما يتلامس كتفها مع كتف مارك فى صالة المحاضرة التى عقدت فى دار سكنى بحى هامستيد. كان مارك ما بين الحين والاخر، ينظر اليها باسما ويقبض برقة على يدها وكأنه يريد بذلك أن ينقل شحنة إطمئنان من داخله إليها وفقا لنظرية الأوانى المستطرقة.

نظرة خاطفة حول الغرفة، تبينت نادية من خلالها أن القاعة تمتلئ بنحو ٣٠ شخصا منهم من يبدون فوق الستين وتحت العشرين...، ومن مستوى الملابس - رغم أنها لا تعد مؤشرا حقيقيا فى الغرب - قدرت أنهم من مستويات إجتماعية وتعليمية مختلفة...،وأن الأغلبية من النساء وكيف لا وهن الأكثر معاناة من آلة العمل وتروس الحياة الغربية التى لا تكف عن الدوران لحظة واحدة،ولا تمانع مطلقا أن تهرس وتسحق أى شخص لا يستطيع أن يتكيف مع إيقاعها!.

جاء المحاضر...، وكان يبدو يابانيا يتحدث إنجليزية بسيطة وربما ركيكة نوعا فبعض الحروف لا يستطيع نطقها. إستهل كلمته بالترحيب بالحاضرين للمرة الأولى. ثم أشار الى أن هذة الممارسة قائمة بذاتها - سواء أسميتها ديانة أم مجرد رياضة روحية -، وهى لا تتعارض مع أو تنتقص من قدر أى ديانة اخرى ولا تسعى لتكلمة او إستنساخ أى مفاهيم سالفة . كما لا يشترط لممارستها أن يتبرأ الإنسان من أى ديانة أو معتقدات يؤمن بها.فقط عليه على أن يسمو بنفسه فوق الميزات المادية والمتع الحسية، وأن يتواصل مع كل شئ حوله سواء إنسان أو نبات أو حيوان أو جماد.عليه أيضا أن يؤمن بوحدة الجنس البشرى، وأن السعـــادة والخيـــر هما نبعا السلام النفسى لكل كائن حى. إستطرد شارحا أن جوهر الديانة البوذية -وهو لا يطالب أحدا بإعتناقها - هو أن تريد أقل – أى أن تكون زاهدا فيما حولك بخفض سقف توقعاتك فلا تطلب من المال أكثره، ولا من المنصب أعلاه ولا من الجنس أشده تشويقا. لامست كلماته شغاف القلوب - ومنهم قلب نادية المتوهج دوما طموحا -، فإستطرد قائلا " أن تريد أقل فى الحياة....، هو أن تريح قلبك وعقلك من التوتر الدائم والشبق النهم...،فالحياة ليست سرمدية يا أبناء، وعلينا أن نطلب النزر اليسير منها حتى تتطهر أرواحنا، وتتخلص من أدران الآفات البشرية مثل الطمع أو الحقد أو الحسد أو الغيرة".

أفاض الرجل وإستفاض فى حديثه الذى تمحور حول خواء الثقافة الغربية القائمة على الفردية والحرية المطلقة التى لا تضع حدودا للإستمتاع الفردى، فلا عجب أن صار الانسان الغربى عبدا لذاته أى لمتعته الذاتية....، فكلما نهل منها كلما إزداد إحتياجه وصعب ارتوائه، بينما السعادة الحقيقية - وفقا لروافد الثقافة الأسيوية التى تعلى من قيمة الكل مقابل الفرد - تكمن فى تخليص النفس من مرض (الأنا) أى التمحور حول الذات، و الحرص المرضى على إكتناز أكبر متع حسية ممكنة .!

عقب ذلك، بدأت تدريبات أشبه ما تكون باليوجا المنتشرة إنتشار النار الهشيم فى كل الدول الغربية، فطالب المحاضر نصف أعضاء المجموعة بالجلوس القرفصاء، ثم أتبع هذا بتوزيع باقى أشخاص المجموعة المتبقية على جالسى القرفصاء، بحيث يقوم كل شخص بمساعدة الآخر على

الإنحناء بأكثر ما يمكن نحو الأرض عن طريق الضغط الخفيف والمتدرج فى الشدة على ظهره أعلاه أو أسفله، ثم يتكرر التدريب مرارا، ثم يتبادل الشخصان دوريهما!!!-ولأن نادية كانت ترتدى بلوزة قصيرة نوعا - فهى قد خلعت قبل الجلسة الجاكت السميك مثلما تقضى تقاليد الشتاء - فقد إنكشف الجزء الاكبر من ظهرها، وعندما وضع مارك يديه الحانتين على هذا الجزء المنكشف إستشعرت لذة وخدرا، فهذة هى المرة الأولى التى يلمس فيها رجل هذا الجزء من جسدها. فنادية رغم تحررها فهى تعرف دائما أين تتوقف!! تواصل التدريب ما بين تكوير ومد الجسم إلى أقصى إتساع وتحريك وضم ورفع السيقان والأذرع بأشكال مختلفة ومغايرة....

عندما إنتهى التدريب بشقيه الروحى والبدنى وهمت نادية بالخروج....، إستشعرت أن ثمة طاقة إيجابية باتت تسرى فى جسدها وتكاد تغمر روحها......، حتى أنها ودت أن تختفى عن الحضور الآنى بكل ما فيه من موجودات، وأن تغيب مع مارك فى قبلة طويلة، ولكنها لم تفعل!!!.

obeikan.com

(٥) مدحت...جوانا

رغم التحفظ الإنجليزى المعتاد، فإنك لو صادقت أحدهم فلسوف تكتشف أن صداقاتهم متميزة فعلا.. تلك هى النصيحة التى يتلقاها أغلب الزائرين للمملكة المتحدة...، وهذا ما جعل مدحت يمد أحبال الصبر طويلا من أجل الفوز بصداقة جوانا.، حتى وإن كانت له أغراض أخرى لم يتسن له بعد النكوص عنها.

تعددت لقاءاتها وتنوعت...، مما أتاح لهما فرصة العروج إلى الحياة الخاصة لكليهما.. فى الواقع، فأن مدحت بشكواه خلال اللقاء الاخير كان يمهد الطريق لذلك.فالإنسان إذا ما أخفض سدود خصوصيته، فإنه تلقائيا يجبر الآخر على أن يفعل ذات الشئ ولو بمقدار أقل.

- "تبدو اليوم فى مزاج طيب يا مدحت... لم تكن بحالة جيدة المرة السابقة"..

-"نعم يا جوانا... تعلمين أنه فى كل يوم تكتسب لندن فى قلبى مساحة جديدة.. أنها مدينة رائعة".

-"ليس تماما يا مدحت.. الزائرون فقط هم الذين يرونها مثل ذلك....، لندن مدينة قاسية.. ظروف العمل بها لا تترك لك مساحة خاصة...، لا يمكنك الإ أن تتطبع بطباعها وتعدو فى شوارعها... أنا بطبعى أحب المدن الأكثر هدوءا. هناك الناس أكثر طيبة. هل تعرف يا مدحت أن عزت بيوجفيتش... الرئيس البوسنى السابق قد ألف كتابا عن العلاقة بين الإسلام والغرب، أشار فيه إلى أنه كلما إتسعت المدن كلما قل منسوب التدين بها، وكلما صغرت كلما إرتفع عدد المتدنيين وتحسنت الإخلاق العامة"!!.

-"ملاحظة غريبة لم تطرأ لى على بال.... جوانا... إسمحى لى أن أسألك عن حياتك... أرجو ألا يكون ذلك تطفلا. فلقد شعرت براحة وأنا أحكى لك عن تفاصيل حياتى الشخصيــــة وأزمتى مع زوجتى (كان يكذب مجددا).

-"فى الواقع يا مدحت...لا أحب الحديث فى مثل تلك الأمور...، ولكن كأصدقاء أقول لك إننى منفصلة عن زوجى منذ سنوات، وليس لنا أطفال. إنفصلنا فى هدوء وبلا مشاكل وبعد أن أقام لى حفلا للتكريم دعينا فيه أصدقاءنا وأحبابنا. الطلاق ساعدنى كثيرا على البدء فى دراستى التى حكيت لك عنها"!!

كان وقع كلماتها إيجابيا على مدحت....، إذ قدر أن الإنفصال يعنى أن هناك إحتياجا للجنس.. قد يمكن إستغلاله مستقبلا....

-"جوانا... هل فعلا لا تعتقدين فى وجود آله؟.... أنا لا أصدق أن سيدة مثلك بكل ثقافتها تسأل مثل هذا السؤال"!!

-"اسمع يا مدحت... أنا أبحث عن المتشابهات بين الأديان القائمة...،وفى سبيل ذلك أبحث عن الله... ربما يكون كلامى غريبا ولكنه منطقيا. مفهوم القوة المسيطرة على الكون قائم لدى... ولكنى لا إتفق مع كثير من الروايات الدينية بشأنه...، فى الديانة اليهودية مثلا.. يضعون الذات الالهية موضع صراع بشرى، وفى الديانة المسيحية يقولون إن المسيح اله...، وأنتم لديكم مفهوم مختلف بالتبعية... من حيث المبدأ، أنا لا أرتاح للدوجمة الفكرية التى يخلعها كل دين على أتباعه.. بأنهم وحدهم على الطريق الصحيح....

-"جوانا... الله لدينا... لم يلد ولم يولد.. وليس له من تشبيه."..

-"أعلم ذلك...ولكن أريد أن أصل إلى سر خلافات البشر وتصارعهم الدينى... هل تعلم يا مدحت أن بعض الدراسات أكدت أن نحو 200 مليون شخص قتلوا خلال القرن العشرين بسبب عمليات تطهير عرقى فى مناحى شتى من العالم، وأن الدين كان المحرك الرئيسى لتلك المذابح!!... هناك أشياء لا أفهمها يا مدحت...، وأعذرنى.... لماذا مع وجود اله... يتوفى أطفال صغار...، أو يفقدون اباءهم وامهاتهم.؟؟.. لماذا يصاب كثيرون بالمرض؟؟... لماذا لا نرى عدالته أمام مجرمى الحروب؟؟.... هل تعلم يا مدحت أن كونى بريطانية يصيبنى بالخجل ويثقل ضميرى أحيانا؟!!....

-" لماذا يا جوانا.؟؟.. الكل يتطلع للحصول على الجنسية البريطانية للحصول على مزاياها"!!

- "هؤلاء لا أتفهم منطقهم ولكنى أعذرهم.. فأغلبهم جاءوا من بلاد متخلفة أو غير مستقرة ويبحثون عن الإطمئنان فى بريطانيا. نعم لدينا نظام تأمين صحى جيد، وخدمات ومعاشات، ونظم مواصلات الخ... ولكن كاهلنا مثقل كبريطانيين بمصائب شتى!. كلها تجلب العار لأى شخص لديه بعض الضمير!. إنظر الى خريطة العالم...، حيثما وجدت الإمبراطورية البريطانية سابقا.. ستجد المشكلات والحروب والنزاعات التى بذرنا بذرتها، فمازالت تنفث حقدا وعنفا...، حتى تاريخنا

الحديث مازال مليئا بدواعى الخجل! لماذا إندفع رئيس الوزراء بلير... الذى يسمونه هنا بالكاذب.. مع بوش فى حرب على العراق؟!... لماذا تورطنا فى قتل مئات الآلاف من البشر؟!!.. لماذا سكتنا عندما إستخدمت الولايات المتحدة اليورانيوم المخصب لضرب بعض مناطق العراق؟... الالاف بل عشرات الآلاف هناك من المشوهين...، جرائم بشعة ضد الإنسانية...، هل أخبرتك من قبل أن اخى شارك فى حرب العراق..، وأنه أصيب بمرض غير محدد المعالم يجعله دائما غير قادر على بذل أى جهد وينام أغلب الوقت....وأن الأمر أستغرق سنوات حتى علمنا أنه مصاب بتلوث إشعاعى من هذا اليورانيوم المنضب...، ولكن الحكومة البريطانية الحقيرة مثل الأمريكية تماما تتكتم على الأمر!...

- "جميل حقا أن يكون لديك تلك النزعة الإنسانية التى.....

- (مقاطعة) :" ليست نزعة انسانية... هذا هو الحد الأدنى لكى يكون المرء إنسانا".

-"الساسة دائما ما تتلوث أيديهم بالدماء...، الشعر الإنجليزى فى مرحلة الجمهورية التى أزاحتها الملكية مرة اخرى عالج قضايا الصراع.. أنا أعلم ذلك بحكم الدراسة!!

إلتقط مدحت انفاسه....وبدأ فى تجميع شتات عقله مجددا.

- إسمعى يا جوانا مفهوم العدالة الالهية واسع جدا..، ويصعب إستيعابه. هناك بعض أوجه العدالة الآلهية نراها فى حياتنا. هذا طبيعى...، ممكن من قتل يقتل... أو من سرق يسرق... وممكن أن تؤجل العاقبة إلى يوم الحساب أوهكذا أعتقد. إن يوم الحساب وحده هو الذى يخلو من الظلم الإنسانى....، ولا مجال فيه للفرار من العقاب...، وليس من الضرورة أن نجد العقاب آنيا فى الدنيا.. من فعل كذا... فلابد أن يحدث له كذا....، والإ سنكون فى مباراة ميكانيكية لا منطق أو إمتاع بها.. بل هى الحياة..، نفعل بها أشياء جيدة وأخرى سيئة....، جيدة أملا فى المكافاة الدنيوية أو الأخروية.., أما السيئة فنحن نفعلها أملا فى الإفلات من العقاب. يعنى هذا مجرد مثال... لو كان العقاب حتميا فى الدنيا لما أخطأ أحد.!!، ولو تحولنا جميعا إلى ملائكة تسير على الأرض وهذا مستحيل.!

-(بعد برهة تبسمت قائلة) منطق معقول وجميل يا مدحت....، هكذا تعتقدون أنتم المسلمون فى ديمومة العدالة الالهية أما فى الأرض أو السماء.. مفهوم معقول...، وإن كان لا يروق لى بصورة كلية...، لأنه يمنح الظالم أو المخطئ.. فرصة الإستمتاع بالخطأ الذى ارتكبه....، وكذلك... إغراء آخرين بأن يحذوا حذوه!!

-"تماما يا جوانا...هذا ما أردت أن أوضحه لك. يجب أن نعبد الله مختارين لا مجبرين....،حبا وخوفا وليس خوفا فقط،... إن الظلم فى الدنيا هو جزء من حقائق الحياة. لست متبحرا فى الدين.. ولكنى أظن أن هناك ما يشير إلى أن التدافع بين البشر هو سر ديمومة الحياة. هذة هى الحقيقة".

obeikan.com

-"هناك نظرية شهيرة فى العلوم السياسية تسمى "الواقعية"، وهى تسير فى ذات المنحى من حيث وصف لناس بأنهم بطبعهم سيئين لا يمكن الوثوق بهم، ويسعون للسلطة والسيطرة. ولكن تلك النظرية تعرضت لمنافسة حادة من مؤيدى النظرية (الليبرالية) التى تؤكد أن العكس صحيح تماما وأن الناس يمكن الوثوق بهم والتعاون فيما بينهم.. وأن الحروب تقع لأن النظام الدولى غير منظم أو مستقر أو عادل.".

-"لا أعلم كثيرا عن العلوم السياسية.كل ما أعيه أن الصراع هو خصلة بشرية منذ القدم لأسباب مختلفة، إنسانية أو إقتصادية أو سياسية أو غيرها، فحتى عندما كانت البشرية ثلاثة أشخاص قتل أحدهما الآخر بدافع الحقد والحسد".

- "ما علينا. ولماذا يسمح الله او الآلهة أو القوى المسيطرة على العالم بحدوث مثل تلك المصائب والكوارث الانسانية مثل الفيضانات، والزلازل، والبراكين. لماذا يخلقنا ثم يتركنا نعانى مثلا؟!!.هذا شئ غير مفهوم".

-"عزيزتى.هذة جزء من حياتنا...، لا أريد أن أبدو فى عينيك قديسا...، ولكن ما أعرفه أن الله خلق الموت وخلق الحياة. ومن الطبيعى أن تكون هناك أسباب للموت.. لا يمكن أن نتخيل البشرية بلا موت!! تخيلى مثلا.. كيف ستكون حالة والدة جدتك لو كانت على قيد الحياة حتى الآن؟!. كانت ستكون عبئا صحيا ونفسيا وجسديا على الجميع، لذلك، فنحن فى وجود مؤقت ولسنا فى ديمومة لا تنتهى. هكذا أعتقد أن مثل تلك الأحداث هى التى تقلل من غلواء الإنسان وإعتداده بمنجزاته العلمية.. فنجد أن اكثر الدول تقدما مثل اليابان لا تستطيع أن تمنع زلزالا أو أن تتنبأ به...، أو أن تسونامى مثلما حدث فى آسيا مؤخرا يحرك الأرض هناك من موقعها بمسافة مقدرة. هذة دلائل وجود آله.. وليس أدلة على نفى قدرته. الموت لنا رحمة أحيانا...، المرض لنا ضرورة أحيانا.. والشقاء لنا... ضريبة حياتية ندفعها أحيانا، والإ فسنكون عائشين رائحين غائدين فى جنه أرضية، وهو ما يتنافى مع فكرة وحتمية وجود جنة علوية...، أى يدحض فكرة الحساب والعقاب تماما، وينفى بذلك وجود منطق حاكم للكون، بل ينفى فكرة وجود آله ذاتها!!...

- ابتسمت جوانا... وبدا عليها التفكير، ثم قالت "لا أستطيع أن أعلق الآن على هذا المنطق... إننى فقط بحاجة إلى بعض الوقت لتدبره"!!

شعر مدحت أنه تمكن بالفعل من إحراز عدة نقاط متقدمة فى المناقشة الفكرية مع جوانا...،فإرتفعت معنوياته كثيرا، خاصة عندما لمح فى عينى جوانا لمحة شك متصاعدة، فالشك أولى مراحل إكتساب المعرفة...!!

(٦) سلوى مفيد...

لم يمض سوى قليل من الوقت حتى إستطاعت سلوى - بقلبها الأشبه بنصل السكين فى حدته - أن تحسم أمرها بين الرجلين (القنصل.. وأياد). حدثتها نفسها بأحاديث متضاربة.. ولكنها كلها أفضت إلى ذات النتيجة :

-" أولا محمد لم يتكلم حتى الأن...، صحيح أن علاقتنا تعدت مرحلة الصداقة العادية وصرنا نتقابل بوتيرة متزايدة، ربما فعلا بأكثر مما ينبغى أو أن تسمح به ظروف صداقة طبيعية بين رجل وأمرأة. وصحيح أننى أشعر أنه إتخذ بالفعل القرار وعلى وشك أن يتكلم معى بشأن الإرتباط قريبا. ولكن طالما لم يتكلم حتى الآن عارضا الزواج بشكل واضح فلا يجب أن أفكر به أساسا. إننى لو فعلت ذلك فسأكون صريعة لإحتمالات أو تخيلات قد تصيب أو تخطئ!! هو فعلا شخصية جيدة ولا أرى فيه عيبا سوى الجدية الزائدة. لعل تلك الجدية من سمات الوظيفة أو متطلباتها التى تستوجب الظهور بصورة معينة...، ففى كلامه، يتحدث وكأنه يلقى محاضرة ويريد أن يلقن مستمعيه نقاطا معينة، ويخلص منها إلى إستنتاجات أو سيناريوهات متوقعة، كأنه يكتب تقريرا سياسيا!. المهنة بهتت عليه، كذلك جاد فى ملابسه،. فى مشيته...، حتى فى طريقة الهزار!. يعنى شئ لا يطاق ".!

هكذا واصلت سلوى إقناع نفسها بأهمية التخلى عن خيار القنصل :

-"كذلك هو فى الخارجية...، يعنى يوم فى لندن،، ويوم فى الخرطوم،. ويوم مش عارفة فين...، يعنى حياة لا يوجد بها إستقرار أو طمأنينة!!... أتذكر كلماته أنه...، يا حرام،. دفع ثمنا غاليا للقدوم للندن تمثل فى العمل من قبل فى مناطق الخدمة الشاقة والخطرة،..... يعنى "مش مسنود ولا حاجة..".! يعنى بعد لندن، ممكن جدا أن يطيحوا به...، ممكن يرسلونه إلى سفارتنا فى تل أبيب. هل أنا مستعدة للعيش فى تل أبيب أو "الشحططة" معه؟.... لماذا؟.. ومن أجل ماذا؟...

طالما لا يوجد " علاقة عاطفية " بيننا... فلماذا أربط نفسى به؟!!.. أنا على أن اختار من بين أحسن المتقدمين أو المتاحين لى. لست مستعدة أن أترك أهلى، وأعيش شريدة فى كل بقاع العالم. ثم لماذا أضحى بمستقبلى فى التدريس الجامعى لو حصلت على الدكتوراة؟... هو كويس صحيح...، ولكن بالتأكيد أن " أياد " أحسن منه عشر مرات على الأقل...!!

تواصل الصراع العقلى بداخلها - بعد تغييب أى دور للقلب أو العشرة بينهما - فالبشائر تكاد تحسم النهايات!.

-" أياد "... هو يعتبر فلسطينى ومصرى...، من حيث أنه عاش فى مصر طفولته.. جميل وطويل ووسيم،...غنى....عنده شقة فى إيريز كورت.، وشقة فى كوينز واى...، يعمل فى وظيفة مرموقة دائمة فى لندن...، يعنى لا توجد فيها شحططة سفر ولا يحزنون....، ثم أنه فعلا شاب عصرى، فى ملابسه و حديثه. لا يتسم بتلك الجدية الكئيبة مثل آخرين... أهلى لن يعترضوا لو تقدم لى...، سيقولون بالطبع أنهم يفضلون أن يكون زوجى مصريا....، سأقول لهم أنه " بريطانى "..

وما أدراك ما الجنسية البريطانية؟!!.... يكفى أننى سأحصل بعد سنوات خمس من الزواج على الجنسية البريطانية، وأولادى... يكفى أننا لن نذل فى الوقوف فى طوابير أمام السفارات للحصول على تأشيرات زيارة...، فحاملو الجواز البريطانى يسافرون أغلب دول العالم دون تأشيرة. حتى فى البلاد التى تستوجب زيارتها الحصول على تأشيرة، فإن المعاملة ستكون مختلفة بالقطع، إذ ينظر إليهم كأنهم مواطنى العالم الأول، وليس مثلنا نحن المصريين من مواطنى العالم الثالث... هذا جانب واحد.، فضلا عن فرص العمل فى لندن...!! ياربى دى مغارة على بابا نفسها"!!

تنفيذا ذلك....، بدأت سلوى فى تنفيذ خطة الإنسحاب التدريجى من دائرة حياة القنصل محمد، توطئة للولوج بقوة فى دائرة " أياد ". يتصل بها مرة أو مرتين، فلا ترد إلا بعد عدة أيام بما يفيد أنها كانت مشغولة فى إعداد جزء من الدراسة وأنها تعتذر!... يستشرها فى أمور الدراسة، فتجيب بعيدة وإقتضاب! يدعوها للغذاء مثلما إعتادا، فتتمنع بحجة ضغوط الدراسة!! شيئا فشيئا.، تمكنت من خفض مستوى العلاقة بشكل كبير، وصارت مكالماتهما متباعدة.، بل وتسللت كلمات وعبارات إلى حديثهما.، مثل " حضرتك "...، أو" طبعا طول عمرى لن أنسى كيف ساعدتنى بمجرد وصولى "...، "والصداقة اللى بيننا لابد أن تستمر حتى بعد ما يتزوج كل منا"... الخ.

هكذا أوصلت رسالتها... التى إستوعبها الرجل بقدر من الدهشة -، فلم تكن الصورة كاملة فى مخيلته عن أسباب هذا التغيير الذى وأد علاقة كان يحسبها بالغة مداها بلا جدال. وبكبريائه المعتاد.، قابل الفتور بالفتور.، مثلما قابل الإهتمام بالإهتمام من قبل.....، فهو يؤمن بأهمية توازن

أى علاقة إنسانية، والإ فإن فقدانها أفضل!!

فى ذات الوقت... بدأت سلوى فى تكثيف جهودها مع " أياد"... ووجدته مثلما قدرت شخصية جميلة وجذابة فى نفس الوقت... يمتلك أسلوب آسر فى الحديث مثل هذا الذى تفتتن به النساء... ومثلما حدث آنفا... أخذت سلوى تبحث عن قواسم مشتركة مع أياد...،وجدتها فى عشقه للأدب وإجادته لرياضة التنس...، وإن كان لم يتسن لها أن تستحوذ على ذات الموجة العقلية التى كانت تستشعرها مع القنصل عند النقاش السياسى والفكرى معه. حقا، فإن لكل شئ عيوبه ومحاسنه...، ولابد أن تتجاوز كثيرا عن بعض المنغصات كى تنعم بما هو آت.!!

obeikan.com

لقاء ادجوارد رود الشهرى

بمرور الوقت وتعاقب اللقاءات، تراجع المكون الحكومى فى اللقاء (القنصل والملحق الثقافى) تدريجيا حتى إنحسر تماما. السبب أن القنصل بات يستشعر حرجا من المناقشات وطبيعتها وتناولها للنظام السياسى، ليس عن تعاطف بل بسبب حرصه على ألا يسبب وجوده - بحكم الوظيفة - ضيقا للأخرين، فضلا على أنه كان قد أدرك تغيير مساحة وأفق العلاقة مع سلوى مفيد.. أما الملحق الثقافى، فقد إنشغل بإعداد نفسه لمغادرة لندن بعد إنقضاء فترة عمله بالبعثة، وكذلك قرب الإستعدادات لإمتحانات " أبناؤنا فى الخارج " إلا أنه كان يعاود الظهور من وقت لآخر. لعل المشاركين استشعروا راحة بأن باتوا على سجيتهم أكثر.

خلال اللقاء.. بدأ الكلام كالمعتاد فى موضوعات عامة متناثرة.. تطوعت نادية بالاشادة بالغائبين الاثنين، وهو ما لاقى قبولا ودعما بدرجات متفاوتة. وشيئا فشيئا...، وكأنهم باتوا مدربين بحكم العادة.، أو كأنهم يؤدون عملا مسرحيا بشكل جماعى.، دارت عجلة المناقشات.

مدحت : الرئيس مبارك.، أطال الله بقاءه...، هو اللى خرب بيتنا... النظام الحاكم لا يعرف كيف يعيش الناس فى بر مصر.

سلوى: ما هم عملوا برنامج الألف قرية.، شئ من هذا القبيل.، من أجل القرى الأشد فقرا..

مدحت: قلبك أبيض يا سلوى... هذا برنامج دعائى للنجل الوريث بعد عمر طويل...

لم ترق السخرية لسلوى.، فأرادت أن ترد بدفعات كلامية مناهضة، لترد على السخرية بمثلها!!

سلوى : "ما هو المشكلة يا دكتور مدحت أن كثيرا من المثقفين باتوا يعلقون كل مشاكل مصر - مثلما يفعل إبراهيم عيسى فى مقالاته بالدستور - على الرئيس مبارك. هو وحده المسئول عن كل ما نعانيه.. وكل ما حاق بنا... آسفة جدا...، هذا أسلوب غير علمى و لا يليق بالمثقفين"!!

محمود..(متداخلا لتلطيف حدة الأجواء) :... شوفوا يا جماعة.، فى الدول المتخلفة زى بلدنا..

لابد أن نعترف أن الرئيس هو المسئول عن كل شئ...، مجلس الوزراء ورئيس مجلس الوزراء.. وكل ما دونهم هم عبارة عن سكرتارية للرئيس...، وبالتالى لا يمكن أن نعفيه من المسئولية أو نقول أن أحدا مسئول بجانبه!. ثم أليس ما ذكرتيه يا سلوى يناقض كلامك السابق عن الديمقراطية والتى يجب أن تعطى كاملة، وأن منظرنا صار مؤسفا أمام دول العالم؟!!

سلوى: "لا يا دكتور محمود.. ليس متناقضا ولا شئ من هذا القبيل.. عندما أقر أن هناك قصورا فى الديمقراطية، فأنا أسجل واقعا أختلف به مع النظام السياسى.. ولكنى أرفض أن أعلق كل شئ على شخص الرئيس وديمقراطيته المنقوصة!!.. يعنى لابد من شئ من الموضوعية.. صحيح كان من الافضل والأنسب أن نتطور ديمقراطيا بمعدلات أسرع، ولكن هذا شئ.. وأن نحول الرئيس إلى هدف لرمى الجمرات السياسية، أسوة بما يحدث فى الحج، شئ أخر"..

نادية : "يمكن لو كنا بجد.. بلد مؤسسات..، يعنى مثلا عندنا حكومة منتخبة بجد..، برلمان منتخب بجد، أحزاب..، يمكن كان يحق لنا ساعتها أن نقول أن هناك من أخفق وهناك من أنجز".

سها: "يعنى يا جماعة.. أنا شايفة أن كلام سلوى معقول..، صحيح أن الرئيس فى مصر هو المسئول عن كل شئ...، ولكن هذا لا يعنى تبرير الإهمال والتقصير من قبل الآخرين، يعنى مثلا الرئيس سيمنع أحدا من أن يقوم بمشروع قومى مهم..، محو الامية..، مكافحة الفقر..، شئ من هذا القبيل. طبعا لا، يمكن بحكم الثقافة الفرعونية المتخلفة..، كل مسئول يود أن يرجع للرئيس فى كل كبيرة وصغيرة..."!!

أحمد: "على رأيك يا سها...، ساعات أتعاطف مع هذا الرجل..،وساعات أشعر بحنق بالغ عليه ..."

مدحت : "ولا مؤاخذة... يا دكتور أحمد..، تتعاطف معه بمناسبة إيه؟!!.. ده الرجل سايب البلد " تضرب.. تقلب.. ويستجم فى شرم الشيخ... واسم النبى حارسه " جيمى " هو الرئيس الفعلى للبلد وهو الذى يوجه الوزراء"...

محمود : "صحيح يا دكتور مدحت وضع مخز.. ما هى صلاحيات " جمال " الدستورية حتى يحكم ويوجه ويسير الوزراء خلفه بهذا الشكل... ليس هذا فحسب، بل هم يريدون أن يشكلوا له قاعدة شعبية شبابية له..، من ناحية لضرب المكون الشبابى للإخوان والجماعات.. ومن ناحية ثانية حتى يكونوا بمثابة رأس حربة له فى حملته للرئاسة بعد عمر طويل ان شاء الله (يضحك الجميع)...

سلوى: "يا جماعة... هل هناك شئ مؤكد بالنسبة لترشيح جمال للرئاسة.؟. الرئيس نفسه أكد أن مصر ليست سوريا وأنه لن يتم توريث الحكم، ثم ماذا يضيركم فى أنه يقضى وقتا فى شرم

الشيخ.. الرجل فى سن الثمانين، وقاسى كثيرا من أجلنا. إنتهى عهد الرؤساء المكتبيين.. الرئيس يستطيع أن يضع نظاما للحكم ويتابعه من أى مكان...!! الرجل له تاريخ مهما كانت سوءاته".!

مدحت : يا سلوى... " اللى ميشوفش من الغربال يبقى أعمى"..، هو " بسلامته " أيضا قال أنه لا نية ولا رغبة لديه فى الترشح للرئاسة..، واخدة بالك من الصياغة فى الصياغة..، لا " نية " ولا " رغبة ". ولكن لو الجماهير طالبت بذلك فسيضطر تحت ضغط إلحالها إلى التنازل والقبول برئاسة مصر! يا سلوى عاوزة دلائل أكثر من كده ايه...، هو يظهر فى الصحف والتلفزيون ربما أكثر مما يظهر مبارك نفسه..، مشروعات تلميع إعلامية دعائية زى ما ذكرتيه بشأن برنامج القرى الأشد فقرا وتنمية العشوائيات وغيرها...!! تزوير إنتخابات وماشيه زى الفل..، تعديل دستورى يجعله المرشح الاكثر إحتمالا، والأوفر حظا .! عاوزة أكثر من كده إيه.. يعنى إستغفال رسمى للشعب.."!!

سلوى ".. (وقد بدا عليها الإحتقان من سخرية مدحت المتواصلة)..." يا سبحان الله.. يعنى لا كده عاجب ولا كده عاجب...، بلاش يعنى يعمل مشروعات تنموية مثل القرى الأشد فقرا...، وبعدين هو ذنبه أنه إبن الرئيس...، هو مواطن وله حق الترشيح..، وكل ما ذكرته يا سيادة الدكتور.. هناك كلام عليه"...!!

مدحت : "كلام إيه يا دكتورة...، معذرة أنا لست متبحرا مثلك فى العلوم السياسية ونظم الحكم..، ولكن ربنا أعطانا عقلا نميز به الغث من السمين"...!!

سلوى : "يا دكتور التعديل الدستوى هذا يستهدف تطوير نظام إنتخابات رئاسة الجمهورية..، أما بالنسبة للدعاية التلفزيونية..، نعم صحيح هو إبن الرئيس،ولكنه أيضا قيادة حزبية نشطة -أمين سياسات الحزب الوطنى الحاكم -، ثم يا دكتور مدحت.. إسمح لى...، إسمحوا لى يا جماعة.. ماذا يعيب الرجل... هو متعلم جيدا، وعمل بالخارج...، أى منفتح على العالم...، ولديه إتصالات واسعة بحكم أنه إبن الرئيس... ماذا يعيبه؟؟ ما هو الضرر أن يأتى جمال رئيسا لمصر؟!!.. ليكون هذا كوبرى أو لنكن أكثر صراحة...، ليكون " ثمنا " تدفعه مصر للانتقال من الحكم العسكرى إلى الحكم المدنى الديمقراطى"!!

محمود: "سلوى... تعرفين بالطبع إنى أحترمك على المستوى الشخصى..، وأحترم بالتبعية اراءك.. بس بجد...بجد يعنى..، هل أنت مقتنعة بما تقولين..، ام أنك تلعبين لعبة " محامى الشيطان "... معنا!!، الكلام يتناقض جملة وتفصيلا مع منطقك بشأن الديمقراطية "!!

-سلوى (وقد إستولت عليها الدهشة من رد فعل محمود.. وهو بطبعه شخص شديد التهذيب لا يجرح أحدا ولا يلقى بالكلام على عواهنه مثل مدحت وسها)... ايوة يا دكتور محمود أنا مقتنعة

أن هناك ثمنا لابد أن تدفعه مصر، لإنهاء حكم المؤسسة العسكرية..، وحتى إن بدا كلامى به شئ من التناقض عما قلته من قبل، فليس عيبا أن يطور الإنسان من أرائه إن وجدها غير مناسبة.. هذا أفضل من الجمود الفكرى وترديد أكليشيهات صحف المعارضة".

أحمد(متداخلا لمنع إستمرار التراشق الكلامى) "ولماذا يا سلوى يكون هذا الثمن.. هو توريث مصر... وكاننا عزبة أو قطيع من الأنعام؟.."!!

محمود: (متلاطفا بنبرة هادئة)."يا سلوى... لا يوجد فى أى نظام جمهورى فى الدنيا مثل هذا الهراء الذى يحدث فى مصر.".

سلوى: "كيف؟.. ألم يأت بوش الأبن بعد بوش الأب"..؟!.

سها: "لا يا سلوى...، انت أدرى..، هذا نظام إنتخابى ديمقراطى راسخ.. لا يجب أن نقارن أنفسنا به.. لا يجب أن نقارن البرتقال والتفاح.. (قالتها بالإنجليزية)".!!.

نادية : "شوفوا يا جماعة..، بصراحة كده..، أنا شايفة أن حكم العسكريين منذ ثورة يوليو حتى الآن.. هو سبب نكبة مصر...، وضع العسكريين فى كل المناصب المدنية مصيبة... شوية شوية.. كانوا سيدعوهم يدرسون الطب"...!!

افتعل الجميع الضحكات..، لتخفيف حدة التوتر الذى بات يخيم على المناقشات ويهدد بتكرار غضبة مدحت من سها التى ما فتئت ماثلة فى الأذهان!!

سلوى : :"تماما يا سها..، لا يجب أن نقارن بين البرتقال والتفاح.أنا استند فى رؤيتى إلى هذا المنطق. نعم ليس عيبا من أن يطور الإنسان رؤيته يا دكتور محمود... نعم.. جمال يمكن أن يكون إنتقالا سلسا من الحكم العسكرى إلى الحكم المدنى الديمقراطى..، يعنى إنهاء " عسكرة المجتمع".. وتحقيق سيطرة السلطات المدنية المنتخبة على القوات المسلحة...، هذة بديهيات فى أى ديمقراطية...، منصب وزير الدفاع فى أغلب الدول الأوروبية بات منصبا سياسيا..، لا يستوجب أن يشغله عسكريا. العسكريون يطيعون أوامر ممثلى الشعب المنتخبين.. وكفى"...!!

مدحت :.. "ولا مؤاخذة يا دكتورة... كيف يكون جمال ثمنا للديمقراطية؟... والده أمضى قرابة ثلاثين عاما فى الحكم..، يعنى من أيام لما كنت أنا فى الإبتدائية أو أولى إعدادى..، مش فاكر.. نقوم نجيب إبنه من بعده ليمكث هو الآخر ثلاثين عاما أخرى. والله نصبح شعبا يستحق ما هو فيه"..

محمود:.." من أعمالكم سلط عليكم يا دكتور... وكيفما تكونوا يولى عليكم"!!

نادية : "والله معاك حق يا محمود..، ساعات بأشعر أن ما نحن فيه هو فقط ما نستحقه.. لو قصيت عليكم حكاوى توريث أساتذة الطب المناصب لأبنائهم بشكل فج لما صدقتمونى..، خلاص

obeikan.com

الناس فقدت حتى حاسة الخجل!. أنا ترتيبى على القسم رقم تسعة... الثمانية الاوائل كلهم أبناء أساتذة... من أجل هذا جئت إلى هنا لا أستطيع أن أتحمل " الإختناق " التام فى مصر "...

أحمد : "يا سلوى، ما يحدث هو خيانة للقسم على الحفاظ على النظام الجمهورى للبلاد..، لو كان بالفعل لرجل حريصا على ما تقوليه، أى الإنتقال لحكم ديمقراطى... أقصد حكم ديمقراطى حقيقى - وليس مثل تمثيلية الإنتخابات الرئاسية السمجة الأخيرة..، كان يمكن أن يطلع للناس يقول..، والله أنا أديت دورى..، وكبرت فى السن...، وصحتى ما عادت تحتمل... وأترك المجال لشخص أخر من أبناء مصر...، عبر إنتخابات حرة نزيهة...، ساعتها لا توجد أى قوة تستطيع أن تمنع ذلك، خاصة أن الرئيس..، القيادة التاريخية..، صاحب الحكمة هو الذى سيشرف على الإنتخابات الجديدة"!!.

محمود : "ما يفعله.. هو ترك الأمور على عواهنها...، لتضرب الناس أخماسا فى أسداس..، ولا أحد يستطيع أن يتنبأ بأى شئ...،وهذا ليس عدلا ولا ديمقراطية...، ثم ما هو مفهومك يا سلوى عن الحكم ا عسكرى"....؟

سلوى : "الحكم العسكرى هو ما تراه يا دكتور..، إستبدال الكفاءات المدنية بالعسكرية لشراء الولاءات...، نظام يوليو كله أخطأ تلك الخطيئة، والنتيجة ما وصلنا إليه"..!.

مدحت : "للأمانة يا جماعة..، ما أوصلنا إلى ما نحن فيه، ليس فقط حكم العسكريين.. بل أيضا حكم أساتذة الجامعات..أنا صحيح استاذ جامعة (قالها بفخر)، ولكنى أقر أن هؤلاء حكموا مصر بمفاهيم نظرية..، ولم يستطيعوا أن يطوعوا علمهم إلى ما يخدم البيئة المصرية"...

محمود : "ملاحظة جميلة وقيمة يا دكتور مدحت...، ولكن يا سلوى.. حكم العسكريين هذا الذى تقولينه يمكن أن يكون فى دول أمريكا اللاتينية أو أفريقيا حيث الإنقلابات العسكرية.. احنا فى مصر لا نوجد لدينا إنقلابات عسكرية...، يعنى ممكن نعتبر أن انقلاب 1952 تحول إلى ثورة بفعل النتائج السياسية والإقتصادية والإجتماعية المترتبة عنه...، يضاف إلى ذلك أن مبارك نفسه قلص دور الجيش تماما فى الحكم...، على الأقل هذا ما يتراءى لى فى العشرة أعوام الأخيرة"....

سها : "صحيح يا محمود...، مبارك قلص دور الجيش فى السياسة.. بل وعمل مراكز قوى جديدة فى المجتمع. ، يعنى وزارة الداخلية..، رجال الأعمال..،الحزب الوطنى..،الميديا... وغيرهم"...

محمود: "شوفوا يا جماعة... الحق يقال إن النظام السياسى فى مصر..، شئنا أم أبينا...، يرتكز على تحالف النظام السياسى مع الجيش!. يعنى الجيش هو قاعدة أى نظام سياسى يحكم مصر... هذا هو الوضع منذ ثورة يوليو..، وحتى تاريخيا...، جيش مصر.. ليس جيشا عاديا.. بل هو إختصار

obeikan.com

وتلخيص لكل ما فى مصر.. من حيث إعتماده على تجنيد الشباب. أنا لم أدخل الجيش.. لأنى وحيد.. ولكنى أعرف من زملائى أن الجيش هو بوتقة صهر لكل المصريين بطول البلاد وعرضها"...

سها: "على كده يا محمود... اللى بيحصل ده خيانة للمعادلة الحاكمة... يعنى لما مبارك يرفع مؤسسات أخرى فى الدولة ويزيد نفوذها خصما من النفوذ التقليدى للجيش... يعنى كده بيرتب لوضع جديد يا سلوى... يبقى كده ما فيش غير التوريث"...!!

سلوى: "يا سها... هل هناك ضرورة لافتراض سوء الظن دوما؟... مبارك لو ترك المعادلة الحاكمة زى ما الدكتور محمود بيقول... يبقى كده مصر حكمها عسكرى ولن تتطور مطلقا إلى الحكم المدنى الديمقراطى.؟؟. ولو حاول أنه يعيد توزيع خريطة القوى السياسية... مرة أخرى.. يصبح يمهد للتوريث.؟..يعنى يعمل ايه بالضبط من أجل أن يرضى الجميع؟.

نادية : "لكن هل الجيش فعلا سوف يرضى بالتوريث؟.. يعنى مثلا قادة الجيش سيأتمرون بأمر الرئيس المدنى الديمقراطى مثل جمال.؟.ساعات أجد نفسى أفكر مثل سلوى.. هناك ضرورة لتحمل تبعات فترة إنتقالية؟!"

أحمد: "فترة إنتقالية إيه بس يا نادية... مازلنا ننتظر من قرابة الثلاثة عقود..!! لو أضفنا العقود الثلاثة الأولى لثورة يوليو.. نصبح أسرى لواقع مجمد و فاشل منذ ستة عقود.. أى شعب فى العالم يستطيع أن يتحمل كل هذا الفشل"!!

محمود: "من أجل هذا أنا أرى حتمية حدوث شئ ما.... لا أعرف ما هو..ولكنى شبه موقن أن الحال لا يمكن أن يستمر على ما هو عليه... الناس فى مصر تعيش بالقصور الذاتى.. يعنى لا توجد دولة قوية.. لا يوجد حكم القانون... القهاوى فى القاهرة لا تحتل الأرصفة فقط.. بل والأسفلت أيضا.. " واللى مش عاجبه.. يضرب دماغه فى الحيط ".. يعنى تآكل الدولة... قناعتى أن أحد أسباب فشل التنمية هو الدولة الضعيفة الرخوة... أى مثل الحالة المصرية.. دولة لا تستطيع إنفاذ القانون حتى داخل العاصمة.. قلب العاصمة ذاته.. وتتخذ قرارات ولا تستطيع أن تنفذها... فكيف إذن يمكنها التنمية والتطوير "!!

مدحت: "يا دكتورة سلوى.. ممكن أعرف أنك متعاطفة مع مبارك ليه... بأمارة إيه.. أعطنى إنجازا واحدا له يبرر ذلك... وأرجوك لا تذكرى حكاوى البنية الأساسية والتليفونات والإنترنت.. هذة منجزات تحدث بحكم حركة مجتمع... يعنى مجتمع 80 مليون.. مستحيل ألا تسفر حركته عن تقدم ولو بسيط.!!... البنية الأساسية هى شغل مقاولين.. وليست شغل رئيس...!! شئ بديهى جدا.. ولا أقول لك أن البنية الأساسية التى يتباهون بها... والتليفونات التى أغنت رجال الأعمال

عن السفر إلى قبرص للتحادث هاتفيا..، " إلى آخر كل القصص التى تفقع دى ".، أقل بكثير من دول أخرى.. هل شاهدت الدول الخليجية؟؟... ستقولين هذة أموال النفط..، حسنا هل شاهدت دولا أخرى غير نفطية؟.. ذات مرة، ذهبت إلى تونس فى رحلة أكاديمية فى إطار الجامعة لمدة ثلاثة أيام فقط، فوجدت مستوى المعيشة مختلفا..، مستوى التعليم مختلفا...، مستوى بنية أساسية مختلفا... وحتى تلك البنية الأساسية..، وهى فرية لا أكثر ولا أقل فى تقديرى، لم تشمل مصر كلها..، إذهبى يا سلوى بنفسك إلى الصعيد وسوف ترين.!!.. طالب العلوم السياسية أو من يعمل فى هذا المجال لا يجب يا سلوى – وأنت ست العارفين – أن يعتمد على الكتب النظرية فقط..، بل يذهب بنفسه ويشوف ويرى...!!

إستفزت كلامته سلوى أكثر فأكثر... فأرادت أن تلقنه درسا..

سلوى :-" طبعا يا دكتور مدحت كلامك معقول.. لكن هل يا ترى لاحظت خلال زيارتك لتونس.. انهم يعيشون فى ظل نظام قمعى.؟..، نظام" بن على" لا يسمح لأى معارض أن يفتح فمه... دولة بوليسية قمعية لا مثيل لها...، على الأقل هنا حسنى مبارك.. يسمح بأن يسب هو وعائلته يوميا من قبل الكثيرين دون أن ينالهم شيئا؟... يجب أن نكون منصفين....ما لدينا من حرية رأى يفوق ما هو موجود فى المنطقة كلها...!! أما بالنسبة للبنية الأساسية...، حسنى مبارك تسلم البلد تقريبا على المحارة.. يعنى لا تليفونات ولا مياه ولا كهرباء ولا أى شئ..، فشئ طبيعى أن يتباهى نظامه بما تم.. على الأقل حاليا لدينا هيكل دولة متطورة...، معدل النمو كاد أن يصل الى 7 % وهذا إنجاز طيب"..

-نادية :" بجد يا سلوى أنا مش قادرة أفهم منطقك...، يعنى عاجبك الحياة الهباب التى نعيشها نحن فى مصر... بجد مش قادرة أصدق"!!

سلوى : "لا... يا نادية لا تعجبنى الحياة التى نعيشها...، ولكن ما أرفضه فقط هو التجنى على الرئيس وتحميله كل الوزر..، كأنه شماعة نعلق عليها أخطاءنا كلها...، يعنى حسنى مبارك هو الذى يقول لنا أن نرمى القمامة فى الشارع وفى أسطح المنازل...؟،... هل هو من يأمرنا بأن نتحرك بالسيارات مثل الهمج... بلا أى قواعد؟..، هل هو الذى يجبرنا على الكذب والغش والخداع فى التعاملات بيينا...، فى الواقع.. لو كانت لدينا مشكلة فى نظام الحكم... فأن لدينا مشكلة أكبر مع أنفسنا!! مع البشر الذين يقطنون قطعة الأرض المسماه بمصر!!

-فى تلك الأثناء وصل الدكتور جورج نسيم الملحق الثقافى بكرسيه المتحرك، ورغم أنه كان لا يود المشاركة إلا أن كلمات سلوى إستثارت مشاعره..فقال" أنا أتفق معك يا سلوى.. المشكلة ليست فى

نظام الحكم " فحسب "، بل البشر أيضا.. يعنى كما ترون شخصا بمثل ظروفى لا يستطيع أن يتحرك فى مصر بسبب صعوبات التنقل وعدم تمهيد الارصفة والطرقات.. وهذة أبسط الحقوق التى تتسق مع النزعة الانسانية للبشر.. هل حسنى مبارك هو الذى أوصى المصريين أن يكونوا قساه القلوب مع ما لا يقل عن ستة أو سبعة أو ثمانية ملايين من ذوى الاحتياجات الخاصة، وربما العدد أكبر من ذلك لأن مصر لا يوجد بها إحصائيات دقيقة؟!!!!..

صمت الجميع احتراما لمعاناته... فأكمل قائلا ".. عانيت الأمرين فى سبيل استخراج تصريح استيراد سيارة مجهزة بسبب موظفين يحكمهم التعنت وغلظة القلب..أحيانا كنت أذهب الى مجمع التحرير ويحملنى شخص على السلالم، بدلا من الصعود بالكرسى، وأعود مرارا وتكرارا بخفى حنين.. ولم يحل الأمر الإ بعد شهور وبفضل تمكنى من العثور على واسطة للحصول على التصريح.!! كنت أتساءل هل لا يرى هؤلاء الموظفون " الله " فى حالتى؟.. هل مبارك هو الذى المسئول ايضا عن ذلك؟؟.. كما ترون فأنا فى لندن أتحرك بأريحية تامة وبلا مساعدة من أحد لان المجتمع لديه الانسانية التى تجعله يراعى حقوق قطاع من أبنائه... نعم يا سلوى معك الحق لدينا مشكلة مع المجتمع مثلما لدينا مشكلة مع نظام الحكم... الكذب والسرقة وعدم احترام الكلمة من سماتنا.. هكذا يجب أن نعترف... انا قبطى ولكنى عندما أقول " ان شاء الله " مثل المسلمين، فأنا أعنى ما اقوله، ولكن " ان شاء الله " باتت لدينا معناها مجازا " ابقى قابلنى".!

احتار الجمع فى كيفية استئناف الحوار الذى تعرض لمنحى إنسانى يصعب تجاهله أو التعليق عليه.. فاراد أحمد أن يعرج بالحوار إلى مجال أخر، حتى لا يكون د.جورج نسيم محل إحراج...!!..

أحمد... تصور يا دكتور جورج.. سلوى كانت تقول أن مبارك له إنجازات... يا ترى ايه يا سلوى؟

سلوى (وقد استوعبت فحوى مراد كلمات أحمد) :" يعنى مثلا حسنى مبارك منع عن مصر شر الحروب.. لم يغامر مثلما فعل آخرون.. يعنى على حد ما قرأت الولايات المتحدة طلبت منه المشاركة فى غزو ليبيا فى منتصف الثمانينات.. أو حتى السماح بنزول قوات أمريكية فى الصحراء الغربية وهو رفض. بعد محاولة إغتيال أديس ابابا عام 1995.. حاولت بعض القوى فى مصر دفع الأمور إلى التصادم المسلح وهو رفض.. حافظ على السلام مع إسرائيل.. إستعاد طابا، إستعاد العلاقات العربية...، عمل بنية اساسية.. حتى وان كان البعض يتخذها كمثال للسخرية...، "!!... كمان سياساته فى حرب الخليج الأولى اسقطت كثير من الديون المدنية والعسكرية.....يعنى إستحالة يكون كل عهده سواد فى سواد.. مثلما تقدرون.

-محمود (بدأ يستشعر ثمة إحتقان فى صوت سلوى فأراد أن يخفف عنها)..." ربما يكون معك

يا سلوى بعض الحق...، يعنى إستحالة فعلا أن يكون الرئيس قد بقى كل هذة السنوات... دون انجازات.. لو كان ذلك صحيحا.. لما كنا شعبا يستحق الحياة..، ولكن توجد نقطة هنا غاية فى الاهمية... ما هو حجم الإنجاز الذى تحقق مقارنة بإنجازات دول أخرى؟... هل توجد مقارنة بين مصر وماليزيا.؟..، مهاتير محمد تولى فى نفس العام 1981... هل توجد مقارنة بين مستوى المعيشة فى مصر وتونس.؟... ستقولين أن تونس عدد شعبها محدود مقارنة بشعبنا الذى يتكاثر كالأرانب.... فعلا يا سلوى... الإنجاز موجود وقائم ولكنه لا يتناسب مع طول المدة...

مدحت: "ثم أنت يا ست الدكتورة... تقولين... هل حسنى مبارك هو المسئول عن فسادنا كمصريين أقولك أيوة هو المسئول!!.. هو لا يقول للنجار أو السباك الذى يأتى عندك فى المنزل، ويستغلك أو لا يتقن علمه أن يفعل هذا...، ولكن السياسات الإقتصادية والإجتماعية للدولة تنعكس على سلوكيات البشر بالضرورة "!!... كذلك عندما تكون الدولة مهترئة لا تستطيع أن تقوم بما تفضل بذكره الدكتور جورج.... نورتنا بجد يا دكتور فينك من زمان (قالها باسما وربت على كتفه وكأنه يطيب خاطره)"!!

أحمد: "أيوة فعلا.. أعتقد أن كارل ماركس ذكر شيئا فى ذات الخصوص..، طبيعة النظام السياسى الإقتصادى مثل أدوات الانتاج وأنماط الانتاج والاستهلاك معا ممكن أن تؤثر فعلا على نظم القيم وسلوكيات العمل داخل المجتمع"!...

محمود: "كذلك يا سلوى... لا تنسى أن الإستبداد لابد أن يفضى إلى إستبداد...، يعنى مثلا لو رئيسك فى العمل يضطهدك..، لربما ستجدين نفسك بعد فترة تمارسين ذات السلوك تجاه من هم دونك سنا أو فى المرتبة الوظيفية...، يسمونها فى علم نفس عقدة صف الضابط...، أى الشاويش... الذى يتعرض لتأنيب من قائده..، فيذهب للتو لإفراغ شحنته الإنفعالية فى الجنود....، نحن جميعا صرنا نمارس لإستبداد والفساد على بعضنا البعض... تأسيا بما يفعله بنا النظام الحاكم". ومثلما قال ابن خلدون، فان المغلوب دائما مولع بتقليد الغالب.!!

سلوى: "المشكلة ليست فى مبارك.. ولكن فى من حوله"!!

عندئذ.. تصايح الجميع وتداخلت الكلمات...، وإن كان يمكن تمييز تساؤلات مثل.. " وهل فرض أحد عليه نوعية الرجال المحيطين به؟... ولماذا يسمح بأن يطلقهم علينا هكذا؟!!.. هؤلاء قوم داهمتهم الشيخوخة وغمرهم الفساد؟!!!...

محمود :" بجد يا سلوى... لو كان الرئيس يعلم ما يحدث فى مصر فهذة مصيبة..، ولو كان لا يعلم فالمصيبة أعظم".

كان الليل قد سدل ستاره.. وتلألأت النجوم فى سماء لندن الذى يخاصمها السواد فى أحيان كثيرة.. فتبقى رمادية مشبوبة باللون الأبيض دوما...، وجد الجميع أنفسهم وقد حل بهم التعب بعد أسبوع عمل ولقاء اجتماعى شهد إستنزافا فكريا بأكثر مما ينبغى.... فغادروا تباعا.وهذة المرة، سارت سها مع محمود أيضا.

obeikan.com

obeikan.com

الفصل السادس

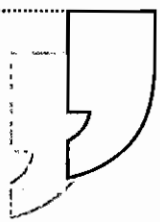

الحب والدين
واشياء أخرى

obeikan.com

(١) محمود عز الدين..

- كيفما إتفق، تكرر خروج محمود مع كاتيا. كان أكثر حذرا وحرصا على أن ينقل إليها ما يفيد أنه مسلم متمسك بحدود الدين...، ومن ثم، فلا يجب أن يشوب أفق العلاقة بينهما أى شائبة.

-" زواج.... ليس ممكنا..، هى أصغر منى بكثير، كما أنها من عالم مختلف..ثقافة مختلفة.. ديانة مختلفة...، عموما لا داعى لإستباق ما لا يجب استباقه أو استعجال النتائج...، فلنترك الزهور تنمو فى أوانها.. ولنرى ماذا ستصير اليه الأمور؟!!

كاتيا بطبعها متوهجة دوما..، طاقتها الذهنية لا تقل أبد عن طاقتها الرياضية فهى تتحدث فى الأديان والفلسفة والأدب، ومن ثم، فإن الجسور بينها وبين محمود بنيت سريعا...، وتبدى أن كلا منهما قد عتاد على الأخر.مع تعدد اللقاءات، كان من الطبيعى أن يتبادل الإثنان أفكارا..، ويتناقلا معتقدات...، وأن يبوحا ببعض مكنونات الصدور وما تحتويه من مشاعر وأحاسيس...، لاسيما أن ثمة انجاذبا بات واضحا لا تخطؤه العين بينهما!!، فهما يشتركان أسبوعيا فى تدريب الكيك بوكسينج ويتنزهان مرة،ويتناولا طعاما مرة أخرى، ويتناقشان هاتفيا أو عبر الرسائل الإلكترونية كلما عنت لأحدهما فكرة أو إقتراح أو تعليق على أحداث جارية!!

- " محمود...هل تلاحظ أننا صرنا قريبين من بعضنا البعض.؟؟..

- "نعم.. حقيقة الأمر أنا استمتع جدا بتلك العلاقة الى أقصى درجة... أنت إنسانة رائعة يا كاتيا بكافة المقاييس"...

-"أنت كذلك يا محمود...، أنا بالفعل إستمتع كثيرا بالخروج والتنزه معك..، وللعلم فأنا نادرا ما إندمج سريعا مع غرباء هكذا...، فلدى نمط حياة وتفكير مختلف يجعلنى مغايرة للكثير من الفتيات من سنى...، بالإضافة إلى أننى لم أندمج بعد بالمجتمع البريطانى...، فالبريطانيون عادة لا يرحبون بالأجانب حتى لو حصلوا على الجنسية!"...

-"صحيح يا كاتيا....،هل تعملين أنه بعد قرابة ستة أو سبعة شهور من الدراسة.. ليس لى أى صديق إنجليزى....اللهم الإ زميلا واحدا بالجامعة...، وهو يساعدنى فى الحصول على تلخصيات المحاضرات التى لا أتمكن من حضورها!!."..

- "لا تتمكن من حضورها.، إذن انت " تلميذ " غير جاد... (قالتها ضاحكة.. فبادلها محمود الضحك)"!.

-"إسمع يا محمود...، أود أن أتحدث معك بصراحة أكثر...، لا أعرف ما هو أفق علاقتنا!!... هل سوف نستمر أصدقاء... أم ماذا"؟!!!

-محمود.. (وقد باغتته المفاجأة...، وإن كان متوقعا لحدوثها قبل وقت)... " بالطبع يا كاتيا.. معك حق...، أنا نفسى صرت أفكر فى هذا الأمر.، كاتيا... هناك أمور يجب أن أشرحها لك...، أنت أصغر منى سنا بكثير...، ومن ثم، فإننى أعتقد إن ارتباطنا سيكون فيه ظلم لك!! لو كنت أكبر سنا.. لربما كانت هناك فرصة سانحة للزواج "!..

ضحكت كاتيا بإفتعال دون تعليق...، ثم لملمت حقيبتها..، وإقترحت أن يكملا مناقشتهما ليلا عبر الفيس بوك..

ثم تبادلا (الشات) مساء مثلما إتفقا...

-"أرجوك يا محمود أن تبقى أمينا ومخلصا معى كما عهدتك دائما...، أننى أرى ما ذكرته اليوم بشأن فارق السن بيننا نوعا من السخف لا يقبله عقل!. فى الواقع أن مثل تلك الحجة البالية البليدة يمكن أن تجدها فقط فى الدراما الرديئة من الدرجة الثانية أو الثالثة. ما عاد الجمهور الراقى يتقبلها. إذا ما كانت هناك أسباب أخرى يجب أن أعرفها، فهذا حقى. على فكرة، هذا لا يعنى أننى أقبل بك زوجا لأن لدى ثمة تحفظات أيضا"..!!

-"عزيزتى.... تعلمين قدرك عندى...، وأقول لك بكل وضوح أنه ما من شخص صارت له مثل تلك المكانة فى حياتى فى هذا الوقت القصير. نحن لم نتعارف سوى من شهرين أو ثلاثة. فى الواقع أن فارق السن بيننا يكاد يكون 15 عاما...، وهذا يجعل العلاقة بيننا صعبة مستقبلا لأسباب نفسية وربما بيولوجية. أنا أحمل لك كل التقدير والمشاعر الطيبة، وأثق أنك تفعلين نفس الشئ"..!!

-"لا يا صديقى...، أنا لا أستطيع أن أتقبل هذا السخف.أنت تريد أن تبدو شهما مخلصا تضحى بنفسك عن طيب خاطر للحفاظ على مصلحتى..، لكن ربما هناك أسباب أخرى لديك منها الحفاظ على التطور الوظيفى، وأنا أعلم أنك شديد الطموح وغير ملائم لك الزواج من أجنبيات.. كذلك الحرص على عدم إغضاب الأهل بمن هى مختلفة فى الديانة، والجنسية، والثقافة!... عموما حسنا

فعلت، فأنت كذلك – كما ذكرت لك آنفا – لا تستوفى المعايير التى أريدها لزوجى. أريده – بغض النظر عن الإعتبارات السخيفة التافهة التى تدور فى عقلك مثل الفارق فى السن والديانة – أكثر قدرة على إستيعاب الحياة بإختلافاتها وفهما لتطور المجتمع البشرى. آسفة يا محمود.. أنت لست الشخص الذى أرغبه.،. مثلما لا أمثل لك أى شئ.. سلام".

تبدى من كلمات كاتيا غضبا مكتوما...، ونوعا من الدفاع الذاتى عن النفس..، فهى كأنثى لا تحتمل أن يرفضها رجل أيا كان!. فأرادت أن تبدى هى بدورها نوعا من الرفض له...على أية حال بات محمود الآن مرتاح الضمير لأنه سبق أن قرر أنه قد آن الأوان لايضاح ما تقدم بعدما لاحظ أن تعلقها به بات أكثر مما ينبغى...

رغم ما سبق..، فقد واصلا صداقتهما بشئ من الروتينية. صحيح أن هناك شيئا جليديا نما فى العلاقة بينهما...، الإ أن عدة لقاءات متتالية أذابته. وبعد مرور أسابيع...- وفى أعقاب نزهة خلوية جميلة بينهما -... تلقى محمود الرسالة التالية من كاتيا على بريده الألكترونى!!..

-"أسمع يا محمود..، أنا لا أريد أن تتطور علاقتنا بأكثر مما هى عليه. هناك حالة من الوجد والإرتباط غير اللازم ممكن أن تنشأ بيننا دون أن ندرى!. تحدثنا من قبل فى موضوع ما، وشرح كل منا وجهة نظره، ولا أريد أن أتطرق إليه ثانية. لا أرغب فى تحمل أى مشاعر قد تؤلمنى مستقبلا...، ولذلك، فقد قررت الإمتناع نهائيا عن لقائك. أتمنى أن تتفهم دوافعى "!!

صبر محمود عدة أيام... ثم أجابها بالرسالة التالية...فور أن وجدها "أون لاين" :

-"كاتيا... أنا لا أتصور أن تنتهى علاقتنا هكذا...نحن تحدثنا وتفاهمنا..، وعلى ذلك، فإن علاقتنا سارت حسبما أتصور فى حدودها الأمنة.. فماذا حدث."؟!.

-"لقد سئمت هذة العلاقة يا محمود...سئمت كل شئ..، سئمت كذبك سواء على أو على نفسك..، أنا أقدرك كثيرا..، ولكننى لا أستطيع خداع نفسى مثلما تفعل أنت. لو لم تكن تريد الإرتباط بى سواء بالزواج أو بدونه...، لما كان يجب عليك أن تستثير مشاعرى بتلك الطريقة "!!...

-"لقد شرحت لك... أن هناك عوائق بيننا أهمها فارق السن... فماذا تريدين أذن يا صديقتى"؟

- صراحة، كنت أود أن أكون " حبيبتك " فقط...، ولو لفترة زمنية بغض النظر عن الزواج أو عدمه!!.. وأقول لك بوضوح – فأنا لا أكذب على نفسى مثلك - أن الأمر ليس كله مرتبطا بالحب،ولكن بالرغبة أيضا! ولكنك تبدو غير منجذبا أو زاهدا فى شخصى!!.

-"أبدا يا كاتيا...، الواقع أن لدى خطوط حمراء دينية لا أستطيع أن أتعداها..؟!

-"أنت غير منجذب إلي جسديا يا محمود..، ولا داعى للإدعاء أو الكذب".

-"أبدا... إطلاقا...، أتمنى لو أستطيع..، بالطبع لدى رغبة جنسية متأججة تجاهك...، ولكننى يجب أن أعترف أننا من عالمين منفصلين..، ربما يصعب عليك تقبل منطقى يا " صديقتى الصغيرة "..!!..

تلك الكلمات هدأت قليلا من روع كاتيا إلا أنها أردفت قائلة :"هذا ليس المرام كله!. محمود أنت تكذب على نفسك..، عندما تنادينى بالصديقة...، أنا لست مجرد "صديقتك".. ولن أكون يوما كذلك.. هذا ما يتبدى فى طريقة تعاملك معى وفى كلماتك وأيضا نظراتك".

صمت محمود ولم يعلق، فإستطردت كاتيا قائلة " دعنا نكمل النقاش فى لقاء قادم...، صحيح كنت أتمنى أن تكون علاقتنا بشكل مختلف...، ولكن معك حق لا يجب أن تموت العلاقة بيننا أبدا...، فشئ أفضل من لا شئ".

opeikan.com

(٢) سها... ونادية..

إستمرت سها فى حالتها المزاجية الرائقة، وتواصلت لقاءاتها ورسائلها مع محمود فى موضوعات شتى بلا بوصلة مرشدة لأى شئ.. كما واصلت إجتهادها فى المذاكرة واثبات الذات كعهدها دائما. ثم قررت سها أن تزيد من جرعة إتصالها المحسوب بدقة مع فئة المصريين.. فدعت نادية للخروج والتنزه مثلما فعلت آنفا مع محمود...

نادية وسها رغم تشابه ظروفهما (اليتم والوحدة)، وكثير من محددات الشخصية (الإجتهاد والذكاء والجمال و التأثر الكبير بالانفتاح السائد فى الحضارة الغربية)، ومنحى التفكير (الطموح الكبير والغضب من الأوضاع فى مصر والرغبة فى القفز من سفينتها الغارقة)،، إلا أن الأمر إستغرق شهورا حتى تصادقا.. أو بمعنى أصح حتى لقى إحتمال تنامى صداقة بينهما قبولا مشتركا!!.

فى المطلق، فأن الفتاة باهرة الجمال مثل سها لا يثير غيرتها إلا من هى شديدة الذكاء مثل نادية، والعكس صحيح.. إلا أن الظروف المعيشية والحاجة إلى الإستئناس " والفضفصة " بين بنتين جعلت مثل هذا اللقاء الخاص ممكنا.

وفى أثناء تنزههما سويا فى الهايد بارك دار الحديث التالى :

-إيه أخبارك يا سها... عاملة إيه؟

-كويسة يا نادية... لا جديد تحت الشمس؟!

-يعنى ما فيش أخبار جديدة (قالتها باسمة).

-لا ما فيش يا نادية..وإذا كنت تلمحين إلى شئ، فأقول لك أن محمود حتى الأن مجرد صديق، فقط تصادف أن غادرنا سويا مرة أو إثنين بعد لقائنا فى إدجوارد رود..

-أنا لا أقصد شيئا يا سها...، أنت تعرفين يا حبيبتى..أنا أتمنى لك كل الخير.. عموما محمود شخص محترم.. ربما هو " هادئ جدا.. ومش مدردح " ولكنه محترم.. أحسن بكثير من الناس

الهايفة التى نقابلها فى مصر!.

-معك حق... وأنت يا نادية.. هل هناك شئ ما؟!

-أبدا يا سها... لا يوجد شئ محدد أرتكن إليه.. مازلت أخاطب المستشفيات للحصول على فرصة عمل، بلا نتيجة.. وبخلاف ذلك من السكن للجامعة للمستشفى ثم العكس.. هكذا دواليك!!

- يا نادية.. أنا أقصد على الصعيد العاطفى؟!

-لا... لا يوجد شئ يا سها... ربما العيب فى شخصى أنا... لأنى دائما مضغوطة سواء فى العمل أو الاستذكار.. لا يوجد لدى وقت. عموما هناك شخص أرتاح له يدعى مارك.. الأمر لا يعدو مجرد إرتياح واحتياج للثرثرة من وقت لآخر...

-خلى بالك يا نادية... ساعات البنت مننا فى الوحدة تكون (فراجيل) - تقصد هشة - فممكن أن تنجذب لأى شخص دون حسابات عقلية أو إجتماعية.

-عارفة يا سها... أنا سعيدة هنا ليه... يكفى أن تساؤلات الناس وتدخلاتهم فى حياتك الشخصية منعدمة... فى مصر.. كل واحد يحشر نفسه فى أدق تفاصيل حياتك بلا خجل.. ويظل يسألك " هتتجوزى وتخلفى متى وتخلصينا بقى "؟!!!!" وكأنهم يتحملون عبئا نفسيا أو ماديا تجاهك!!!.

-تعرفى يا نادية.. أنا فكرت كثيرا فى هذا الموضوع، فوجدت أن ذلك ناتج عن عوامل كثيرة بمصر. الناس لديها ضعف فى الثقافة.. أى ليس بمقدورهم إقامة حوار أو مناقشة حول كتاب أو فيلم أو قضية عامة مثلما يحدث هنا، ولذا فأن الحياة الاجتماعية والنميمة تظل هى الشئء الوحيد الذى يمكن أن تلوكه ألسنتهم....، ويغدو الجنس والحديث عنه محور الحياة والسبيل الوحيد للاستمتاع بسبب غياب مصادر الإمتـــاع الأخرى. أظن كذلك أن من يفعل ذلك يريد فى قرارة نفسه - سواء بوعى أو بدون -أن يقارن حظه فى الحياة معك.. يعنى يريد أن يطمئن أنه حظه أفضل..وأن إذا كان ربنا أعطاك نعمة ليست عنده، فأنه يبقى أفضل منك فى شئ أخر..!

-(عندئذ ضحكت نادية بخبث) : لا يا سها.. أنت تكذبى..كده محمود لا يمكن أن يكون مجرد صديق.. واضح انكما تتقابلان سويا، وأنك تأثرت بطريقته فى الكلام والتحليل...!!

ضحكت الاثنتان مجددا مثل طفلتين بريئتين.. ثم ذهبا سويا لتناول الغذاء. فقط شعرت كل منهما أن إحتياج الأنثى للأنثى شئ لا غنى عنه، حتى وإن كان يغلف هذا الإحتياج ثمة غيرة من وقت لأخر. عموما لقاء لم يتكرر الإ مرتين أو ثلاث.. وعادت كل منهما إلى قوقعتها الخاصة، فضغوط الدراسة والحياة لم تسمح بأكثر من ذلك!!

(٣) أحمد مشتهر... (أميرة محسن)

التغيير عادة فى حياتنا أما أن نصنعه بأنفسنا...، أو أن يفرض علينا فرضا بقوة الظروف أو قهر الأيام وبخطوبها. ما مر به أحمد مؤخرا لاسيما علاقتيه بكل من ليدميلا وكارمن غير كثيرا من داخله. بات أقل أقبالا على ممارسة الجنس، مقارنة بما مضى...،بعدما وجد إشباعا روحيا وذهنيا عبر هواياته الجديدة التى باتت تستولى على جزء كبير من طاقته النفسية والجسدية..!!ثمة تغيير أخر طرأ عليه...، هو أن فكرة الزواج بدأت تطارده وتلح عليه بلا مقدمات!!.. بالطبع أحمد لا ينظر إلى الزواج بمنظور جنسى...، لأن لديه إشباعا عن طريق الجنس الحرام متواصلا منذ سنوات بعيدة..، ولكن بات ينظر إلى الزواج كإحتياج إلى الألفة والائتناس بالآخر. لاحظ أنه عندما يزور المتاحف وقاعات اللوحات (الجاليرى) أنه دوما يسير بمفرده...، صحيح أن هناك كثيرين مثله.. فلندن مدينة يطلق عليها أحيانا مدينة العزاب والمقصود بذلك أن الشخص الأعزب عادة لا يستشعر وحدة بسبب صخب المدينة وقدرتها الفائقة على إمتاع أى شخص بها... إلا أنه استرعى انتباهه أن كثيرين من عمره وربما أقل كثيرا يسيرون متأبطين أذرع وزوجاتهن وأطفالهم بشكل إنسانى جميل... هو لا يريد أن يعيش هكذا بلا أسرة..، لاسيما أن ظروف نشأته قد جعلت الحرمان العاطفى رفيقا له.. يستشعر ألم ووطأه صحبته ما بين الحين والآخر..، حتى إن كان محاطا بالنساء من كل شكل ولون وجنسية.

" كل متوقع أت"... تلك مقولة نسبت إلى الخليفة على بن أبى طالب كرم الله وجهه.. ولأنها المرة الأولى التى يفكر فيها فى الزواج بأسلوب جدى...، وعلى الرغم من أن إيقاع الحياة بلندن ورتابتها السريعة لن تسمح له – نظريا على الأقل – بوجود فرص للقاء والتعارف وغير ذلك..، الإ أن الظروف ساقت له من بدت له عندئذ مناسبة.. أميرة محسن!!

ففى خلال إنتظاره بقاعة المواطنين بمبنى القنصلية كى يقوم باعداد توكيل لأحد أصدقائه لبيع

سيارته القديمة، وجد بجواره فتاة جميلة تستأذنه فى أن تحل محله فى الدور نظرا لحاجتها لقضاء الأمر سريعا.

-" لو سمحت.. أنا مضطرة أخلص بسرعة علشان لازم ألحق القطار الساعة الثانية والنصف.. هل تمانع أن تتنازل لى عن دورك"...؟!!

-" بالتأكيد...، هو حضرتك مصرية..، أنا افتكرت أنك بريطانية.. كنت لسه هأقول لك أن قسم التأشيرات ليس هنا، ولكنه بالدور تحت الأرضى (البيزمنت)."..

-"لا أنا مصرية... معى الجنسية المصرية.. بابا مصرى... وماما بريطانية"...

-أيوة.. ما هو علشان كده... أنا برضه لدى وجهه نظر...،يعنى الملامح دى مش من عندنا...

إبتسمت أميرة فى هدوء ولم تعقب.، فيما يعنى عدم رغبتها فى الإسترسال فى الحديث خاصة أنه بات مكررا من كثرة ما قابلت رجال مصريين!. كلهم ينتهزون أى فرصة للحديث عن الجمال.. وغيره، وهذا كله لا يروق لها لأنها ترى أنهم بذلك ينزعون إنسانيتها ويحولونها إلى مجرد دمية.!

بخبرته النسائية الكبيرة إستقرأ احمد ملامح وجهها.، بل كاد يفطن إلى ما جال بعقلها خلال تلك اللحظات.. فأضاف..:

-"الفارق المهم بيننا وبين الإنجليز هو منظومـــة القيم...، يعنى أنا مثـــلا هنـــا بأدرس الماجستيـر ولا اجد فارقا بينى وبين أى شخص آخر... الكل سواسيه..،والكل محل إحترام..

-أه....(كلمة مختصرة تفيد رغبتها فى عدم مواصلة الحديث دون أن تحرجه).

بحدس الصياد المدرب لم يرغب أحمد فى أن يدع أميرة تفلت من يديه.، فإستطرد قائلا :

-"هاقول لحضرتك حاجة.. كنت أقف فى إنتظار دورى فى بنك باركليز المجاور للقنصلية.. ما هى فلوس المنحة الحكومية تحول عليه..، ووجدت خلفى رجل كبير طاعن فى السن ربما تعدى التسعين...، فطلبت منه أن يحل محلى..، فأثار هذا إعجاب الناس وتقديرهم خاصة أن الرجل تمنع فى البداية ثم قبل فى النهاية قائلا إنه ممتن. يعنى لو فعلت هذا فى مصر.. الناس ترى أنه سلوك طبيعى..!!

-فعلا.... (إبتسمت بدورها حيث لاحظت رغبته فى الإسترسال).

-هو حضرتك تعيشين فى مصر ولا بريطانيا...

-أنا حاليا فى بريطانيا أبحث عن عمل...، تخرجت من جامعة أوكسفورد.. ومازالت أبحث عن عمل.. عملت فترة فى مجال الإعلام، ولكننى فضلت العودة لإستكمال الدراسات العليا...، نقضى فقط جزءا من عطلة الصيف فى مصر...غالبا فى شرم أو الغردقة..فقط..

-حقيقى جامعة أوكسفورد...، حاولت أن أتقدم لها ولكن معاييرها صعبة جدا.. إضطريت أن إلتحق بـ LSE

-هى أيضا جامعة متميزة للغاية!!

-أه...نسيت أعرفك بنفسى.. أنا احمد مشتهر...، أدرس حاليا ماجستير فى الإقتصاد...،وعاطل حاليا عن العمل... (ضحك)..

-(ضحكت أميرة بدورها.. فالضحك والإبتسام لهما تأثير المرايا على الآخرين)... لا بأس..فنحن الاثنين عاطلين حاليا.!!..

-بهدوء... قدم لها أحمد بطاقة التعارف الشخصى... ثم أخرج قلما ودون لها رقم هاتفه المحمول... قائلا" ياريت نلتقى بعد ما ترجعى من السفر...، أنا هنا لى شلة من الدارسين المصريين نلتقى سويا بادجوارد رود... القنصل صديقى والملحق الثقافى أيضا ينضمان إلينا من وقت لاخر.....

بدورها أخرجت أميرة الكارت الشخصى بها دون أن تدون رقمها الهاتفى... قائلة" أنا سوف أبقى فقط أربعة أيام فى بيت ماما.. ثم أعود إلى لندن... ستكون فكرة جيدة أن ألتقى باصدقائك الدارسين...".

إعتبر أحمد أن هذة الإجابة هى نقطة إنطلاق طيبة يجب التوقف عنها وعدم الإندفاع إلى ما عداها حتى لا يسفر أى تحرك غير محسوب عن رد فعل عكسى. ولذلك حياها عندما أنجزت ما جاءت من أجله، وأخذ دوره أمام الملحق الإدارى المسئول متظاهرا بعدم الإكتراث.

إنتظر أحمد مرور الأربعة الأيام بفارغ الصبر... فلم تفلح هواياته الجديدة المستحدثة مثل زيارة المتاحف، والقراءة، أو حتى تربية الكلب الجديد الذى أسماه " فريسكى "، فى مل ء الفراغ الوجدانى الذى كان يعايشه. كانت أميرة بالنسبة له " إحتمالية "...، فتاة مصرية بريطانية تبدو رائعة. هو بخبرته عرف أنه يتحدث مع عقل أكثر منه جسد...، فقرر أن يتبع معها تكتيكا مغايرا.. هل يريد الزواج منها؟!!.. ربما.. نعم... ماذا ينقصه الآن للزواج؟!!.. هو يريد من تكون أما وعشيقة فى ذات الوقت...!!!

فى الموعد المحدد بعث أحمد برسالة الكترونية إلى أميره كى يدعوها للإلتقاء بمجموعة الدراسين (محمود.. ونادية... وسها ومدحت وسلوى) يوم "الأربعاء". بالطبع، كان يكذب لأن لقاءات تلك المجموعة غالبا ما تعقد يوم الجمعة..،كانت إذن مجرد حيلة لإستدراجها للقائه!!

حسبما تفقا، جاءت أميرة،وقد تبدى على وجهها إبتسامة غامضة لا يستطيع أن يحدد كنهها.. إلى المطعم الإيرانى المجاور لمحلات السوبر ماركت الكبرى تسيكو بذات الشارع المعتاد. فى البداية

إصطنع إضطرابا وتعلثما!!

-" أنا أسف يا أميرة... لن تصدقى ما حدث.. فوجئت بأن إثنين من الزملاء قد إعتذرا لظروف مفاجئة.. فلما عرف الأخرون طالبوا بتأجيل الموعد.. ولكننى خشيت أن يضايقك هذا.. فلم أبلغـك..!!

كتمت أميرة ضحكتها..قائلة.." أحمد... يا عزيزى أنت تستخدم حيل قديمة جدا... لا تختلف كثيرا عن أن تقول لفتاة هل إلتقينا سابقا لمحاولة التعرف عليها؟!!.. عموما كان هذا الإحتمال قائما فى عقلى ورغبت فى تأكيده"!!

-(بدوره ضحك أحمد ضحكة إجتهد كثيرا لإخفاء خجله ورائها.. فأحمد رغم فجور روتينه اليومى الإ أنه يحتفظ أيضا بقلب طيب وبه درجة ما من الحياء) قائلا... " إذن فقد وفرت على نصف الطريق"...

-"تماما يا أحمد.. كما نقول بالإنجليزية.. "لكى نختصر القصة الطويلة ونجعلها قصيرة"... هيا لنتحدث مثلما تريد.. وأرجوك ألا تحاول أن تستنسخ مجاملات قديمة مثل تلك التى قالها عمر الشريف مرة فى أحد الأفلام.." تعرفى أنا بشبه عليكى.. أه يمكن التقينا فى مسابقة ملكة جمال رأس البر "، أو أننى أشبهه بالضبط كاترينا زيتا جونز.. أو أن إبتسامتى ساحرة مثل إبتسامة جوليا روبرتس... فهذه أمور إنتهت من زمن.. هيا تحدث.. فالوقت من ذهب "!!

-أميرة.. أنت بالفعل تبدين مدهشة ورائعة...

-"أووووه... بليز (من فضلك)... لا تحاول إدارة رأسى أو أن تضخم حجمها.. هذا يكفى... أريدك أن تتحدث معى كإنسان.. هل تفهم "!!

فاجأته جرأة وجسارة أميرة فى التفكير... وكيف لا وهى نتاج تزاوج ثقافتين " المصرية والبريطانية "، اللذين بهما كثير من الإختلاف والتباين.. لابد أن ذلك أكسبها صفات متفردة... إذن فقد قرر أن يبدأ الهجوم!!

-"أميرة... لن أقول لك أن خبرتى النسائية قليلة... بل على العكس فهى كبيرة جدا...!!

-قاطعته أميرة قائلة... " أعرف ذلك..."!!

- " وكيف عرفت ذلك رغم أننا لم نلتق الإ مرة واحدة"..

-"داخل كل أنثى ردار يمكنها ليس فقط من رصد كل من يحاول الإقتراب منها بل وتحديد هويته... طبعا خبرتك النسائية كبيرة..،وضح ذلك فى طريقة التعامل وأسلوب التخاطب أو حتى النظرات"!!

Obeikan.com

-"حسنا سأكون مباشرا... أريد أن أبادلك صراحة بصراحة... ووضوحا بوضوح... أريد أن أتعرف عليك أكثر.. أريد أن يتعرف كلانا على الآخر... ليكون أمامنا خياران.. فأما أن نطور التفاهم المطلوب وصولا إلى الزواج، أو نكتفى بأن نكون أصدقاء. أظن أننى " جبت من الآخر " مثلما نقول فى مصر، ولا أظن أن أحدهم كان أكثر صراحة منى معك من قبل"!!

-"حقيقتى يا أحمد (قالتها أميرة وقد اكتسب وجهها بعض الجدية ربما من تأثير العرض المفاجئ)... وهذا موضع تقدير.. لعلك تقدر أننا لم نتعرف على بعضنا البعض إلا مرة واحدة.. مازال أمامنا شوط كبير لكى يسبر كل منا أغوار الآخر. أنا أيضا أفضل الزواج من رجل مصرى... لماذا؟..ربما لأننى متعلقه بأبى أكثر من أمى.. بالفعل أريد زوجا مصريا، ولا أمانع فى قبول ما قلت"!!

هذا التفكير العملى الذى ساد حوار الأثنين هو نتاج التحرر من القوالب الجامدة فى التفكير.. فأميرة بحكم ثقافتها الغربية لا تحبذ اللف والـدوران.. وأسلوب الصائد الذى يتحين إصطياد فريسته... كما أن أحمد بسبب معرفته بنساء من كل شكل وجنسية بات قادرا على أن يخاطب كل واحده بما يناسبها..بل أن يخاطب كل واحدة بما يناسب تطورات حالتها المزاجية والنفسية.

فى نهاية اللقاء تصافحا بهدوء.. وودعا بعضهما بإبتسامة.. على وعد بأن يتراسلا عبر البريد الإلكترونى خلال الأيام المقبلة لحين عودة أميرة من رحلتها الأوروبية فى كل من فرنسا وسويسرا بصحبة والديها وأختها الصغرى!!

Obeikan.com

(٤) نادية.... ومارك

توطدت العلاقة المبهمة الناشئة بين نادية ومارك القائمة على الإعجاب المتبادل بألمعية الأثنين فى العمل وكذلك بعض الطبائع الشخصية.. ساعد على ذلك تكرار السهر وورديات العمل المطولة.

مارك... كمواطن بريطانى -بغض النظر عن أصوله الإسكتلندية-، لابد أنه تأثر كغيره بتنامى إتجاه الشباب البريطانى فى السنوات الأخيرة للزواج من أجنبيات، لاسيما من ذوى الأصول الأسيوية واللاتينية لأسباب عديدة منها أن مثل هذا الزواج لا يتكلف الكثير من المال على عكس الزواج من البريطانيات...، كما أنه بالقطع أكثر إستقرارا، فالزوجة الأجنبية أكثر حرصا على ضمان نجاح الزواج بعد أن تركت وطنها وعملها.. الخ، على عكس الزوجة البريطانية التى هى دوما متقلبة المزاج ومتمردة بالطبع، فالشباب البريطانيون يؤمنون بالمثل الدارج القائل " فى بريطانيا لا تثق أبدا فى W 2..."، ...النساء والمناخ. & ...Weather.."Women... ناهينا طبعا عن بعض الأمور الشكلية الأخرى المحببة للشباب البريطانى مثل إختلاف لون البشرة، أو الشعر، أو ما يقال عن الزوجة - الأسيوية مثلا والهندية تحديدا - سواء فى معاملاتها اليومية أوأثناء المعاشرة الجنسية.

كل هذة العوامل قاطبة فى ناحية..، وتأزم مارك النفسى بصفته إسكتلنديا متمرد الطباع من ناحية أخرى عضدت بعضها بعضا... فلم يكن من الغريب إذن أن يحسم مارك أمره فى وقت قصير نسبيا ويتصل بـنادية طالبا مقابلتها!!

-"نادية.. هل تستمتعين بدروس السوكا جاكا؟...

-"بالفعل يا مارك.. هى تهدئ الأعصاب تماما"....

-"حقا... خاصة أن الحياة الأوروبية قاسية نوعا"..

-"مارك.. أنت لا تعرف كيف هى الحياة فى عواصم أخرى من العالم مثل القاهرة... هذة العواصم تستهلك أعصابك وسلامك النفسى كل لحظة.. ضوضاء وشجار وتلوث وإنعدام نظافة

ونظام"!!..

(فى الواقع أن حنق نادية على مصر وصعوبة الحياة بها..كان بدوره أحد عوامل الإطمئنان لدى مارك على نجاح مسعاه أيضا)..

-"نادية.. هناك أمر أود أن أناقشه معك"..

-"بالطبع يا مارك.. نحن أصدقاء قريبين إلى بعضنا البعض.. بل أنت الصديق الأقرب لى فى تلك البلاد".

-"هذا... ما أود أن أناقشك فيه يا نادية... لا أود أن تقتصر علاقتنا على الصداقة "!!

-نادية... (وقد تضرج وجهها وأذنيها بالحمرة)... "ماذا تعنى يا مارك"؟

-"أرجوك يا نادية...، لا تفهمى كلامى على محمل سئ...، أعلم أن بيننا اختلافات كبيرة... ولذا فلم يرد بخلدى أن أتخذك خليلة.، جريل فريند...، أعلم أن هذا غير مقبول فى ثقافتك.. كما أننى بدورى لا أميل كثيرا إلى تلك الخيارات. ما وددت أن أقوله لك هو أن نتزوج".

كان وقع كلمات مارك على نادية مزيجا من دهشة المفاجأة.. وإمتلاء " الإيجو" -الذات - لديها بأن طبيبا بريطانيا لامعا مثل مارك قد أعجب ويبغى الإرتباط بها، بعد أن إنتقاها وسط مئات الآلاف من الفتيات من كافة الجنسيات اللاتى يملأن شوارع لندن فى تنافس رهيب محموم على إظهار الجمال والزينة بكل ألقهما وإبهارهما!!... أسقط فى يديها.، فلاذت بالصمت قليلا.. لكى تهدئ روعها خاصة أن ضربات قلبها باتت متسارعة!!!

لاحظ مارك إرتباكها..،فرغب فى تهدئتها قليلا.، مثلما يفعل مع مرضاه بذات التأدب البوذى المعتاد... قائلا..:

- "نادية .،أرجوك...، خذى الأمر ببساطة..، هذا مجرد إقتراح... لا تفكرى أو تقررى شيئا خلال تلك المرحلة. فقط بإمكاننا أن ننظر فى هذا الأمر خلال ما تبقى من العام الدراسى وقبل سفرك... فى جميع الأحوال نحن أصدقاء"...

لم تنبس نادية ببنت شفة..، وإحتمت بصمتها وأشغلت نفسها بالنظر إلى يديها أو حقيبتها أو التبحلق فى اللا شئ..، وهى ما فتئت تستشعر وقع تلامس يدى مارك لظهرها العارى خلال جلسة التدريب الأولى. مارك بالتأكيد أعجب بها وبشخصيتها.... هو لا يعانى مشكلة جنسية...، ولو أراد ففى لندن ما يكفى لإرتواء مئات الآلاف من الرجال... لابد أنه وجد بها ما يميزها عن الأخريات.!!..

إستكمل مارك كلامه منفردا... وكأنه يستقرئ أفكارها!!

- "نادية.. نحن الاثنين على درجة عالية من الثقافة والعلم...، ومن الصعب على كلينا أن يجد

من يلائمه..، أنا لم أجد طبيبة مبهرة مثلك على كثرة ما تعاملت مع الطبيبات من بلاد شتى... أنت بالفعل إنسانه رائعة.. وطبيبة رائعة أيضا"...

في تلك الأثناء.، بدأت نادية تجمع من شتات أفكارها وتستوعب الموقف الجديد... بأبعاده الشاملة. هى فعلا معجبة بمارك الطبيب الاسكتلندى المثقف النابه..، ولكى تكون أكثر صراحة مع نفسها...، هى معجبة به جنسيا أيضا...، هو إنسان شديد الرقة والعذوبة وملامحه جميلة جدا.. شعر أصفر أقرب ما يكون إلى اللون البنى...، وعيناه لا يمكن تحديد لونهما بدقة.. ربما ما بين الأزرق والأخضر، وجسده أيضا ممشوق. هو فى أوائل الأربعينيات... الرجال فى سنه فى مصر.. عادة ما تصيبهم شيخوخة العقل والبدن،.. فيترهلون جسديا ويتكلسون فكريا.... هو أكبر منها بقرابة عقد كامل من السنوات..، وهذا لا يضير من الناحية البيولوجية.. فهى كطبيبة تعرف أن الرجل يبلغ ذروته الجنسية فى العشرينيات وأوائل الثلاثينات..، أما المرأة فعادة ما تكون فى مرحلة الأربعينيات أكثر إحتياجا. هذا الفارق فى السن.. ربما يجعلهما متفاهمين جنسيا.، مثلما هما متفاهمين عقليا...، ولكن تبقى مشكلة الديانة.!..

نادية... (بصوت مبحوح قليلا..)..."مارك..، لقد تفاجأت بكلامك...، لا أقتدى هنا بسلوك الفتيات الأخريات عندما يقلن مثل تلك الكلمات..، فأنت تعرف مدى إستقلالية شخصيتى...، ولن أخفى عليك سعادتى بذلك...، فأنت بالفعل بالنسبة لى شخص مبهر وجدير باهتمام...، أرجوك دعنى أفكر قليلا... أياما أو عدة أسابيع على الأكثر...!!

- " بالطبع يا نادية... لك مطلق الحرية!!... فكرى بهدوء وعلى رسلك..

-" نعم يا مارك. أنا بالفعل بحاجة إلى التفكير الهادئ.. ما يجب أن تعلمه أن هناك عقبة كبيرة وهى إختلاف الديانة!!

- (منزعجا)... "ماذا.... ماذا تعنين"؟

-" أنا مسلمة يا مارك كما تعلم...، صحيح أنا لست ممارسة لطقوس الديانة أو ملتزمة بها حرفيا.. ولكنى فى النهاية مسلمة "!!

-" عذرا يا نادية... لا أفهم.. ما شأن إختلاف الديانة فى زواجنا؟!!

-" المسلمة يا مارك لا يحق لها الزواج من غير المسلم"..

-" حقا..، لماذا...؟؟... لكن... أعتقد....؟...(تمهل قليلا ثم إستطرد قائلا).. لكن عذرا.. ربما يكون هناك خطأ ما...، أنا أعرف أطباء هنود وباكستانيين مسلمين متزوجين من بريطانيات مسيحيات ويهوديات..، ومنهن من لا تتمسك بديانة محددة!!

obeikan.com

- "الأمر ليس هكذا يا مارك...، الرجال المسلمون لهم حق الزواج من نساء ينتمين للمسيحية أو اليهودية فقط...أما بالنسبة للنساء المسلمات فلا يحق لهن ذلك"!

-" حقا...أنا لا أعرف هذا...، ولكن هذا ليس عدلا...، لماذا هذا التمييز الذى يتناقض مع جوهر المبادئ الدينية مثل التسامح والعدالة؟!!.. أنا لا أعرف كثيرا عن الإسلام..ولكنى قرأت عنه فى مطلع شبابى وعرفت، أن العدالة هى أساس النظام القيمى فى الإسلام... فكيف يستقيم الأمر إذن؟!!

- "أنا لا أعرف كثيرا عن فلسفة الأمر..، ولكنى أتوقع أن الغرض من ذلك هو أن ينتشر الإسلام...، على إعتبار أن الأب يورث أبناءه الديانة..، فيصيروا إذن مسلمين...!! يقولون إن الاسلام إنتشر بالزواج والهجرة بأكثر مما انتشر بالحروب أو الصراعات فى الأزمان السحيقة "!!

-" هذا غير مقبول أو معقول.... ولماذا لا تورث الأم الديانة لأبنائها؟!!... هذا منطق عجيب... فتأثير الأم عادة فى مثل تلك الأمور الذهنية والأخلاقية عادة ما يتجاوز تأثير الأب..ففى اليهودية مثلا الأم تعطى الديانة لأبنائها وليس الأب،.ثم... عذرا.. لماذا يسرى هذا الأمر حاليا؟!...من أراد أن يتعرف عن الإسلام فليفعل..!!!. نحن فى بلد حر ديمقراطى..أنا شخصيا مقتنع تماما بالمسيحية مثلما أدركها أنا..، وليس كما تقول الكنائس المتنازعة فيما بينها..، ورغم ذلك أنا لا أمانع البتة أن يكون أبنائى مسلمين إذا كانوا يودون ذلك عن إقتناع!!.. ما هى المشكلة إذن؟. ولماذا تعقيد الأمور بأكثر مما ينبغى؟!! !.

-"أوكيه يا مارك.. كما قلت لك...، دعنى أفكر..، وسوف أبحث الأمر...، كما قلت لك أننى بطبعى أكثر انفتاحا...، وأؤمن بالعلمانية والليبرالية من حيث المساواة بين البشر...، سوف أبحث الأمر.. وأبلغك.. فى جميع الأحوال.. أنا بالفعل مقدره لكلامك وسعيدة به"...!!

إنصرفا بعد ذلك فى هدوء..، وأوصلها مارك إلى محطة ماربل أرش... فى بداية شارع أوكسفورد.. ثم طبع على خديها قبلتين سريعتين...، ثم إنصرف فى هدوء، وولجت نادية إلى داخل المحطة... وهى لا تزال تستشعر تأثير تلامس شفتيه لخديها..، بينما عقلها لا يزال غارقا فى المفاجأة!!!

وصلت نادية إلى مقر سكنها خلال عشرين دقيقة كانت خلالها قد إستوعبت تماما الموقف. فهى بحكم كونها طبيبة قلب لديها رباطة جأش وثبات إنفعالى يفوق كثيرا ما لدى البشر العاديين. إكتفت بغسل أسنانها...، ثم خلعت ملابسها وإستلقت على سريرها...، ثم أغمضت عيناها فى تأمل ودعة وسكون..!!

(٥) مدحت... وجوانا؟!!!

خلال إحدى اللقاءات بمطعم السكن الجامعى، تجرأ ذات مرة بمطعم قائلا (وضربات قلبه تتسارع) :

-"جوانا...هل يمكن أن أدعوك لتناول الشاى بغرفتى"؟!!.

نظرت له جوانا لثوان بسيطة كأنها تتأمل ملامحه وقد إرتفع حاجباها قليلا...، ثم ندت عن وجهها إبتسامة صغيرة أخذت فى الإتساع رويدا رويدا، ثم إنفجرت ضاحكة ضحكا طويلا متصلا بأقصى ما فيها من طاقة. وعندما تمالكت نفسها قليلا قالت:

- "آووه. يا إلهى..، كل المصريين مثل بعضهم البعض. هذا غير ممكن...، لا أستطيع أن أصدق....كل المصريين مثل بعضهم البعض!!

- (مضطربا) "جوانا. ماذا حدث؟. هل قلت لك شيئا مضحكا!!!!

- "هل تعلم أننى قابلت عددا من المصريين سواء بحكم العمل أو الندوات...، وألفيت أغلبهم يوجهون لى مثل تلك الدعوة الغريبة بذات الطريقة.! قل لى يا مدحت هل يعلموكم بالمدارس تلك الطريقة للإيقاع بالانثى".!!

- "أنا أسف...يبدوأن هناك سوء فهم...، أنا لم أقصد...، إعتقدت أننا كأصدقاء حميمين يحق لى أن أدعوك إلى فنجان شاى أو قهوة!!!

- "حقا...، ولماذا لا نتناول الشاى أو القهوة هنا أو أى مكان آخر...لماذا فى غرفتك تحديدا؟!!!

إستشعر مدحت الحرج فتصبب جبينه عرقا، فلقد بات متيقنا أنه إتخذ خطوة إستباقية بأسرع مما ينبغى، مما كشف لجوانا عن خبيئة نواياه. فى تلك الأثناء،غابت الضحكة العذبة ثم الإبتسامة الساخرة عن وجه جوانا الذى إكتسى فجاة بجدية ممتزجة بدرجة ما من الصلف

والكبرياء!!

- "هيا يا مدحت...، قل لى لماذا تود أن تدعونى إلى شاى أو قهوة فى غرفتك؟؟؟؟ سأقول لك أن مثل هذا التعبير يقال من الرجل إلى المرأة التى يود أن يمارس معها الجنس للمرة الأولى...،هيا إذن قل لى هل تريد ممارسة الجنس معى "؟!!!!

- "جوانا. ، أقسم لك أنه لم يكن...."......

قاطعته جوانا بحدة : " مدحت..رجاء لا تكذب،،،،لا تحنث بالقسم فتفقد الشرف والإحترام معا ،. يمكننى أن أتفهم أو أتقبل أن لديك رغبة ما فى ممارسة الجنس معى...، لا بأس.....، ولكننى لا أتقبل الكذب فهو فى ثقافتنا شئ مخل بالشرف".!!!

أطرق مدحت قليلا يحاول ترتيب رد مقنع....، وإن كان لا يخفى فى نفسه تعجبا من هؤلاء البريطانيين الذين لا يخجلون من ممارسة الجنس، ونشر إعلانات تبادل الزوجات فى الصحف بينما يتضررون كثيرا من الكذب!.

-" إسمع يا مدحت..،، لو كنت تريد أن تمارس الجنس معى فهذا شأنك، ولكنك يجب أن تحترم أيضا قرارى بالقبول و الرفض فهذا شأنى....، فرقصة التانجو تستوجب راقصان معا ...أليس كذلك؟!!!

- (متعلثما) "جوانا..... أنا فى الحقيقة لا أستطيع أن أقول "،،،،،،،،

- "تقول ماذا يا عزيزى مدحت؟ سنمارس أو لا نمارس الجنس إذا ما كانت رغبتنا مشتركة وليس وفقا لغريزة الصائد بعقلك الذكورى الذى لاحت له فريسة...فهل تفهمنى؟!!

- "أنا لا أقصد أن أتجاوز فى شأن العلاقة (لاحظ غموض التعبير وعدم تأكيده أو نفيه للأمر بعد أن بات النقاش صريحا بأكثر مما توقع)" .

- "هل تعرف يا مدحت أن الفعل الخاص بممارسة الجنس باللغة الإنجليزية الذى يبدأ بحرف F... يستخدم للرجل والأنثى معا... أى أن الأنثى عندما تمارس الجنس مع الرجل، تقول له انها فعلت (...... F) به...، وهو ما يعنى المساواة التامة للإدراك اللغوى للفعل ذاته بنفس الدرجة للمرأة او الرجل على حد سواء"!!!

لم يكن لدى مدحت من سرعة البديهة ما يمكنه من مجاراة مثل هذا الحوار الجرئ... فسارع بإخراج منديله متظاهرا بالرشح!!! ويبدو أن جوانا بدورها قد لاحظت حالة الإرتباك البادية عليه، فأرادت أن تجهز على فريستها وأن تلقنه الدرس الذى لن ينساه .

obeikan.com

- "لكن قل يا مدحت...لماذا أعتقدت أنه يمكنك ممارسة الجنس معى...هيا.. قل لى"؟!!

- "جوانا.....،ربما كنت أخطات فى التعبير.. فلا يجب أن...."

-..".انت لم تخطئ فى التعبير ولكنك أخطات فى منهج التفكير.ظننت لأننى أمراة مطلقة..فلابد أن أكون إذن ملتاعة ومشتاقة لممارسة الجنس...أليس كذلك؟!!! هذا تفكير صبيانى....أما لو كنت تظن إننى آمراة بلا أخلاق على إستعداد لممارسة الجنس مع أى شخص لمجرد أننى ملحدة...... أو أننى أجرى بحثا علميا حول الأديان للوصول إلى إجابات علمية عن أسئلة فلسفية....، فسيكون هذا هو الغباء بعينه....، وفى كلتا الحالتين لا يمكننا أن نظل أصدقاء...، هيا إذن قل الآن الحقيقة؟!... أمامك دقيقة واحدة للإجابة، وإلأ سأمضى إلى حال سبيلى "؟!!!

تقمصت جوانا دور المحقق أو ضابط الشرطة الذى أمسك بالمجرم متلبسا بجريمته، والغريب أن إتقانها لهذا الدور وتمكنها منه من خلال قراءة منهج تفكير المجرم وتوضيح خياراته، ثم الضغط النفسى عليه قد أتى ثماره على الفور. فلم يلبث مدحت أن قنع بدوره كمتهم فى حضرة المحقق.... فتقمص كلاهما دورهما المسرحى تماما!!!!

- "بالفعل يا جوانا...صدقا....،أنت بالفعل تروقين لى وتبدين جذابة!!!. لذلك وددت أن......، ولكننى أؤكد أن هذا الأمر مرده الإعجاب بك، وليس كما ذكرت أنت بسبب ظنى أنك أمراة منفصلة عن زوجها، أو بسبب قيامك ببحث علمى مثير أكن له الإحترام والدليل على ذلك أننى أتناقش معك بشأنه كثيرا"!! (هكذا تبدى لمدحت أن هذة الإجابة هى الأفضل للقيام بما يعرف بالسيطرة على الضرر damage control....، ثم محاولة بناء ما تهدم على أسس جديدة متينة).

- (راقت الإجابة لجوانا وإعتبرتها ذكية، فعلقت قائلة)...: "حسنا. لا بأس...، شئ مقبول ....، على الأقل لن أفقد إحترامى لك. ثم أردفت متسائلة بشغف...، " ولكن قل يا مدحت...، كيف تبدو مقتنعا بوجود آله...، أو مدافعا عن دينك الإسلامى...وتريد أن تمارس الجنس معى؟؟!!!.فى حدود ما قرأت، فإن الدين الإسلامى يحرم أى علاقة جنسية بين الرجل والمراة خارج إطار الزواج..،فهل كنت تود أن تتزوجنى، أو أن تخالف دينك الذى تدافع عنه فكريا بشراسة وقدرة عالية على الإقناع!!!

- "جوانا. هذة نقرة...وتلك نقرة...، إعجابى بك لا يتعارض مع أن لدى موقفا فكريا معينا..ألم تعرفى أن بعض كبار اليساريين فى أوروبا كانوا شديدى الثراء يعيشون فى قصور فارهة؟! هذا شئ وهذا شئ آخر تماما، لا يجب أن نخلط الأوراق... أليس كذلك؟؟".

بدا مدحت فى تمالك نفسه...،وإستعادة زمام الحديث مرة أخرى، فأردف " كل منا يا عزيزتى به قدر من الإزدواجية لا محالة...، المهم هو كيفية قيام الشخص بضبط هذا التعارض أو التناقض حتى

obeikan.com

لا تكون الشخصية متضاربة مع نفسها. يعنى كيفية كبح غلواء الإزدواجية وضبط إيقاعها حتى لا يضر نفسه والآخرين...هكذا كل البشر...الفارق بينهم ليس وجود أو عدم وجود الإزدواجية، بل فى درجتها وقدرة الشخص على إدارتها..أنت نفسك بك قدر من الإزدواجية...أليس كذلك "؟!!!

- "حسنا....ربما.... لست متأكدة.... فى الواقع..."

- " يقينا بك يا عزيزتى..أنت لست فوق البشر. أنت صحفية إنجليزية تدافعين شفاهة عن المبادئ والقيم أو هكذا تعتقدين بسبب قيامك ببحث علمى يتناول الأديان و حقوق الأقليات، كما تنتقدين بعض سياسات بلادك الخارجية قديما وحديثا..هذا عظيم!. ولكن كتاباتك خالية من أى إشارة لجرائم بلادك والولايات المتحدة فى أفغانستان والعراق..أى أن ما يقوله لسانك لم يخطه أبدا قلمك. .هلا سمعت أن القتل هناك يتم على قاعدة الإشتباه؟!!! لماذا تصمتين على بعض مناحى التمييز ضد المسلمين ؟!.، حسنا، أنا أقر أن بريطانيا هى الأكثر تسامحا حيال الأديان فى أوروبا، وأن الفارق كبير بينها وبين فرنسا التى باتت تمنع الحجاب فى المدارس مثلا،،، ولكن هناك تمييزا أيضا ضد المسلمين فى بلادكم بالنسبة لفرص العمل وغيرها!!!!

- جوانا (بعد أن بوغتت من سرعة الهجوم المضاد) : "مدحت....أرجوك راعى كلماتك... أنا سبق أن دافعت عن حق العراقيين فى.،،،،،".

- "مرة واحدة يا جوانا. كتبت ذلك مرة واحدة فقط تحديدا فى يناير ٢٠٠٤. وإستخدمت كلمات وتعبيرات غائمة تقول الشئ ونقيضه فى نفس الوقت . لقد بحثت فى مقالاتك عن طريق جوجل...فى الواقع كنت أريد أن أتعرف على منهجك فى التفكير، ووجدت أن مقالاتك لا تتعرض بالنقد الحاد لمجمل السياسات الغربية الخاطئة "!!!

عادت الإبتسامة من جديد على وجه جوانا.... ، فقد إنتشت بأن أحدهم يبحث عن مقالاتها ويقيمها!!! فقالت... " أوكيه يا مدحت بما أنك أنفقت وقتا (لاحظ دقة التعبير الانجليزى من حيث تشبيه الوقت بالمال الذى يتم إنفاقه)، فعلك لاحظت إننى دافعت عن حق العراقيين فى الحصول على حكومة ديمقراطية منتخبة!!!

- "ولكنك لم تدينين بوضوح الإحتلال وأعماله الوحشية فى البصرة والفالوجا وغيرها... لم تنتقدى جوانتنامو...، لم تكشفى إعتداءات قوات بلادك على صبية صغار أو الاستغلال الجنسى للأسرى،،،،، لم تعالجى الدور السرى لمخابراتكم فى إشعال الفتنة بين السنة والشيعة!! وغير ذلك الكثير!!!

صمتت جوانا قليلا، وكأنها تستوعب ما يقوله مدحت الذى بدا وكانه سيطر على الموقف تماما!

- "كان لابد من رحيل صدام حسين حتى يتم بناء ديمقراطية فى العراق، هذة قناعتى كل ما

يحدث عقب ذلك هو مجرد أخطاء هنا وهناك "!!!

- "جوانا... أنت مثقفة ولا أظنك تقتنعين بمثل هذة الترهات التى لا تنطلى على طفل فى الخامسة من عمره... كان لابد من رحيل صدام حسين بعد أن استنفذ دوره فى الحرب مع إيران الثورة ثم اربك حسابات الطاقة العالمية باحتلاله للكويت... نعم كان لابد من رحيله لكى يعود العراق إلى السوق العالمى للنفط ...، حتى تدور عجلات الاقتصاد الأمريكى بالسرعة المناسبة...، حتى لا تستطيع الصين واليابان وأوروبا من تجاوز القطب الأوحد إقتصاديا،،، أرادت لندن إذن إستباق الأمور فى حلف غير إخلاقى مع الولايات المتحدة من أجل مصالح مستقبليه،،، من اجل ذلك تم شن حرب غير قانونية مائة فى المائة، وإزهاق مئات الآلاف من الأرواح من أجل البحث عن وهم كبير هو أسلحة الدمار الشامل...فهل تم العثور على شئ...؟!!! أنت لم تكتب شيئا عن هذا يا جوانا...، أنت مثلا لم تسلطى الضوء عن مآساة إنسانية مفجعة تمثلت فى مصرع ٥٠٠ ألف طفل عراقى من عمر يوم إلى خمس سنوات بسبب أمراض وأعراض بسيطة كان يمكن علاجها مثل الإسهال والحمى طوال عقد التسعينيات، بسبب الحصار الدولى غير الإنسانى الذى فرضتوه على الشعب المغلوب على أمره.....، هل تعرفين ذلك؟ إذا كنت لا تعرفين.. فأنا أنصحك بقراءة كتاب الصحفى الاسترالى المحترم :

John pliger „the new rulers of the world

"أنت أيضا لم تنتقدى اسرائيل بكلمة واحدة رغم ممارساتها الوحشية فى الأرضى المحتلة وعملية الرصاص المصبوب مؤخرا فى قطاع غزة.. رغم أن بعض زملائك يحكمون ضمائرهم ويكتبون الحقيقة.. أظن أن ذلك خشية من تأثير اللوبى الصهيونى فى لندن وواشنطن وحتى لا تتعرض كتاباتك للنقد أو الحصار أو ما شابه....ولكننى أقول بصدق أنك كصحفية لامعة لو كنت تعلمين وتصمتين، فتلك مصيبة، أما إذا كنت لا تعلمين فأظن أن المصيبة أعظم!!. أنت يا عزيزتى إذن لست قديسة مثلما هو الحال بالنسبة لى....، كلنا لدينا بعض الإزدواجية .هناك فقط من هو أبرع من الآخر فى إخفاء آثارها!!!!! صدقينى يا عزيزتى....لا يوجد قدسيون فى هذا الزمان".!!

الهجوم الكاسح الذى تلاحقت مراحله مكن مدحت من إستعادة ما حققته جوانا من سيادة فى بداية المناقشة عن طريق دك حصونها الواحد تلو الآخر. ران صمت لعدة دقائق بينهما، ولكنه بدا طويلا ثقيلا بأكثر مما ينبغى...، فلعبة كشف الأوراق سارت بوتيرة متسارعة!!!

إضطرت جوانا إلى إنهاء الأمر.....، " حسنا يا مدحت...،ما قلته يستوجب التفكير.،،أما بالنسبة لما دار برأسك..،فلن يحدث شئ الإ إذا كانت لدى رغبة مماثلة....أرجو أن يكون ذلك واضحا لك

تماما حتى لا تلتبس عليك الأمور...،على أن أنصرف الآن... إلى اللقاء ".

غادرت، جوانا وبدا مدحت منهكا من آثار المواجهة النفسية والفكرية، فعلى الرغم من أنه بات فى منتصف الأربعينيات، إلا أنه لا يتذكر أنه خاض موقفا شائكا مثل هذا من قبل بكل ما به من حساسية وما يحيط به من حرج»

" إن الحياة فى الغرب بكل حيويته وتجاوزه كل التابوهات (المحرمات والمحظورات) مثل الدين والجنس،،، لابد أنها تكسب المرء حيوية وألقا بلا أى شك. هذة حقيقة... لو مكثت فى الزقازيق مائة عام لما حدث لى ما حدث اليوم... قد يحدث النصف الأول أو الثانى من المناقشة....،ولكن أن يحدث الجزءان معا.....، فهذا هو المستحيل بعينه!!!!

opeikan.com

(٦) سلوى.. وأياد...!!

تنامت العلاقة بينهما حسبما أراد كل منهما. جعل ذلك سلوى، بطبيعة الحال، تفسر كل موقف أو حركة أو إيماءة من إياد بأنها تصب فى النهاية المأمولة من تلك العلاقة.. صارا يتقابلان مرة أسبوعيا على الأقل.، للغداء أو العشاء.، وخلال الأسبوع يتبادلان عدة إتصالات أو رسائل إلكترونية... شيئا فشيئا، تبدى لها أن هناك نقطتين غامضتين لا يتحدث عنهما مطلقا..،هما عمله أو حياته الإجتماعية...، ماذا يعنى تحديدا خبيرا إستشاريا؟!!... مثل تلك المسميات تستهدف تحقيق الرفعة أو المكانة دون أن توضح بالقدر الكاف طبيعة العمل.

عدة مقابلات أخرى...، وإستهلت سلوى كلامها معه...!!

-"إياد.. أنت لم تحدثنى أبدا عن عملك"..؟!!

-" كيف...قلت لك يا سلوى.. أنا خبير إستشارى هنا فى لندن منذ سنوات..، وعملى يتصل بعدة دول أوروبية أيضا".

-"أعذرنى لجهلى.. ولكننى لا أعرف ماذا تعنى تحديدا"..؟!!

-"أنا خبير إستشارى، بمعنى أننى أتولى تقييم مخاطر الإستثمار العقارى بكافة أنواعه فى ضوء إعتبارات السوق أو السياسة أو غيرها..، مثلا لو أرادت الشركة شراء مقر لها فى دولة أفريقية،فيجب بالتوازى مع دراسة الجدوى الإقتصادية العادية، أن أقوم بعمل بحث لإستقراء آفاق الوضع السياسى... يعنى...، إستقرار...، إضطرابات...، حروب.... " فهمتى على"...

-"الله ينور عليك... دلوقت فقط " فهمت عليك"... " (قالتها وهى ضاحكة...)

-"سلوى...، إيش موضوع العمل...، ما بدنا نتكلم فيه...، عن جد صحيح...، الزلمة منا يقعد مع بنت حلوة...، ويتكلم على العمل... ما يصح "!!

ضحكت سلوى قائلة..." زى ما تحب يا أياد...، بس أنت قلبت ليه على اللهجة الفلسطينية...،

ما أنت بتتكلم مصرى كويس " فهمت على "!!

-إذا بتريدى...

-"أياد... أنت تقريبا عرفت كل شئ عنى... لماذا لا تحكى لى عن حياتك فى لندن"؟!!

-ماذا تودين أن تعرفى؟!!... " أنا هأحكى مصرى أهه "!!

-"يعنى ماذا تفعل بعد الشغل... يعنى بتخرج فين...، بصراحة كده.. لماذا لم تتزوج حتى الآن؟!!

-"أيش يـ سلوى... عاوزة تعرفى كل حاجة...، قالها ضاحكا... " أنا حياتى كلها عمل... أنا مواطن انجليزى حاليا.. ولكن " الفلسطينى " بداخلى مازال موجودا.. يعنى لابد أن أعمل بكد وتعب حتى أؤمن وجودى هنا. شئ صعب يا سلوى... ألا يكون للإنسان دولة أو بلد يمكن أن يعود إليه وقتما شاء. أنت لا تعرفين هذا الشعور ولم تجربيه...، شئ صعب ومخز أن يكون جواز سفرك الفلسطينى مدعاة للشك والريبة فى أى مطار... حتى لو كان مطار القاهرة.. لا تؤاخذينى... نحن شعب غير مرحب بنا. عندما حصلت على الجنسية البريطانية... شعرت أننى ولدت من جديد.... وصار الإحترام قرينا لكل تعاملاتى.! حتى أقاربى من القطاع والضفة صاروا يعاملوننى بشكل مختلف!!!... زمان عندما عدنا مع أبو عمار إلى القطاع فى منتصف التسعينيات.. عاملونا سيئا.!!!. سكان القطاع كانوا ينظرون إلينا نحن فلسطينى الشتات الذين عاشوا فى مصر وتونس وأوروبا... على أننا من إستفادوا بالقضية وتاجروا بها...، فلم نذق شظف الحياة وقسوة المعاناة مثلهم.... أقوالك شيئا مضحكا...، ذهبت مجموعة من فلسطينى الشتات بعد العودة بشهور إلى أبو عمار يشكون إليه سوء معاملة وغلظة أهالى غزة معهم...، فقال لهم " بدى أيش أعمل... هؤلاء شعبكم.. يعنى أجيبلكم شعبا تانيا "!...

-"صحيح معك..حق.. أنت ما عندك يا أياد" (كانت مداخلة قصيرة مقصودة.. حتى لا تقطع عليه الإسترسال فى جلسة الإعتراف هذة التى إنتظرتها طويلا)..

-"عندما إستقرت أمورى..،وتجنست وحصلت على عمل تزوجت من فتاة من ويلز"...

-(كان وقع كلمة زواج... على سلوى سيئا للغاية): "تزوجت... تزوجت... أنت لم تقل لى أنك تزوجت من قبل..."!!

-"ليش يـ سلوى...، ليش توقعت إننى لم أتزوج...، أنا عندى 39 سنة...،وأحنا "الفلسطينية" بنتزوج صغار فى أوائل العشرينيات وليس مثلكم يا مصريين.."!!

- (تضرج وجهها قليلا بالحمرة....،الإ أنها حاولت إخفاء تضررها مما سمعت وقالت)..." وبعدين"

-"أنجبت طفلين... مريم وعمار... مريم 7 سنوات وخمس سنوات".

تواليت المفاجآت غير السارة على سلوى...وكأن المصائب لا تأتى فرادى...، أطرقت فى هدوء دون أن تحرك شفتاها، وتظاهرت بأنها تعبث بالمحمول، ثم إستأذنت دقائق للتوجه إلى دورة المياة.. ذهبت إليها شاخصة..، ونظرت إلى وجهها فى المرآه فوجدته شاحبا،.... غسلت وجهها.. ثم أخرجت البودرة والروج وطفقت تصلح من ميكاجها،.. كانت تريد ألا تبدو ضعيفة أو منهزمة أمام الموقف المتطور على غير صالحها،.ثم عادت إليه...

-"إيه يا أياد..وبعدين "!!..

-"بعد ذلك..، قررت أنا وزوجتى أن ننفصل عن بعضنا...، لم نألف الحياة سويا....، كان بداخلها شعور بالإستعلاء أظن أنها حاولت كثيرا أن تخفيه...، بذلت مجهودا حقيقيا لكى تخفيه...!! بالتأكيد كانت على قناعة بداخلها أننى أقل منها كثيرا..، فهى بريطانية أصلية...، أما أنا فبريطانى.. "كورى أو تايوانى.. يعنى تقليد".!! هى حازت على تعليم راق... بينما أنا تعلمت فى مصر..، ثم إستكملت تعليمى هنا وهناك...، هى أكثر ثراء منى بكثير وتمتلك منزلا بويلز واخر بلندن. أنا بدورى دخلى جيد جدا..، ولكنى لست على نفس الدرجة من الثراء...، ناهيك على إختلاف الثقافات... أقولك شيئا.. مثلا أنا كفلسطينى الجنسية والتفكير..، لا أرضى أن زوجتى تقبل أغرابا...، قولى عنى متخلفا.. ولكن هذا شأنى..، أنا بطبعى فوضوى.. وهى شديدة التنظيم والنظافة... قولى على ما تشائين.. ولكن هذة طبيعتى.. وهذا شأنى "!!

-"يعنى..حدث طلاق يا أياد"...!!

-"الطلاق هنا إجراءات معقدة،ويترتب عليه تبعات مالية كبيرة...... هى فى مثل هذة الأمور.. تتمسك بالثقافة البريطانية...، مقولة " هذا ليس عدلا " ذائعة الصيت هنا....، قررت أنها طالما هى التى طلبت الانفصال...، فإن العدالة تقتضى أن تتحمل هى التبعات وألا تضر بى ماليا أو إجتماعيا... هذا من وجهة نظر العدالة التى تتمسك بها.. لذلك، قررنا الإنفصال فقط..، وليس الطلاق الرسمى.. وذلك الى أن تقرر هى أن تتزوج، فيحدث ذلك!.

- "لا أفهم... لماذا إجراءات الطلاق المعقدة..، ربما يصح هذا فى الزواج الكنسى.. أعرف مسيحيين يضطرون إلى تغيير الكنيسة لتيسير إجراءات الطلاق...، أما بالنسبة للمسلمين فلا توجد مشكلة.. هل تزوجتها بالمسجد أم تزوجتها مدنيا..!!

-"تزوجتها مدنيا.. وفى الكنيسة أيضا..... بناء على رغبتها"!!

تعقد الموقف كثيرا...،حتى بات صعب الإحتمال..، فما قاله اياد.. كفيل بتقليل إحتمالية

المشروع المستقبلى المستهدف... لم تتفهم كيف لمسلم أن يتزوج بالكنيسة!. ولكنها ربطت ذلك بما قاله إياد عن شعور القهر المتولد بداخله من عدم وجود دولة له....، ولربما كان سعيه للإرتباط بها نوعا من الحماية المفتقدة..، أو بسبب رغبته فى تسريع إجراءات الحصول على الجنسية البريطانية... الله أعلم.... أه..إن الأزمة الفلسطينية تركت آثارها على الأمة العربية كلها...، ويبدو أنها لن تكون إستثناء فى هذا الأمر أيضا!!.

-"والأولاد يا أياد... عايشين فين"؟!!

-"عايشين مع أمهم...، هكذا إشترطت وأنا وافقت...، ولكنى أنفق عليهم بالتساوى مع ما تدفعه.. ترسل لى الفواتير كل شهر، فأقوم بتحويل نصف المبلغ تلقائيا إلى حسابها فى البنك".

رغبت سلوى فى إنهاء المقابلة غير السعيدة عند هذا الحد... هل يمكن أن تتزوج فلسطينيا منفصل عن زوجته دون طلاق - على الأقل مرحليا -، ولديه طفلين.. أين كان عقلها؟!!.. لماذا لم تستبصر فى تبعات الأمر فى مكمنه؟!!... أنها حتى لم تكلف نفسها عناء البحث عن أصله وفصله مثلما يفعل لناس فى مصر...، ما قاله لا ينفى إحتمالية أن يكون معجبا وراغبا فى الإرتباط بها... ولكنه يقلل كثيرا فرص النجاح....!!... يبدو أنها تسرعت فى إنهاء " إحتماليتها " مع القنصل محمد.... ترى لماذا توقف عن السؤال عنها طوال الأسابيع الماضية؟!!..

(٧) لقاء أدجوار رود...
ويتجدد الشجن!!

طوال الشهر المنصرم، كانت مرارة الهزيمة الفكرية عالقة فى حلق سلوى...، إذ إستشعرت أن الجميع تكالب عليهم وأضعفت كثرتهم وحججهم منطقها. هى لم تدافع عن الرئيس مبارك أو ما يرونه ديكتاتورية أو ديمقراطية منقوصة فى مصر بتاتا. فقد أرادت أن تقول أنه يستحيل أن يكون الرئيس مسئولا عن كافة مصائب مصر...، وكأن المصريين شعبا من الملائكة الأطهار الغر المحلقين. كما أن التقييم العلمى لا يجب أن يغفل الايجابيات مهما كانت الأوضاع حاليا. كانت متربصة ومستعدة لإستئناف النقاش أيا كانت التبعات!!

تحلقوا حول مائدة كافيه الدار.. وكالمعتاد تناثرت الأحاديث والأقاويل بشكل إستكشافى تمهيدى!. تزايدت المناورات الكلامية والتى عكست تربصا من كل منهم حيال الآخر...، إلى أن انتهزت سلوى فرصة الحديث عن الإنتخابات البرلمانية المقبلة فى بريطانيا والتى يتوقع ألا يحافظ حزب العمال فيها على مكانته الجماهيريه، لتعرج إلى تناول أوضاع مصر مجددا.

سلوى : ألا ترون... الديمقراطية ليست كلها خير.. ممكن أن تجلب أحيانا عدم الاستقرار.. (قالتها ضاحكة على سبيل المداعبة وإستدراج احدهم للكلام)!..

مدحت: (لأنه أكبرهم سنا كان أقلهم صبرا.. فاندفع للحديث)... "أنت يا سلوى تقصدين الإستقرار.. ولا الموات. أصل اللى أحنا فيه بمصر - ولا مؤاخذة - ليس إستقرارا، ولكنه موت.. أو بمعنى أصح ضرب أفضى إلى موت.! الشعب جثة هامدة.. والحكومة عديمة الفكر والرؤية!!... بالذمة كده.. هل عمرك وجدت حكومة تقيس إنجازاتها أمام رئيس الجمهورية بإرتفاع حجم القمامة التى يتم تصريفها؟!!.. يا دكتور محمود يا بتاع القانون...، يا دكتور أحمد يا بتاع الإقتصاد..،

فى حاجة زى كده فى الدنيا... أن تقيس الحكومة نصيب الفرد من " القمامة " بإعتباره مؤشرا لإرتفاع حالته الإقتصادية والإجتماعيه... والله لو كنا بهائم فى دولة تانية.. كنا عوملنا أفضل من ذلك!!...

خشونة لتعبير إنعكست على الحضور.. خاصة أن مدحت لم يرفق بتعبيـــره كلمتى (ولا مؤاخذة) اللتين يقولهما دوما عند رغبته فى قول شئ غير لائق أو نكتة غير مهذبة أو ما شابه...

محمود : "يا سلوى.. الإستقرار شئ جميل إذا ما كان مرتبطا بالتنمية والتطور...، يعنى إستقرار مرتبط بالجمود مثل حالتنا يعنى شئيا شديد السلبية"!!

هنا صاح أحمد قائلا : "أنا أختلف معك هذة المرة يا دكتور محمود..... (شخصت الأبصار.. إذ توهموا أن أحمد مشتهر قد قرر الإنضمام إلى معسكر سلوى المؤيد لإستمرار الوضع)... إلاّ أنه عجز عن كتم ضحكته الساخرة قائلا..."للى إحنا فيه ليس إستقرارا مقرونا الجمود...، اللى إحنا فيه "ولا مؤاخذة" (.. قالها مقلدا طريقة مدحت فى نطقها) هو إستقرار مقرون بتدهور المكانة....

ضحك الجميع بدرجات متفاوتة، فإلتقطت سها خيط الحديث..

سها : "صحيح يا أحمد...، الخدمات أصبحت سيئة جدا...، يعنى الزبالة التى يتخذونها مقياسا إقتصاديا..، وحقيقة الأمر لا أعرف من العبقرى الذى أفتى بذلك...، أو أى نوع من أنظمة الحكم الذى يتنبى هذا المنطق من التفكير.، لا يتم إزالتها بانتظام....أنا لا أتحدث عن المناطق البسيطة بل عن وسط البلد..،العجوزة.، المعادى...،المهندسين... حتى الزمالك!!.. والناس باتوا يتعايشون.. ويتقبلون الوضع فى إستسلام وكأنه قدر لا فكاك منه".!!

نادية : "صحيح يا سلوى..، حتى مخلفات المستشفيات التى يفترض أن يكون بها قدر من الخطورة يتم إلقاؤها بشكل غير آدمى...، والخطير أن بعض المنتجات الطبية مثل أكياس الدم والحقن يتم إعادة تصنيعها رغم تلوثها كلعب أطفال وأدوات منزلية.! كل ده.. والناس صابرون "!!

مدحت : "الناس ليسوا مستحملين ولا صابرين...، الناس صاروا موتى... صدقينى لا أمل... حسنى مبارك حولنا إلى شعب مثل البهائم تأكل وتشرب وتمارس الجنس وتشاهد مبارايات كرة القدم وكفى.!!. عارفين يا جماعة الراجل ده مرة سألوه عن دخوله التاريخ من باب إنجازاته يعنى... تفتكروا رد قال إيه " أنا لا عايز أدخل تاريخ ولا جغرافيا.. أنا عاوز الناس تلاقى لقمة العيش.." وكفى..

أحمد : " هو يتصرف مثل ضابط فى المعسكر.. أهم شئ عنده توفير احتياجات المؤن لجنوده.. لا يوجد أى شئ أخر".

محمود: " معكما حق... هو لا يعنى بوضع فكرة جامعة أو ايديولوجية لنظام الحكم.. يحكم بالأمن وكفى".

سلوى : (بدا التوتر قليلا فى صوتها)...يا جماعة أحد عيوبنا هو عدم القدرة على مواجهة الذات.. خلينى بقى أقولها بوضوح أحنا عندنا مشكلة مجتمعية أكبر بكثير من مبارك لو اعتبرناه مشكلة.. مشكلة شعبنا أنه شعب لا يعمل... نعم نحن شعب كسول لا يحترم قيم العمل... شاهدوا سلوك العمال والفلاحين... (قالتها دون النظر الى مدحت).. لا يعملون اذا كان لديهم ما يكفى تكاليف العشاء.. لماذا نخدع أنفسنا؟؟؟نحن شعب لديه تراث كبير فى عدم احترام القانون أو النظام... وهو ما من شأنه إعاقة أى جهود للتنمية...شعبنا غير متميز فى أى شئ سوى التكاثر بلا سبب... لدينا ثقافة رديئة تستعذب الفقر...ترى أن الشرف مرتبط بالفقر... لذا من الأفضل أن يبقى الانسان كسولا فقيرا دون السعى لإنماء نفسه والاكتفاء بالحقد على أى ناجح أو غنى.. شعبنا ملئ بمثبطات التنمية " ونحن النخبويين نكتفى بالهجوم على مبارك ونظامه.. طب لو مشى دلوقت.. ما هو البديل إذن؟!!

محمود : (متحقنا) "هاضطر أعيد اللى ذكرته سلفا يا سلوى... هل حصل المواطن المصرى على رعاية وتربية من الدولة حتى يكون الناتج أفضل مما هو عليه...؟؟.. هذة مسئولية من يحكموننا كالبهائم.. يوفرون الأكل والشرب وبعض المواصلات - بدرجات متفاوتة من الصعوبة -، ثم يتركون الشعب بلا أى متعة سوى التكاثر وممارسة الجنس!!. هل تعلمين يا سلوى لماذا ينجب المصريون كثيرا.. لأن الانجاب هو البديل فى ظل عدم وجود نظام تأمين اجتماعى شامل...فالبسطاء يستشعرون الخوف من الشيخوخة فينجبون أبناء كثر لمساعدتهم مستقبلا".!!

سها : "ما تقوليه يا سلوى هو أكبر إدانة لهذا النظام.... هذا النظام لو كان لديه قدر من الأمانة لأعد قيادات الصف الثانى والثالث فى كل وزارة أو منشأة. ما حدث أن هذا النظام قتل وسحق أجيالا من بعده حتى لا يكون هناك أى بديل...، حتى تأتى فتاة مثلك فى مقتبل شبابها.. لكى تتساءل...ما هو البديل...؟"!!...

مدحت :... (ساخرا)... "بإعتبارى أكبركم سنا... أقول لكم أن مصر لا يوجد فيها غير قوتين رئيسيتين منذ ثورة يوليو وحتى الآن...، بإمكانكم إغفال أى شئ أخر بخلافهما... الحزب الوطنى الذى يقولون أن عدد أعضائه تجاوز ثلاثة أو أربعة ملايين.. كلام فارغ...، الأحزاب الأخرى مثل الوفد والتجمع... كلام فارغ...، مجرد أحزاب ترتكز على صحف وجماعات مثقفين تقدر بالمئات.. بل لعلها مجرد صحف معبرة عن تيارات فكرية لا أكثر ولا أقل....، رجال الأعمال... مركز قوة جديد

فى المجتمع. . ولكنهم " يتلموا " فى نصف ساعة... ورأس المال لا ولاء له...الداخلية تعرف العداء بينها وبين الشعب وهى فى خدمة الحاكم..يعنى لو سقط تسقط معه أو تغير ولاءها "،

. ثم أضاف (بنبرة الحكيم الواثق من علمه)... "ما أقصده هو أن الجيش والاخوان.. هما وحدهما منذ أيام ناصر ونجيب.. أو بمعنى أصح نجيب وناصر.. هما القوتان الرئيسيتان فى المجتمع...، شاء من شاء.. وأبى من أبى... على رأى أبو عمار"..!!

سلوى : (وقد انتفخت أوداجها) "عليك نور يا دكتور مدحت"...

مدحت : (معقبا بسرعة)... "لأ دفعته"....

يضحك الجميع إستعدادا وتوجسا للمواجهة الفكرية القادمة التى سرعان ما بدأتها سلوى قائلة:"يعنى إذن البديل عن الرئيس الحالى...، لو إستبعدنا ابنه...، يصبح الجيش.. أوالأخوان المسلمون... يعنى كده.. ننسى أى تطور... الجيش لو حكم سيكون إستنساخا لفترة الستينيات... وبعدين دى " موضة " إنتهت فى العالم كله...، يتبقى البديل الاخر... " الأخوان "...

محمود : "ما هو مبارك نفسه الذى سمح بالوضع ده. كنت أقرأ فى مكتبة الجامعة تقريرا دوليا عن أوضاع لتنمية البشرية بالمنطقة العربية...، وجدت تعبيرا لطيفا... يقول إنها " شرعية الإبتزاز "... أى أن النظام سواء فى مصر أو غيرها... يبقى على فزاعة الاخوان أو الجماعات عموما....، ليكون هو البديل الأوحد. هكذا يضمن أن الغرب سيظل راضيا عنه وعن التوريث بعد عمر طويل،.. وكذلك الاستحواذ على قدر كبير من الرضا الداخلى المأمول واللازم..، فوجود مثل تلك الجماعات وحده كفيل، بترويع الأقباط وذوى التيارات السياسية، و شرائح المثقفين،والموظفين،وغيرهم مما يعلمون أخطار المزج بين الدين والسياسية!. فى تقديرى هذا الوضع غير وطنى وغير أخلاقى لأنه قائم على الإبتزاز "..

أحمد : " فعلا... مبارك لو لم يضعف الحياة السياسية مثل ناصر، لما كانت تلك الجماعات هى البديل الاوحد لنظام الحكم..لو كان للاخوان حق العمل السياسى العلنى لما اكتسبوا كل تلك الشعبية!"..

سلوى : "يعنى بجد بجد مش فاهمة.. عاوزين تدمجوا الأخوان فى الحكم ولا أيه؟!!.. الرئيس لابد أن يرضى الجميع....مش كده ولا إيه يا دكتور مدحت"!!

محمود (مقاطعا): "... يا سلوى... الدين والسياسة مختلفان كلية... الدين مقدس وسماوى وثابت.. والسياسة غير مقدسة ومتغيرة...، الدين يضطلع بشئونه علماء ترفعوا عن الدنيا أو هكذا يفترض أن يكونوا...، أم السياســة فيمارسها أهلها..، وهم على مدار التاريخ لم تكن أغلبتهم من

الزاهدين!! يعنى الدين بطبيعته لا يحتمل التفكير والجدال فى القضايا الإيمانية.. مثل لماذا نصلى خمسة مرات أو نصوم رمضان كله...، أما السياسة فهى بطبعها جدلية...، ولذلك فأنا ضد أى مزج بين الدين والسياسة على الإطلاق "!!

أحمد : "صحيح ولكن ماذا نفعل بهم!!! نقصيهم مثلا...، هم حقيقة لابد من التعايش معها وقبولها... الدكتور البرادعى نفسه له تصريحات يفهم منها ذلك.. لابد من إدماج الجميع فى الحياة السياسية ومنهم الأخوان"..

مدحت ضاحكا...: "فاكرين مسلسل زمان.. كان يطلع شخص بيقول " أنا البرادعى.. يا مش عارف مين"..، أحنا بقينا كده فى مصر... النظام خائف من شخص... شئ مخجل.!!..

سلوى : "الجماعات دى نتاج أوضاع اقتصادية وإجتماعية متردية"...

سها: "ربما يا سلوى...، ولكن الأمر ليس كله هكذا. فى البنك عندنا أخوان..، وناس أخرين يقال عنهم صوفيين أو سلفيين مش عارفة بالضبط...، والفريقان لا يطيقان بعضهما... البنك زى ما أنت عارفه مرتباته جيدة...، وبالتالى.. لا توجد مشاكل إجتماعية أو إقتصادية مثلما تقولين!!

محمود : " الأمر مثلما تقول سها (إنتعشت سها عند سماعها لتلك الكلمات).. ليس فقط مرتبطا بالإقتصاد أو المشكلات الإجتماعية....، الموضوع متعلق أيضا بالفكر...، يعنى طالما كان هناك فكر يؤمن به إنسان.. لا يهم هنا أن يكون غنيا أو فقيرا..، لابد من التيقن من صعوبة الوضع..، فالفكر بطبعه لا يقهر!!

سها : "ومن أين جاء هذا الفكر يا محمود...؟"!! (قالتها بشئ من الإعجاب وكأنها تود أن تعطيه فرصة وافية لإستعراض ثقافته)...

محمود : "هذا الفكر فى العصر الحديث نبع من مصر.. تحديدا مع إنشاء حسن البنا لجماعة الأخوان المسلمين عام 1928 كرد فعل لانهاء الخلافة العثمانية وما كان يموج به المجتمع من أزمات مجتمعية وأخلاقية بسبب الاحتلال ووجود الاجانب عندئذ. أنا لا أدعى علما فى هذا المضمار... لكن الكثيرين يعتقدون أن غالبية جماعات الفكر المتطرف خرجت من عباءة الإخوان"... قديما يمكن أن نقول أن الفكر المتطرف موجود فى كل حقبة، ومنهم فرقة الخوارج المعروفة..، وهناك من ينسب التفسيرات المتشددة للائمة مثل بن تيمية والمودودى الذين عاصروا فترات الغزو التتارى وما تلاها بنكباتها الكبيرة وقسوتها الهائلة!!

مدحت : "هناك عامل آخر يا سها (أراد أن يقطع فاصل العزف الثنائى بين سها ومحمود وذلك لإغاظة سها)... هجرة المصريين إلى الخليج فى السبعينيات والثمانينيات نقلت إلينا ثقافة أخرى..،

obeikan.com

تفسيرات أخرى للدين...، عندنا فى البلد..كل واحد كان يرجع من الخليج يقوم يبنى بيتا بالطوب الأحمر...، قال يعنى خلاص بلغ المجد..، ويتفاخر بما جلبه معه من أجهزة.. تلفزيون، مروحة، كاسيت إلى آخره. بعد ذلك يرغب فى لفت الأنظار إلى أن التغيير الذى حدث له ليس ماديا بل وفكريا أيضا، فيرتدى جلبابا ويكثر من الذهاب للجوامع والزوايا.. ويستخدم مفردات إسلامية فى الحديث سواء بمناسبة أو غير مناسبة"...

أحمد : "تماما...علشان كده إختفت كلمة " ألو"..، وحل محلها " السلام عليكم "!!.. أقولكم شيئا مضحكا...لى صديق رجل أعمال..، وهو مثلى "فلاتى" يعنى تقدروا تقولوا عليه يعيش حياته بالطول والعرض..، ورغم ذلك عندما يتحدث فى التليفون... لابد أن يقول " السلام عليكم "!!... وعندما إختار سكرتيرة له..، إختار أكثرهن دمامة وإشترط عليها إرتداء الحجاب...، صارت تلك الأمور جزءا من Image أو مثلما يقول علم الاقتصاد..الصورة التسويقية المرغوبة "!!.

محمود : "يعنى يا جماعة الموضوع له زوايا مختلفة...، فشل نظام سياسى عقيم فى إحداث تنمية مجتمعية ونهضة تشيع حالة من الأمل والتطلع لدى المستقبل لدى الجميع لاسيما الشباب..، وجود نبت فكر مغاير فى المجتمع المصرى منذ أيام حسن البنا وسيد قطب...، كذلك تأثير الهجرة الخارجية لدول الخليج زى ما قال الدكتور مدحت".!!

سلوى :..(صائحة).." عظيم جدا أن ندرك خطوة واقعنا المعايش...، طب مرة تانية البديل لمبارك ايه. . يعنى يمشى ويحكمنا الأخوان "!!

يصمت الجميع حائرا.... إلى أن يقطع مدحت حالة الصمت بعفويته الدائمة...

- "لا مؤاخذة يعنى... اللى يخاف من العفريت يطلع له..، يعنى لو أن هذا ثمن أن مبارك ونظامه يغور فى ستين داهية..، يبقى ما باليد حيلة...، وبصراحة كده.. نلبسهم مرة... ولا نفضل طول عمرنا خايفين منهم"؟!!!

سلوى :..(وقد بدا الإحتقان يظهر فى عروق رقبتها النافرة من إستمرار الإنتقادات لمنطقها).. "ما هو الكلام ده يا دكتور مدحت ممكن يودينا فى داهية..، لما يكون عندك بلد 80 مليون نصفهم تقريبا فى حالة أمية...، وتحت خط الفقر...، لا يمكنك أن تقامر بمستقبلهم.. ونقول نجرب الاخوان.. عارف حضرتك يعنى إيه نجرب الأخوان...، يعنى أن نختار بأنفسنا " الفاشية الدينية"... زى ما قال الدكتور محمود..، مزج الدين بالسياسة لابد أن يؤدى الى كوارث...، يعنى عاوزين تشوفوا كوارث فى مصر للتشفى فى مبارك ونظامه.!! بصراحة ده منطق غريب جدا.. يعنى أتفهم أن يقول هذا الأمر بعض الناس البسطاء...، ولكن حضراتكم أشخاص يدرسون الماجستير والدكتوراة فى لندن..،

يعنى إسمحوا لى ده منطق غريب.. بجد بجد.. مش قادرة أصدق"!!!

نادية وسها.. تقريبا فى نفس واحد... " ما ذكرتيه يا سلوى هو نفسه ادانة ذاتية لنظام مبارك.. يعنى إيه يقعد فى الحكم 30 سنة.. ومازلنا نعانى من تلك المشكلات.. أمية وجهل وفقر..."..

مدحت : "30 سنة من الفشل.. والكذب بشأن البنية الأساسية"...

أحمد : "يعنى مثلا نستمر معه أكثر - سواء مبارك الأب أو مبارك الأبن - حتى نصبح دولة فاشلة بمعنى الكلمة"..

محمود: "بصراحة يا جماعة أنا شايف أن هذا النظام إنتهى عمره الإفتراضى منذ عشرة سنوات تقريبا.. الرجل لم يعد لديه ما يقدمه... تقريبا اصبح مستهلكا.. نظام فى حالة شيخوخة وترهل.. أظن أن محاولة الاغتيال فى بورسعيد.. هى نقطة التحول.. أو بداية النهاية"...

مدحت: "يعنى إيه محاولة بورسعيد..، ده واحد غلبان ربما كان يريد اعطاءه طلبا أو ما شابه فقلته الحراس..، وحتى لو كانت محاولة اغتيال... يعنى خلاص المدينة كلها تعاقب.. الشعب كله يعاقب..، وهو يصيف أغلب السنة فى شرم الشيخ... ده فجور.. ولا مؤاخذة "!!...

نادية : "أظن يا محمود أن نقطة التحول - لو سمحت لى - ليست حادثة بورسعيد..، ربما تكون حادثة بورسعيد أثرت عليه نفسيا...، ولكن التحول الجوهرى حدث عام 91 عندما إحتاجت أمريكا مصر للمشاركة فى حرب تحرير الكويت..، الرجل من ساعتها إستشعر أنه صار أهم واحد فى المنطقة وربما فى العالم أيضا..!! الولايات المتحدة بجلالة قدرها تحتاج لمصر للمساندة بقوات.. وإعطاء غطاء شرعية عربية ودولية"...

محمود : "يمكن فعلا صحيح.. أنا أذكر أن حملات الإشادة به داخليا وخارجيا كانت تدار بشكل هستيرى..، خاصة عندما تمكن من إسقاط الديون العسكرية وكثير من الديون المدنية... أتذكرون أغنية نعم نعم من جوة القلب...، ولا أغنية " اخترناك"... " رسم الخطة ألف محطة فات نصها والباقى وراااه"..... ده إعلام كاذب..،ولا بتاع وزير الدعاية النازى جوبلز".

سلوى: ".. عظيم جدا....،أنا عاوزة أمسك فى النقطة دى...، يعنى إذن الرجل له انجازات... الرجل له بعض الفضل... يعنى ليس كل عهده بالسواد ده"...

محمود: "عارفين يا جماعة أنا عندى رأى... ولا أجهر به..الإ أمام الأصدقاء المثقفين الذين أثق بهم..(كانت تلك الكلمات وسيلة لإستلاب الإنتباه إلى ما يود أن يقوله)... أنا أعتقد أننا كمصريين مسئولين عن إفساد مبارك ونظامه...، مظاهر القداسة والتأليه التى أحاطت به كفيله بأن تذهب بعقل أكثر الرجال إتزانا نفسيا وعصبيا وذهنيا...، يعنى لا نعفى أنفسنا...!!! الإشادة المتواصلة..،

والزعم أن كل ما ينطق به حكمة حتى لو كان خطأ.. أضاعت الرجل وتاريخه ونظامه"!!

سلوى :(بلهجة يغمرها الثقة والابتهاج) "ما هو ده الذى أحاول أن أشرحه مرارا وتكرارا يا دكتور محمود.. هو ليس مجرما.. ولكنه إنسانا يصيب ويخطئ..، له إنجازات وإخفاقات..، ونحن لسنا شعبا مقدسا أو معصوما من الخطأ".

محمود: "(متقعرا ومحاولا إستعراض ثقافته كدأبه دائما).. أنا قرأت مقالة بالإنجليزية عن تاريخ الإمبراطورية العثمانية..، مش فاكر فين بالضبط..، ربما عندما كنت أتصفح جريدة أثناء تواجدى فى مكتبة الجامعة..المهم المقال يشير إلى أن النقطة الفاصلة فى تاريخ تلك الإمبراطورية العثمانية هو إحتلالها لمصر..، لو كنت فاكر صح أن هذا حدث 1518..، نقطة التحول هذة ليس – كما يؤكد المقال - لأن مصر دولة مهمة ورئيسية ومحورية إلى آخر هذا الكلام الذى لا يودى ولا يجيب.. الخ..، ولكن لأن المصريين أضفوا على السلطان العثمانى هالة القداسة الدينية..، أى تأليه السلطان مثل تأليه الفرعون..، يعنى إحنا بفسادنا أضفينا النزعة الدينية والسلطوية على الإحتلال التركى "!!..

سلوى : "أرايتم يا جماعة.. نحن شعب تركيبته النفسية والذهنية والاجتماعية معقدة.. نحن نفسد الملائكة – استغفر الله - لو تولوا حكمنا".

أحمد : "عارف يا دكتور محمود..، إيه السبب كمان فى تداعى هذا النظام، هو أن المختصين لا يراجعون الرئيس أو يقدمون له الصورة الحقيقية عن حقائق الامور.. مرة.. الرئيس كان بيفتتح مشروعا.. ووزير التعمير والاسكان أو المرافق..، مش فاكر بالضبط.. يقول له ياريس إحنا هنعمل ربط بشبكة المترو بين مدينة 6 اكتوبر بالقاهرة..، فقاطعه مبارك قائلا.. لا.. إحنا عاوزين الناس فى 6 اكتوبر يشتغلوا ويعشيوا هناك ولا يأتون للقاهرة!!!.. طبعا منطق خاطئ فى التفكير.. الكل أذعن وصرت كلمته العفوية قانونا.. لا يمكن مخالفته..، وصار الآلاف يعانون من الإزدحام يوميا لفترات طويلة فى الطريق على المحور بين القاهرة و6 اكتوبر.!! كان يمكن ببساطة أن يراجع المسئول الرئيس بعد فترة بدراسة جدوى حول خطأ تعليماته..، ولكن لا أحد يجرؤ فى مصر على فعل ذلك..!! هذا النظام سقط بالفعل وسيتداعى مثلما أتوقع فى حدود عامين أو ثلاثه بسبب إنسداد شرايين المعلومات بداخله..فقط علينا أن ننتظر شهادة وفاته"!!

نادية. (ضاحكة): "إنسداد شرايين إيه بس يا أحمد.. أنت مش بتاع إقتصاد وبتاع بنات.. هتتدخل فى عملى ليه بس".!!! ثم يضحك الجميع..

سها : "عارفين يا جماعة المشكلة الحقيقية إيه فى مصر؟.. أن النخبة فاسدة.. حقيقى أنظر

إلى تشكيلة الحزب الوطنى ولجنة السياسات...، تجد أغلب كفاءات الدولة... أساتذة الجامعات وخبراء وأطباء...، يعنى كل هؤلاء رغم علمهم وثقافتهم..، وأغلبهم مثلنا متعلم بالخارج لا يمانعون من القبول بفساد الحزب الوطنى وتزوير الإنتخابات مقابل الحصول على مناصب!!... النخبة المصرية فاسدة بالثلث "!!...

مدحت : "تقصدى مين بالنخبة يا سها"؟!!

سها : "لا أقصد شيئا محددا فى ذهنك يا مدحت...، النخبة هم أركان النظام الجدد... رجال الأعمال الذين يراكمون الثروات بشكل مهول بسبب مشروعات غير إنتاجية مثل شراء وبيع الأراضى..، يعنى نهبا منظما لكل شئ فى البلد...، أنا بحكم عملى فى البنك أعرف بلاوى كتير. على فكرة يا مدحت أنا عارفة أنك رأيك فى سلبى...، لو أنت فاكرينى من هؤلاء... يبقى أنت لا تعرف شيئا عن مصر.. نحن بالكثير قوى ممكن أن نكون ضمن الشريحة العليا من الطبقة المتوسطة...، تعريف الغنى فى مصر تغير كثيرا... حاليا من يمتلك ثلاثة أو أربعة ملايين جنيه يعتبر طبقة متوسطة ....!"

محمود : "معك حق يا سها...، لا يفترض فى الجميع أن يكونوا قادة أو على درجة عالية من العلم.. فى كل دولة...، النخبة هى التى يجب أن تقود وتعلم الجماهير..، الحديث أن الجماهير هى التى تعلم والشعب هو السيد...، هذا كله كلام فارغ مع إحترامى بالقطع للناصريين...، الحقيقة أن النخبة فى مصر لا تقوم بدورها!!.... أبسط حاجة قارنوا بين أغنياء أمريكا وأغنياء مصر... منحة فورد.. أعتقد أنها جاءت من رجل الأعمال الشهير فورد..، عائلة لكفورد تفعل نفس الشئ.. وبيل جيتس وبافت كونوا صندوقا تنمويا بحوالى 70 مليار دولار!!.. الشئ الذى أوقن به تماما أن حجم مساهمة الأغنياء ورجال الأعمال فى تحسين الظروف المعيشية بالمجتمع لا يقارن أبدا بما حصلوا عليه على حساب الشعب كله!!... يعنى مثلا دعم الطاقة.. شوفوا يتكلف كام..مليارات.. ناس بتقول يمكن يصل الى 20 مليار جنيه سنويا، بينما قطاعات خدمية مثل التعليم والصحة هى الأولى بتلك الأموال...، الأراضى يحصلون عليها بتراب الفلوس ثم يبيعون المتر بالالاف...، ناهينا عن الإعفاءات الضريبية المبالغ فيها... أو أن بعض مشروعاتهم ما عاد يسمح بإقامتها فى الدول الأوروبية المتقدمة لأنها ملوثة للبيئة مثل الأسمنت والسراميك والرخام"...

مدحت: "معكم حق يا جماعة..، لكن تعرفوا بجد أن ما يقال عن النخبة المالية لا أهتم به كثيرا... يعنى اللى عاوز يدفع أو يتبرع.. هو حر...، ولكن الأهم هو دور النخبة المثقفة.. هؤلاء الذين يأكلون على كافة الموائد ويبررون ما لا يمكن تبريره....هؤلاء على قدر من علم... فلماذا

obeikan.com

يقبلون أن يكونوا جزءا من نظام فاسد.." هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون "؟؟!!

أحمد "ربما يريدون الإصلاح من الداخل..أحدهم قال مثل هذا الكلام من قبل.، أنه يريد الإصلاح من الداخل.، صحيح لا أعرف كيف رغم أن الجميع يرى أن الخارج فاسد والداخل عفن منذ زمن "!!

نادية : "فعلا لا يمكننى أن ألتمس عذرا لأى شخص لديه قدر من العلم......، ألا يعرف هؤلاء المثقفون البلاوى التى يكابدها الشعب...، ألا يعرف هؤلاء الطريقة التى يعامل بها الناس فى أقسام الشرطة...، ألم يسمعوا شيئا عن التزوير والتعذيب.. وغير ذلك الكثير.

مدحت : "نخبتنا المصرية هى سبب نكبتنا...، أذكر أن حديثا للرسول عليه الصلاة والسلام.. بذات المعنى...، يعنى مش فاكر المنطوق بالضبط..، ولكن معناه أن هناك بطانتين لأى حاكم..، تقوم الأولى تدفعه إلى فعل الخير..، والثانية تزين له الشر. أظن أن المحيطين بالرجل من الفئة الثانية أو على الاقل من فئة الشيطان الأخرس الساكت عن الحق على أفضل تقدير"!!!.

نادية : .. " أننى أختنق فى مصر عند التعامل مع الجهات الحكومية والشعب على حد سواء"...

سلوى "يعنى لا الرئيس عاجبكم ولا طايقين نظامه...، ولا مرتاحين للنخبة...، وكمان تنتقدوا كمان الشعب... طب نعمل إيه؟!!... يا جماعة السياسة هى فن الممكن...، وما هو قائم بمصر حاليا هو معقول - على الأقل مرحليا - فى حدود ما علمت ودرست...أقولها مجددا.. لو سقط نظام مبارك..، سواء بالوفاة أو حدوث إضطرابات أو ثورة جياع أو ما شابه...، فسنكون نحن أول المتضررين. !!.. زى ما سها بتقول إحنا شرائح الطبقة المتوسطة العليا التى ستضرر كثيرا وستتحول حياتها إلى لجحيم.! الفقراء منغمسون فى فقرهم فى كل الأحوال...، أما الأغنياء فلن يحدث لهم شئ...، كلهم أو معظمهم يحملون جوازات سفر أجنبية... أمريكانى.. كندى.. بريطانى...، وكل أموالهم وممتلكاتهم بالخارج... يعنى كل واحد سايب فى مصر شوية ملايين كده لزوم العيشة..، بينما العكمة الكبيرة بالخارج... لو حدث شئ.. كل واحد هيركب طائرته الخاصة..، ويقول يا فكيك.. وإحنا اللى هنلبس فى الحيطة... ما أراه أن مصر لن تكون دولة فاشلة - كما يقول أحمد - نحن لدينا كافة مقومات التنمية..، صحيح توجد عيوب فى توزيع عوائد التنمية بشكل عادل على كافة فئات المجتمع..، ولكن ده لازم هيحصل.. trickle down ده شئ طبيعى...، لازم هيحصل..، هناك مشكلات صحيح..،بس فى طريقها للحل.. لو كنتم عاوزين بديلا لنظام مبارك..،فأحب أن أبشركم أن كده فعلا هنصبح خلال عام أو عامين من حكم الاخوان دولة فاشلة بجد..، وهنتورط فى الداخل والخارج.!! الأخوان ليس لهم إنتماء لمصر.. ولكن الولاء كله لمشروع الجماعة الإيديولوجى...،مثل أن

حماس ليس لها ولاء لفلسطين. لو ده حصل تذكروا كلامى كده...، هنكون أحنا أول المتضررين – ولا مؤاخذة فى التعبير على رأى الدكتور مدحت – إحنا اللى هنتنفخ "!!!

إنتهى اللقاء وغادر الجميع...، وما ذكرته سلوى عن كون الاخوان هم البديل الوحيد لمبارك يتردد فى جنبات عقولهم...، وإجابة مدحت تفزع بأكثر مما تهدئ...، هل يمكن أن يحكم الاخوان مصر؟!!.. وماذا ستؤول إليه الأمور..؟!!.. هل ستتحول مصر إلى الصومال أو أفغانستان أو غزة تحت حكم الفاشية الدينية لو جاء الأخوان أو من هم على شاكلتهم؟!!!..، أليس إستمرار نظام مبارك على كل ما فيه سوءات أفضل من القفز إلى المجهول...؟!! هل توجد فى مصر نخبة قادرة على الحكم يمكن أن تظهر كخيار ثالث بين مبارك والاخوان؟. عموما إقترب العام الدراسى من الإنتهاء...، وحان وقت التركيز على المذاكرة والبعد عن مثل هذة الاسئلة الفلسفية التى يعجز قرابة 80 مليون مصرى عن التبصر فى مآلاتها بسبب أن مصر كلها تغط فى سبات عميق وتتدثر بفساد مستحكم.. الكل يعيش ويتعايش مع الفساد والتسول بشكل أو بأخر.. والحياة مستمرة!!

obeikan.com

obeikan.com

الفصل السابع

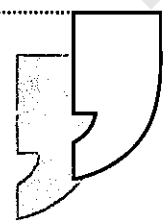

خيارات واختيارات

obeikan.com

(١) محمود.. وكاتيا...؟!!

بات كلاهما يدرك أنها صداقة يصعب تنميتها إلى ما هو أكثر من ذلك. فمحمود يرى أن فارق السن هو العائق الأول.. إذ كيف يتزوج من فتاة تصغره بخمسة عشرة عاما على الأقل؟!!. فالفجوة العمرية كبرة ويصعب تجاوزها... أسرت له كاتيا ذات مرة أنه كانت لها عدة علاقات من قبل...، معنى هذا أنها ربما تكون قد مارست الجنس مع آخرين!!. محمود بحكم تربيته ودرجة تدينه يرفض رفض تاما مثل تلك الأمور....، هذا فضلا عن إختلافات الديانة والثقافة، وهى أمور يصعب تجاوزها الإ بجهد جهيد..

كاتيا أبضا بدورها إرتأت أن محمود هو نتاج بيئة مغايرة تماما.. فى الثقافة واللغة والدين...، فطبيعى أن يكون الإدراك متباينا بينهما...، والنظرة تجاه الحياة إجمالا!! تدرك بالفعل صعوبة أو إستحالة الزواج..، فهو مصرى مآله العودة إلى مصر مثلما ذكر مرارا...، وهى روسية تود أن تعيش وتعمل بالغرب، ولم لا فهى تمتلك كافة الإمكانات اللازمة لذلك..، ولديها الطموح والطاقة والشباب، فكيف تقنع بأن تكون زوجة لمصرى يعيش فى مصر.؟؟!!

رغم صعوبة التلاقى بين المشرق والمغرب...، وهو أمر يوقن الإثنان بعدم امكانيته، تواصلت صداقتهما وتعددت لقاءاتهما!!. لكى نكون أمناء يجب أن نقول أنها لم تكن صداقة خالصة...، بل هى صداقة تخالطها المشاعر..، ربما درجة ما من الإنجذاب العاطفى....، مشاعر مشبوبة ولكنها مكبوتة.. طاقة لا تجد مجالا لكى تنفس عن نفسها.!!

فى إحدى اللقاءات...، تنزها سويا فى حديقة ريجنت بارك. كانت الأجواء مفعمة بالحيوية.. والزهور تتألق جمالا خاصة أن برودة الشتاء قد ولت... ولاحت بوادر صيف لندن القصير دوما - إذ لا يتعدى عدة أسابيع - والرائع دائما!! ودون تعمد..، وجد الأثنان كفيهما وقد تشابكا. ربما محمود هو من بادر بأن قبض على يد كاتيا التى بدورها وجدت بنفسها ذات الرغبة. المهم سار

الأثنان وقد إستشعرا ثمة راحة وهدوء وإستحسانا من هذا الإتصال الجسدى المحمود الذى جعل طاقتهما النفسية والروحية تسـرى وتتناقل فيما بينهما فى هدوء لمدة لا تقل عن ربع ساعة وهذا ما لم يحدث من قبل. فالإنسان دائما بحاجة إلى من يلمسه ويربت على كتفيه وظهره.. فالجلد البشرى يجوع ويعطش وكأنه كائن حى.

- "إستمتع دوما بصحبتك يا محمود، وأريد أن أتناقش معك فى شئ ما. لكن أرجوك أولا ألا تربط تلك المناقشة بعلاقتنا.. فلقد تفاهمنا أنه لا توجد إمكانية للزواج لإختلاف مسار حياة كل منا، وإن كنت غير مقتنعة بما ذكرته عن فارق السن الكبير بيننا.. كذلك أنا استمعت إلى وجهة نظرك بشأن إمكانية وجود علاقة خاصة بيننا، فشرحت لى أن الإسلام يحرم العلاقات الجسدية.. هذا الموضوع أغلق بالنسبة لى بشقيه.. ولا يجب أن نفتحه مجددا...، ولكننى أريد أن أسأل ضميرك هل من العدل أن تلتزم أنت بما تراه تعليمات خاصة بدينك.. دون أن تفكر فى تأثير ذلك على مشاعرى وأحاسيسى وحقى فى تلك العلاقة.. أليس هذا نوعا من الأنانية وشخصنة الأمور؟!!.. لماذا لم تفكر فى حقى فى أن تصل العلاقة إلى أوجها..بعد إن استمرأت العلاقة بيننا، كما إهتممت أنت بنفسك وحتمية تطبيق وجهة نظرك فى الحياة"؟!! هل هذا يتسق مع قيمة العدالة فى الإسلام الذى حدثتنى كثيرا عنه"..

- (عندئذ نزع محمود يده من يدها.. ووجم قليلا وأربد وجهه، بينما عيناه تشخصان إلى الأرض) "قائلا معك حق... ولكن أعذرينى.. أنت بالنسبة لى مبهرة فى كل شئ...، لا تنسى أننى بشر بداخلى مشاعر وأحاسيس وضعف انسانى.. لو كنت شجعت مشاعرك على التنامى.. فقد فعلت ذلك دون أن أدرى. ولكن يجب أن تعلمى أن إمتناعى عن العلاقة الخاصة معك هو إحترام لك.! أنت بالنسبة لى شبه مقدسة... ووفقا لمعتقداتى الدينية، والتى لا أستطيع أن أخالفها مخالفة جسيمة على الأقل، فإن قيامى بعلاقة جنسية معك دون وجود إطار قانونى شرعى - وهو فى الاسلام.. الزواج فقط - يعنى عدم إحترام لك.. يعنى كأننى إنتقص من قدرك عندى.. كم كنت أتمنى أن.... "!

-"ربما... أنا أيضا لدى ضعف إنسانى مثلك...، وربما ما كان يجب أن أتمادى فى مشاعرى وأنا أعرف عدم إمكانية الزواج أو فى ضوء ما شرحته بشأن تصورك الذاتى لحدود العلاقة بين الرجل والمرأة.. أنا ايضا أنجذبت إليك دون أن أدرى.. أنت بالفعل لديك جاذبية شخصية.. ربما تصل إلى درجة السحر"..!!

قالت تلك الكلمات.. ثم أسندت رأسها قليلا على كتفه... وأردفت :

- "قل يا محمود.. ألا تعتقد أن تدخل الدين فى الأمور الشخصية على هذا النحو أمر غير إيجابى بالمرة؟؟..ألا تعتقد أننا كمثقفين يجب أن نكون فوق ذلك؟.... (عندئذ إعتدلت وإرتسمت على وجهها ملامح الجدية)... حقا أن تدخل الدين فى العلاقات الخاصة بهذا الشكل التعسفى.. هو أشبه بتدخل الدولة فى الحياة الاقتصادية من خلال التنظيم والإدارة بأكثر مما ينبغى، على غرار ما كان عليه الوضع فى الزمن السوفيتى لدينا...، العالم كله تخلى على هذا النمط من التفكير.، يجب على الدولة أن تترك الإقتصاد حرا يتفاعل بنفسه مع نفسه وفقا لآليات السوق. كذلك الدين...، قد أتفهم أن يتدخل الدين لتنظيم العلاقات الجنسيـــة بين البشر من ذوى العقول البسيطة أو المتوسطة لأنهم قد لا يحسنون تقدير عواقب الأمور.، أو حسن إختيار كيف ومتى يقيمون علاقاتهم الجسدية. أما بالنسبة لنا نحن المثقفين أو المتعلمين فيجب أن يكون لنا حرية الإختيار.، نحن لن نمارس الجنس كنوع من البغاء.، ولكن كنوع من الإختيار الإنتقائى فى ضوء التقارب النفسى والذهنى و لجسدى.. أليس كذلك؟!!

-"كاتيا . هناك إختلاف كبير فى المفاهيم...، فى حدود ما أعرفه أن الدين هو أداة لتنظيم العلاقة بين الخالق والناس، وبين الناس بعضهم البعض. أى دين هو فى حقيقة الأمر مجموعة من التعليمات ،والنواهى..الخ.، وهى تنزل للناس جميعا بغض الطرف عن تمايز أقدارهم أو قدراتهم.، فيما يتعلق بالزنى.، فهو محرم فى كافة الأديان السماوية.، ومنها المسيحية التى تؤمنين بها...، يعنى ليس بمقدورنا أن نفصل قواعد لكل فئة من البشر حسب مستواهم.! الإيمان بطبعه به درجة من الغيبية..!!

- "حقا".. ربما...، لست متأكدة... ولكن قل يا محمود.، أليس تنامى دور المسجد فى بلادكم هو نتيجة لضعف مؤسسات الدولة والمجتمع المدنى بصفة عامة؟!!.. أظن أنكم تمرون حسبما أعتقد بفترة سابقة – ربما قبل مائتى عام – من التاريخ الأوروبى.، عندما كانت سلطة الكنيسة طاغية ومتداخلة فى كل شئ.، لأن بنيان الدولة كان ضعيفا، فضلا عن ضعف تطبيق القانون... وهزال قواعد التعليم والتربية.، وعدم وضع نظم أخلاقية للناس كى يتعايشون بها. يعنى ما أردت أن أقوله أن تغول المؤسسات الدينية فى بلادكم هو شئ عايشناه وعانينا منه، إلى أن إكتمل تطور الدولة، وعادت الكنيسة الى دورها كمجرد أداة للعبادة.. أليس كذلك"؟!!

-"لست متأكدا يا كاتيا أننى إتفق معك فى هذا المنحى.، الإسلام كدين له منظوماته القيمية والأخلاقية والسلوكية.، فمثلا عندما أتعامل معك بشكل طيب فهذا هو غاية الإسلام.، فهو كدين يعلى من قيمة حسن الخلق.، بغض الطرف عن وجود قانون من عدمه.، وهذا هو الفارق...

الدين لا يمنع التطور مثلما ذكرتيه..ولكن تفسير البعض للدين هو المشكلة.!!. يجب أن نفرق بين الإسلام وممارسات بعض المسلمين.. مثلما كانت الحجة الذائعة فى بلادكم أن سقوط الاتحاد السوفتيى لم يكن عيبا جوهريا فى النظرية الشيوعية..ولكنه عيبا فى التطبيق"!!..

- "همممممممم... ربما.. عموما يبدو أننا لا نتفق أبدا فى هذا المجال... لا أريد أن أضيع الوقت فى النقاش بشأن ما لا يمكن أن نتفق بشأنه... ولكن لدى نقطة أخيرة.. هل تظن أن تراجع الإهتمام بالفنون والآداب والموسيقى ببلادكم هو سبب الإهتمام المبالغ فيه بالدين؟؟.. أى انسان محتاج إلى قدر من الإشباع الروحى والنفسى... وبسبب ضعف تلك الفنون مثلما قرأت، فإن كثيرين منكم يجدون المأوى والراحة النفسية فى الدين "!!

-"ربما يا كاتيا... الدين لدى المصريين – بغض النظر عن درجة التدين – هو نوع من الهوية.. أذكر أن هيئة الاذاعة البريطانية كانت قد أجرت إستبيانا قبل سنوات ذكرت فيه أن المصريين أكثر شعوب الارض تمسكا بالدين كنوع من الهوية... يعنى الدين يسبق الوطن لديهم.. بينما لدى اسرائيل فالوضع هو العكس تماما فالدولة تسبق الدين عند تحديد الهوية".

-"أوكيه يا محمود.. هيا توقف... إصمت قليلا... كفى هراء، دعنا نستمتع بتلك اللحظات الهادئة.. والمناظر الجميلة من حولنا... قبل أن تمطر السماء فهى ملبدة بالغيوم...!!

قالت ذلك ثم أراحت رأسها على كتفه من جديد، وشبكت أصابعها بأصابعه وكأنها تريد إخفاء شئ ما يعتمل بداخلها فى كفه!!..لحظات قليلة.. وصدقت نبوءتها وبدأت السماء تمطر قليلا ثم كثيرا.. وهرع المحيطون بهما إلى المغادرة.. بينما مكث محمود وكاتيا متجاورين.. متقاربين.. والماء يبللهما تماما. أمسك محمود بشمسية صغيرة، ورفعها إلى أعلى كى تغطى كاتيا بشكل كبير ولا تحميه هو الا بقدر قليل. إبتسمت كاتيا وإقتربت أكثر حتى تلاصقت به تماما، فلكزته فى جانبه لكزة خفيفة. إبتسما مجددا.. وبقوة الإنجذاب الطبيعى القاهر، تلاقت شفتاهما فى قبلة إستمرت عدة ثوان. تراجع محمود قليلا.. وهو ذاهل وغير قادر على إستيعاب ما يفعل.. الا أن كاتيا إقتربت مجددا.. وإلتقمت بشفتيها الجميلتين..شفته السفلى مثلما يلتقم الطفل الرضيع ثدى أمه. تسمر محمود فى مكانه وتراجع إلى الخلف مجددا.. إهتاجت كاتيا أكثر فأمسكت به..والمطر يغرقهما..وصاحت.." هيا.. قبلنى...قبلنى "... صفعته "برفق" على خده الأيسر -إذ خشيت أن تؤلمه أو أن تطيح بنظارته -..مرددة بمزيج من الرجاء والشبق " هيا..يا محمود... قبلنى..هيا.. هيا.. قبلنى يا محمود". ثم صفعتـه مجـــددا على صدغيه مرددة " هيا...قبلنى يا محمود.من فضلك.. قبلنى الان "!.

فى تلك الهوينة.. كان محمود متمزقا بين كوابح ضميره الدينى ونار عواطف جياشة ورغبة نفسه التواقه أن ينهل من شهد شفتيها ولو قليلا.. وكأن أحدهم يشق جسده بالسكين شقا بلا تخدير أو رحمة.. وكيف لا وملاكه بات يحارب شيطانه فى جسد واحد.. تراجع للخلف أكثر فأكثر مبتعدا..، ثم أمسك بيدها الرقيقة الجميلة وقبلها فى حب وخشوع..قائلا " كاتيا أعتقد الآن أننى وقعت فى حبك.. ولكننى لا أستطيع.. لا أستطيع حقا.. أنا أسف."!..

إنتفضت كاتيا من مكانها غاضبة بعد أن أفاقت من غفوة شهوتها، وهى غير مصدقة ما يحدث.. و خذت تروح وتجئ أمامه وهى تردد.." هذة قلة أدب.. هذة قلة أدب بشكل كبير... لا أستطيع أن أصدق هذا.... ما هى الخطيئة فى بعض القبلات؟؟.. قل لى.. إشرح لى إذا كان دينك يمنعك من ممارسة الجنس معى فما هو الخطأ اذن فى تبادل بعض القبلات... هيا إشرح لى الآن؟!!.."..

-"يمكننى أن "أقبلك" كصديق.. ولكن قبلة بهذا الشكل بها إستغلال جنسى لا أستطيع أن أرتضيه لك .. كاتيا... أنه قد حدث بالفعل.... نعم أننى أحبك.. ولكن يجب أن نبتعد عن بعضنا البعض من الآن فصاعدا.. لا مستقبل آمنا بيننا بعد أن استبعدنا إمكانية الزواج سويا.. ولا قدرة لدى على مخالفة تعليمات دينى.. لا أستطيع حقا"..

هدأت فوره كاتيا وجيشان عواطفها بعض الشئ. لان قلبها عندما رأت ثمة دموع تترقرق فى مقلتيه وملامح وجهه تبدى ألما عظيما.. فاقبلت نحوه وإحتضنته فى حنان وقبلت رأسه ووجنتيه وربتت على كتفيه وظهره...، ثم سارا معا صامتين متوجهين إلى باب الحديقة للخروج..

وصل محمود إلى محل سكنه.. وهو فى حالة يرثى لها من الإرهاق النفسى.. الآن أصبح موقنا أنه بات يحب كاتيا، ويظن أن كاتيا تحبه.!!. لا يمكن أن يكون تعلقها به مثلما ذكرت نوعا من الإشتياق الجنسى المحموم.!! كاتيا لو كانت جائعة للجنس.. وأشارت بأخمص صابعها الصغير.. لإصطف المئات فى طوابير أمامها!. نعم أنها تحبه...:

-" ماذا حدث لك يا محمود؟.. كيف كنت على وشك إرتكاب مقدمات الزنى.؟؟.. الله تعالى يقول.. " ولا تقربوا الزنى "..، يعنى حتى مجرد الإقتراب ممنوع... ماذا حدث لك حتى تسلبك تلك الفتاة الصغيرة الرائعة عقلك..؟!!.. نعم أنها العاطفة!!.. نعم، لقد كبرت يا محمود.. قاربت الأربعين وصرت ضعيفا نفسيا.. تواقا للحب وإشباع الغريزة...، نعم... لم تعد أنت هذا الشاب الفتى القوى الذى يستطيع أن يستذكر دروسه أو يكد فى عمله 18 ساعة يوميا..كاد إهتمام وتعلق فتاة تصغرك بخمسة عشرة عاما بك أن يذهب عقلك ويغيم على ضميرك... هل سيكون هناك

مستقبل لعلاقتكما؟!!.. بالطبع لا.. نحن نسير فى طريقين منفصلين...، هى نفسها ترى أن الزواج غير ممكن لإختلاف سيناريوهات الحياة المستقبلية..، وأنا بدورى أرى أن إختلافات العمر و الدين والثقافة يمكن أن تولد من المشكلات بأكثر مما أحتمل...، لقد تعبت كثيرا فى حياتى.. ولا أريد أن أتزوج ثم أنفصل"..!!

-"سها... أين هى الان؟!!.. ولماذا لم تتصل بى منذ أيام؟!!... يا آلهى ماذا أفعل؟!!.هل إستجير من نار كاتيا إلى رمضاء سها.؟!!.. ولكن لحظة..، لم لا....سها بالفعل إنسانة متميزة للغاية.. صحيح بها عيوب مثل التعامل بكبرياء مبالغ فيه، والعصبية الزائدة عن الحد، ولكن هذا لا يمنع أننى أحيانا ائتنس بصحبتها...؟..يا ألهى ما هو المقصود من لخبطة الأوراق..؟!!.. نعم ربما بداخلى مشاعر تجاه كاتيا ولكنها لا تصلح زوجة لى..، وربما لا أرى فى سها أكثر من زميلة أو صديقة عزيزة ولكنها تظل إحتمالا قائما... حقيقة... سها فى منتصف الثلاثينيات أى ان الفارق بيننا ليس كبيرا فى السن..، وهى جميلة جدا بمقاييس المصريين وطويلة وذات شخصية قوية حازمة.. صحيح أن بداخلها متغيرات نفسية تجعلها دوما عصبية المزاج يصعب التنبؤ بتصرفاتها وردود فعلها ولكن ربما يكون ذلك نتيجة تأزمها من عدم الزواج أو التغييرات البيلوجية المعتادة..، هى إنسانة على خلق وجادة ومصرية، وعلى نفس الديانة"..

-"محمود ماذا تود أن تقول تحديدا "؟!!.. سؤال واجه محمود به نفسه فأجاب قائلا.." نعم إذا كانت كاتيا إختيار القلب..، فإن سها يمكن أن تكون إختيار العقل..، والأهم من ذلك أننى كبرت سنا حتى صرت هشا نفسيا..، كدت أن أعصى الله تعالى مع كاتيا، وأنسى إلتزامى الخلقى والدينى بسبب حبى لها...، نعم ربما سها لا تروق لى تماما...، ولكن كبر سنى الآن يفرض على أن أقدم تنازلات... يجب أن أتحمل عيوبا حتى لا أظل عازبا إلى الأبد...... حسنا جاء وقت القرارات الحاسمة...".

بهدوء دلف محمود إلى دورة المياه وأخذ دشا ساخنا..، أعقبه صلاة إستخارة ثم خلد إلى النوم كطفل صغير فى شكل جنينى..، وأسلم أمره لله.. وفى الصباح إستيقظ...، وقد إعتمل فى نفسه القرار الحاسم. أمسك جهاز اللاب توب...، وكتب الرسالة التالية لكاتيا... " عزيزتى كاتيا... لعلى أبدو غريبا بالنسبة لك..، ربما كنت أغرب من قابلت فى حياتك..، ولكننى كنت وسأظل أمينا مخلصا معك..، شرحت لك حدودى الدينية...، وشرحت أنت لى – وإتفقت معك – عدم إمكانية الزواج.. لذلك أقول لك بكل صدق وألم معا أن علاقتنا يجب أن تبقى فى حدودها الآمنة كأصدقاء فقط. لا يجب أن نتقابل كثيرا..، سنظل أصدقاء ما بقى لنا من العمر، ولكن فى حدود ما ذكرته لك.. إن كنت

توافقين سأكون سعيدا"...

وكانت الرسالة التالية مباشرة لسها.... " سها.. صباح الخير.. لدى بعض وقت الفراغ عقب الإنتهاء من المحاضرات يوم الثلاثاء... لو كان لديك وقت... دعينا نتناول العشاء فى بيرت أه منيجى.. فى بداية أوكسفورد ستريت.. أود أن اتحدث معك فى أمر ما"..

بعد دقائق من الإنتهاء من رسالة سها.. جاءه رد كاتيا... " محمود.. لا أتفهم منطقك حقا وإختلف معه كلية ولكننى أحترم أمانتك معى... معك حق لا يجب أن يتولد عن لقاءاتنا ارتباط غير ضـــرورى فى ضوء ما تفاهمنا بشأنه . أنا قررت أن أغادر لجنيف مطلع العام القادم من أجل الدراسة. سوف أصلى دائما لك أن تصبح وزيرا فى بلادك... من فضلك أذكرنى فى صلاوتك أيضا... سنبقى أصدقاء إلى الأبد"...

ترقرت عينه بالدموع فور قراءة رسالة كاتيا... وما أن إنتهى منها الإ ووجد رسالة سها قصيرة مختصرة كعادتها..." أوكيه محمود.. أراك هناك الساعة السابعة.. تحياتى"...

(٢) سها ومحمود..

وصلت سها إلى مكان اللقاء فى موعدها المحدد بدقة بالغة، وهى ترتدى ملابس كاجوال بسيطة -تكاد تتفجر أنوثة -عبارة عن بنطلون جينز ضيق، وقميص أبيض، وجاكت جينز خفيف وضيق وقصير، وكأن دوره يقتصر على أداء وظيفة جمالية، لزوم الشياكة، بأكثر مما يؤدى وظيفة التدفئة. بدت سها معتادة على المناخ البارد ليلا فى تلك الليلة الصيفية، - فترومستات جسم الإنسان الداخلية تتاقلم عادة مع طقس أى مكان بعد المكوث فيه لفترة -. وكعادتها، تعمدت سها عدم وضع أى ماكياج كدلالة على ثقتها البالغة بالنفس وقدرتها الذاتية على الإبهار بدون أى عوامل مساعدة. طول قامتها كان يحتم عليها عدم إرتداء الكعب العالى مما أكسبها دومـا مظهرا جذابا وجادا فى آن واحد.هكذا، بدت لمحمود عندما شاهدها تدلف إلى المكان بخطوات نشيطة واثقة من نفسها.

نظرة واحدة إلى عينى محمود، جعلها تستقرئ أنه عازم على أمر ما، وان بدا بداخله التوجس والقلق بشكل كبير.

- "هالو محمود. إزيك....عامل أيه فى المذاكرة "؟

- "الحمد لله، أنت اخبارك إيه يا سها. أين كنت مختفية"؟!!

-"أبدا. كنت أحاول إنجاز الرسالة مبكرا..أريد أن أعطى نفسى وقتا لمراجعتها وضبط اللغة.. ربما أحتاج شخصا انجليزيا يعمل (اديتينج) – أى تدقيق ومراجعة لغوية - لا تتصور يا محمود عندنا يركزون على اللغة بشكل كبير.. لا مجال لأى خطا، بل أنهم يعتبرون عدم وجود الخطا ليس كافيا، بل لابد أن تكون الصياغة بأفضل ما يمكن"!!!

-"الحقيقة أنا أشفق كثيرا على الطلاب خريجى المدارس الحكومية الذين يدرسون هنا.. لا أعرف كيف ينجح الألف طالب مصرى الذين يدرسون هنا سنويا....، لابد أن وراء ذلك معاناة

وكفاحا مضنيا لهؤلاء"...

-"صحيح يا محمود، قابلت مصرية تدرس فى جامعة بيربيك ...، تصور قالت لى أن هناك مصريا بيدرس الدكتوراة فى الرياضيات...، ويا عينى بيشتغل فى النظافة ليلا كى يوفر فلوس المنحة ويبعث بها إلى أهله"!!

- "الحمد لله نحن أفضل كثيرا من غيرنا...، تعرفى يا سها... أحد الأشياء القليلة التى تجعلنى أفتخر بمصريتى هو قصص كفاح الطلاب المصريين هنا...، هذا يثبت أننا من طينة جيدة"!!

-ضحكت سها قائلة (فعلا.. أحنا طينة)!!!

إنتهت لمناورة الكلامية لإستهلال الحديث، وخففت الضحكات والابتسامات من توتر محمود قليلا!!

- سها.... نحن أصدقاء منذ فترة.... هل لى أن أسالك سؤالا شخصيا؟!!

-(إبتسمت سها إبتسامة رائعة فى حسنها وتألقها) " حسنا يا محمود. أتريد أن تسألنى لماذا لم أتزوج حتى الآن..أليس كذلك"؟!!

بوغت محمود بالإجابة فاكتفى بهز رأسه ،

- "محمود... أنا خطبت من قبل مرتين...، لو كنت أريد أن أتزوج مثل أى بنت لفعلت ذلك منذ زمن بعيد...، محمود أنا أريد أن أكون سعيدة فى حياتى... أريد رجلا إستشعر حنانه ورجولته وليس طمعه، فى جمالى وجسدى. أنا يتيمة الوالدين ووحدى فى الدنيا...، وشقيقاتى منشغلات بأسرهن ، لذا أريد أن أتزوج من يصلح أن يكون لى أبا وأخا وحبيبا وصديقا. هل هذا كثير على واحدة فى مؤهلاتى"!!!

- "قطعا...لا يا سها. أنت تستحقين أفضل رجل فى الدنيا"..

-صمتت سها لبرهة ثم إستجمعت شجاعتها قائلة: " وأنت يا محمود. لماذا لم تتزوج حتى الآن؟!! أظنك شارفت على الأربعين"!!

- "لا يا سها مازالت صغيرا (قالها مبتسما) أنا الآن ٣٩ سنة فقط...، ربما إنشغلت بالعمل بأكثر مما ينبغى...،ربما كنت أبحث عن شئ غير موجود...، ربما كنت مثلك أتوق إلى من تتفهمنى ولا تعانى العقد لنفسية السائدة لدى غالبية المصريات".

فترة صمت أخرى سادت بينهما...، وكل منهما يترقب ما قد تحمله الدقائق المقبلة...، ثم ما لبث أن تشجع محمود وقرر إستئناف الحديث وصولا لمبتغاه أيا كانت التبعات:

- "سها...هناك موضوع أود ان أحادثك به!!! (قالها مضطربا متوترا.. فإكتفت سها بأن أطرقت

برأسها وإبتسمت إبتسامة خفيفة... دون أن تنظر إليه، فإستجمع محمود شجاعته قائلا) نحن أصدقاء يا سها...، أود منك أن تفكرى عما إذا كان من الممكن أن نتشارك حياتنا سويا "؟!!

تقريبا، إنخلع قلب سها من مكمنه عندما سمعت ما كانت تتوقع وتأمل سماعه منذ فترة.. شعرت وكأن قدماها تكاد تلامس السحاب، وأن فيضانا من الإدرينالين يسرى فى عرّوقها... هى ذات خبرة كبيرة وطول عمرها محل مطاردات الرجال وإعجابهم. ولكنها، للعجب، ما فتئ يحدث لها ذات الإحراج الذى يصيب الفتيات الغضة الصغيرات.، لاسيما عندما تخرج تلك الكلمات من فم شخص مثل محمود تكن له كل الإحترام والتقدير!!!! لم تعلق سها..إذ إستشعرت تضرج وجهها وأذنيها بالحمرة...، فلو نطقت الآن لخرج الكلام متلعثما وهذا ما لا تطيقه أو ترضاه لنفسها.

فترة صمت أخرى، وجدها محمود فرصة سانحة لإستئناف كلامه

-"أعلم يقينا يا سها أن هناك إختلافات كبيرة بيننا فى الشخصية...، ربما أنا أميل إلى المحافظة بأكثر مما ينبغى...، ربما أنت لك أسلوب فى الحياة مغاير...، ربما أنت عصبية قليلا...، ولكنى أجد أن هناك متشابهات أكثر من الاختلافات... نحن الإثنين فى عقد الثلاثينيات..، بالطبع أنا اكبر منك بخمس أو ست سنوات...، وهذا يساعد على التفاهم بيننا.. كذلك أثق فى أخلاقك وجديتك وذكاءك. يعنى هناك قاعدة مشتركة بيينا...، كل ما أطلبه منك ان تنظرى فى الأمر وتفكرى به مليا". !!!

لم تعلق سها...، وأومات برأسها فيما يعنى أنها ستفكر بالأمر. تلقى محمود الإجابة بإيجابية ورد عليها بإبتسامة مشجعة قائلا... "نحن تقريبا يا سها من نفس المستوى الاجتماعى لذلك لا أعدك بحياة إفضل إن تم الزواج بمشيئة الله.... كل ما أعدك به هو أن أرعى الله تعالى فيك... لاحظى أننا سنحتاج مجهودا كبيرا للتواؤم لتحقيق التوافق المنشود بيينا. يعنى هناك صعوبات فالأمر كله يتوقف على مدى إستعدادك وجديتك".

بتوالى الكلمـــات وترديدها من قبل محمود، وإستمرار صمت سها، بدا أن الأول قد إمتلك زمام الموقف...، فاستطرد فى الحديث عن نفسه وحياته وتجاربه، بينما الأخيرة تكتفى بإيماءة أو إبتسامة ما بين الفينة والاخرى. الإ أن كسرت صمتها قائلة. " يكفى هذا يا محمود..لابد أن أنصرف الان"...

ضغط محمود على يدها أثناء المصافحة ونظر فى عينيها قائلا... " سأنتظر ردك يا سها....، أنا دائما أحكم عقلى فى الأمور وأنت إختيارى العقلانى....، وهذا يعنى أن العاطفة لو أردنا يمكن أن تنمو بيننا مستقبلا " .

سحبت سها يدها وإكتفت بنظرة وإبتسامة سريعتين ثم انصرفت، و ينبوع من السعادة بات يغمرها !! فى الواقع كانت الإجابة جاهزة فى عقلها.!!!

obeikan.com

(٣) أحمد وأميرة...؟!!

مثلما إتفقا... طفقا سويا يتبادلان الرسائل الإلكترونية خلال فترة أجازة أميرة بالخارج. كانت بداية التحاور كما هو معتاد السؤال عن الإهتمامات المشتركة...، كان أحمد سعيدا بنفسه، فالشهور الماضية مكنته من إكساب شخصيته أبعادا جديدة، ومن ثم، فإن لديه ما يمكن أن يقوله عندما يتطرق الحديث إلى القراءات والفن والثقافة.. فلم يعد إنسانا مسطحا كل غايته مضاجعة النساء مثلما كان الحال من قبل!...

-"أميرة... أنا أقرأ بصفة منتظمة لباولو كويلو... تقريبا قرأت كل كتبه.. كذلك كتب دان بروان"..

-"عظيم يا أحمد... أنا أحب القراءة جدا.. يمكن نشأتى فى بيئة محافظة جعلت القراءة عادة أكثر منها متعة"..

-"بيئة محافظة.... هنا فى بريطانيا.. أليس ذلك غريبا؟!!".

-"لا.. ليس غريبا يا أحمد...، أنا فعلا تربيت فى بيئة محافظة..، أعتنقت أمى الإسلام عن قناعة قبل أن تتزوج أبى...، حفظت القرآن وصليت وصمت منذ صغرى...، كما إرتديت الحجاب لفترة ما.. لا أريد أن أتحدث عن هذا الان. دعنى أحدثك عن قراءاتى...، أنا كتابى المفضلين علاء الاسوانى وأهداف سويف، وهشام مطر، وغادة السمان.. تقريبا قرأت كل كتبهم...، أما فيما عدا ذلك...، فأنا أعشق قراءة تاريخ الفن خاصة خلال مراحلMatisse, Picasso, Modigliani، كما قرأت كثيرا فى علم النفس والسينما وروايات الخيال متعددة مثل

Orhan Pamuk's "The Museum of Innocence", Albert Camus "The Outsider", Milan Kundera "The Unbearable Lightness of being" , Françoise Sagan's "Bonjour Tristesse" , Anna Gavalda's "Hunting & Gathering", Elif Shafak's "Forty Rules of Love

كذلك قرأت العديد من الروايات الكلاسيكية منذ سنوات بعيدة.. وأستطيع أن أدعى أننى تأثرت بها فى فترة ما قبل العشرين... أما حاليا فإهتماماتى أكثر تنوعا وتشمل أشعار نزار قبانى ومحمود درويش".

لم يرد محمود مباشرة، إذ بات منبهرا بكل تلك الثقافة متعددة الروافد، متسائلا عما إذا كان يمكن لحديث العهد بالقراءة مثله أن يجارى مثل تلك الفتاة.. فإكتفى بذكر كلام عام عن إستحسانه لهذا الكتاب أو ذاك.. حتى لا تسأله عن شئ محدد بكتاب معين فيتضح جهله به.إختتمت تلك الحزمة من الرسائل.. وكلاهما على ما يبدو سعيدا بالآخر متفائلا بجدوى المشروع المقبل وإمكانيته!!

بعد يومين.. تواصلت الرسائـل عبر الشات مجـددا.. ودارت دائرة المناقشات بينهما وتبدى أن كليهما حريص على أبداء أكبر قدر من المصارحة للآخر لكى يصلا إلى القرار المشترك السليم.

-"أميرة...يجب أن أقول شيئا.. أننى بحق سوف أكون سعيدا لو تزوجنا..!!

-" أنت لطيف جدا يا أحمد...، يجب أن أعترف... لديك جاذبية عالية"!!

-"دعينى أعترف لك بدورى يا أميرة أننى لم أكن متدينا مثلك من قبل... بل أن تاريخى..."..!!

-"أحمد... لا تفهم ما قلته خطأ.. رجاء.. قلت لك أننى فى مرحلة ما من عمرى كنت محجبة.. إلا أننى قررت التخلى عن الفكرة كلها وأنا تقريبا فى سن الرابعة عشرة.."..!!

-"ماذا تعنين يا أميرة... عذرا فأنا لا أفهم"؟!

-"هناك أشياء كثيرة فى الدين لا تريحنى...!!..عندما كنت أزور مصر فى الإجازات.. كنت أرى المتدينين يذهبون للصلاة بالمساجد.. وكل شخص له "زبيبة" كبيرة فى مقدمة رأسه.. ثم أجد بعضهم أو أكثريتهم يقومون عقب الصلاة مباشرة بالتحرش بالنساء، ويتعاملون بغلظة ويسرقون ويرتشون.. هذا ما أصابنى بحالة من الضيق من الدين ذاته.. فقررت أن أهجره"...!!

-"عذرا.. عذرا...، قررت أن تهجرى الدين... هل أنت مسلمة يا أميرة"!!

-"نعم أنا مسلمة. صحيح أنا لا أصلى حاليا ولكننى أحيانا أصوم لأن به تدريبا على ضبط النفس،... قررت أن أعيش بفلسفتى الخاصة"..

-"مهلا..مهلا..أرجوك... أريد أن أفهم"..

-"ماذا تريد أن تفهم يا أحمد.. أنت لست متدينا...، وأنا أقول لك أننى قررت أن أكون حرة"..

-(استمر الصمت المشوب بالقلق لبرهة....، ثم كتب أحمد).." أرجوك أشرحى لى ما تعنيه بهدوء"..

- "حسنا يا أحمد.. أنا تلقيت صدمتى النفسية الأولى من سلوك المتدينين فى مصر.. وهو ما دفعنى لمزيد من القراءة لكى أطور فلسفتى الخاصة... بإختصار توصلت إلى أنه يجب أن أعامل الناس بطريقة حسنة.. ولا أكذب أو أرتكب خطأ ما... ولكن ليس فى إطار دينى.. الدين بطبعه يا أحمد.. له طبيعة دوجماتية لا تقبل النقاش أو الجدل فى مسلماته وبديهياته.. قررت أن أكون إنسانة جيدة لأن هذا هو ما يجب أن يكون.. وليس لمجرد وعد دينى - قد يتحقق أو لا يتحقق - بالحصول على الجنة الخالدة بعد الموت.. فهذة الأمور لا تروق لى حقا"...

-"إذن أنت تأثرت بالتفكير الإلحادى السائد حاليا فى أوروبا"...

-"لا يا أحمد..أرجوك أن تميز بين فلسفتى الخاصة تجاه الدين.. وبين ما هو سائد فى أوروبا من تيارات تذكر كل شئ وأى شئ...أنا فقط لدى منظور خاص بى"..

لم يعد أحمد قادرا على إستيعاب الموقف بأكثر مما هو عليه.. فإستأذنها فى إنهاء الحوار حاليا وإستكماله غدا فى ذات الموعد...

أحمد الذى عاش دوما على حافة الفجور أو بداخله.. بات يرغب فى الزواج من فتاة رائعة ولكن لديها تحفظات تجاه الإسلام . تقطب جبينه، وتقلصت وجنتاه، أمضى يومه مكدودا إلى أن تواصلا هذة المرة عبر برنامج إسكيب، وقد إختمرت فكرة معينة فى عقله.

-"أميرة.. أنا لم أنم منذ ليلة أمس...، وأريد أن أحادثك بكل وضوح وشفافية مثلما عهدنا فى بعضنا البعض. أنا لست ملتزما بتعاليم الدين، كما أوضحت لك أو لاحظت أنت ذلك. ما قلتيه هو نموذج للتفكير الغربى بشكل أو بأخر.. وهو يتماشى مع أسلوب حياتى بشكل أو بأخر".

-"حسنا..ما هى المشكلة إذن؟"

-"لا توجد مشكلة إن شاء الله...، كل ما أقوله لك هو أننى على إستعداد أن أتنازل عن أى شئ.. أن أقوم بأى تعديل فى شخصيتى أو عملى مثلما تودين.. على إستعداد أن أبذل كل جهدى لإسعادك.. وأنا لدى خبـرة كبيرة فى ذلك...، سأوفر لك كل ما تحتاجينه من مستوى مادى... فأنا ميسور الحال، كذلك لا أعتـزم البتة التداخل فى تركيب شخصيتك ومنظومة تفكيرك ومعتقداتك..".

-"عظيم يا أحمد...، لقد أثرت فضولى...، رغم تحفظى على ذكر المستوى المادى فى مناقشاتنا... ولكن قل لى من فضلك.. فى مقابل ماذا "؟!!

-"فى مقابل أن يكون أولادنا - إن قدر لنا الإنجاب - على نفس ديانة أبيهم".

لم تعلق أميرة...، وتعللت بأن عليها أن تنهى المكالمة الآن...، على وعد بإستكمالها غدا فى ذات التوقيت.!! أخذ أحمد يحدث نفسه قائلا... " البنت ممتازة.. خليط سحرى به كل ما تمنيته.. أنا

قدمت لها كل شئ يمكن تقديمه...، سأفي بكل وعودى...، ما أطلبه منها ليس بالكثير..، صحيح أننى عشت طوال عمرى غير متدينا..، ولكننى كنت أعتزم العودة الى جادة الصواب بعد فترة الشباب فأنا لم أكن يوما إنسانا سيئا... كما أننى لا أتخيل أن أبناءى يمكن أن يكونوا على ديانة أخرى أو غير دينيين على الإطلاق، أو لديهم تحفظات تجاه الإسلام مثل أمهم....، أنا لست معنيا بها... هى حرة...، يستحيل تغيير تفكير شخص تربى فى بيئة مغايرة، ولكن ما يعنينى هم الأبناء.. هذا هو العدل "!..

فى اليوم التالى..، لم تتصل أميرة بل إكتفت بالشات فقط..، وكأنها ترغب فى أن تكون أكثر حسما وحزما دون الوقوع فى أسر جاذبية أحمد النسائية!!

-"هل فكرت فيما قلته لك بالأمس يا عزيزتى"؟!!

-"نعم.. بالتأكيد"..

-"وماذا تعتقدين إذن "؟!!

-"أحمد..أنت تروق لى كثيرا..، يجب أن أعترف أن بك كاريزما غير عادية...، ويجب أن أكون أمينة معك. لقد فكرت كثيرا..، ووجدت أن موقفك مثل كثير من المصريين غير عقلانى!!.. كيف لشخص غير متدين مثلك أن يتمسك بالدين فى أمر عقلانى وعاطفى مثل الزواج.! هذا شئ مناف للمنطق بالمثل لى.!، ولكننى لا أريد أن أعلق كثيرا على تلك النقطة..، فأنا أعلم أن كلا منا به قدر من اللا منطقية "!...

-"أوكيه يا أميرة... ما هو ردك على ما عرضته عليك "...

-أسمع يا أحمد..، أنا لا أريد أن أنجب أبناء لأفرض عليهم شيئا أنا غير مقتنعة به...كل ما أستطيع أن أعدك به أنه إذا أنجبنا أبناء..، أن نعمل جاهدين على نوفر لهم أفضل سبل التعليم والرعاية..، وأن نقدم لهم كافة الخيارات..أى أن نشرح لهم الأديان كافة وكذلك الأيديولوجيات المغايرة...، ثم لنترك لهم فى مرحلة الرشد أن يختاروا الدين أو الفلسفة التى تناسبهم"..

-"أميرة.. لا أتخيل أن يكون أبنائى غير مسلمين...، أرجوك فكرى فيما عرضته عليه...، أنا لا أطلب الكثير.. هى نقطة واحدة أتمسك بها...وهى للأسف بالنسبة لى غير قابلة للتفاوض "!

-"وأنا لا أستطيع إلا أن أكون متسقة مع نفسى يا أحمد"...

-"فكرى ثانية "...

-"أوعدك..لو تغير رأى سأخبرك..،وأنت أيضا فكر ثانية..ولو تغير رأيك أبلغنى".

-"لن يتغير رأى يا أميرة "...

-"أظن أن هذا هو الحال معى أيضا يا أحمد!!"

توقفا عن الشات لبرهة إلى أن كتبت أميرة، " أحمد.. فى كل الأحوال يجب أن نبقى اصدقاء.. أعذرنى..".

رد عليها أحمد بعبارة مماثلة...، ناعيا فى نفسه إنهيار مشروع واعد قبل أن يبدأ..، وإن كان هذا لا يمنع أنه كان بداخله ثمة فخر بموقفه المبدئى..، وهو البعيد دوما طوال حياته عن الدين وطقوسه..

obeikan.com

(٤) نادية البيلى

لأيام طويلة، لم تستطع نادية أن تغط فى النوم بمل ء جفنيها...، رغم تمكنها من إمتصاص صدمة العرض المفاجئ من مارك الإ أنها مازالت قلقة، شأنها فى ذلك شأن أى أنثى عندما توضع فى ذات الموقف!!

لحسم الأمر، إلتقطت جهاز اللاب توب وشرعت فى القيام ببحث عن موضوع زواج المسلمة من غير المسلم. بمزيد من القلق والتوجس إكتشفت أن أغلب المواقع التى تقدم الفتاوى الإسلامية تؤكد أن هناك إجماعا من المذاهب الأربعة على عدم جواز زواج المسلمة من غير المسلم..سواء أكان من أهل الكتاب أو غيرهم. وجدت أن المنطق السائد يتمثل فى أغلبه فى....

" وفي إبقاء الأصل في تحريم زواج المسلمة من غير مسلم وقاية لها في دينها وحفظاً لها من تأثير الزوج ولو بغير قصد عليها أو على ذريتها في ذلك؛ فإن الزوج لمحل المسؤولية والرعاية أمكن من التأثير على المرأة وعلى أولاده، منها عليه. وإباحة الإسلام زواج الرجل المسلم من امرأة غير مسلمة من نساء أهل الكتاب المحصنات؛ لأنه إن أثر عليها بمقتضى العشرة على دينها فسيصير بها إلى دين الحق، كما أن الإسلام يحرم عليه الإضرار بها أو إرغامها على ترك دينها. وأكثر العلماء يحتجون لهذا الحكم بقوله عز وجل: {وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ}، وقال: {وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا} [البقرة: 221]، ثم استثنى فقال: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [المائدة: 5]، فأباح زواج المحصنات من أهل الكتاب خاصة، وبقي زواج المسلمة منهم على التحريم. وعلى هذا انعقد الإجماع".

تركت مواقع الفتاوى، وبحثت فى مواقع الصحف، فوجدت أن صحيفة الحياة اللندنية كانت قد أجرت حوارا مع فتيات مسلمات يعشن فى الغرب تزوجن من غير المسلمين...، ونقلت الصحيفة عن باحث يدعى نجيب عصام يماني قوله :

« لم أجد رأيا فقهياً واحداً يؤيد هذه المسألة، لا في كتب المتأخرين ولا المتقدمين ولا في أقوالهم، حتى بعض الفرق الإسلامية التي شطّت وقالت بأغرب الأقوال لا تؤيد هذه المسألة». كما أوردت إشارته إلى أحاديث عدة وردت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمنع زواج أي مسلمة من كتابي "

بدأ القلق بداخلها يتحول إلى إحباط جم...، إلى أن إلتقطت عينيها سطورا من ذات الصحيفة، والتى نقلتها عنها قناة العربية،تشير إلى إن " الشيخ يوسف القرضاوي كان قد أصدر فتوى خاصة لمسلمات الغرب بإعتباره رئيسا لمجلس الإفتاء الأوروبي أجاز فيها للمسلمة الغربية أن تبقى مع زوجها غير المسلم لتيسير أوضاعهن الإجتماعية التي قد تنشأ عن التفريق بينهن وبين أسرهن.. ورغم أن تلك الفتوى أثارت جدلا واسعا إلا أنها نص فيها على إقتصارها على من أسلمن أثناء زواجهن بغير مسلم، مؤكدا حرمة زواج المسلمة إبتداء بغير المسلم".

عندئذ تبدت لها طاقة نور وسط العتمة التى أحاطت بها. إذن وفقا للشيخ القرضاوى – حسبما ذكرت صحيفة الحياة وقناة العربية – "ولكيهما مصداقية،ويستحيل أن يكذبا أو يكتبا شيئا غير دقيقا".... -هكذا حدثت نادية نفسها -...يجوز للمسلمة أو بمعنى أصح يجوز لمن تحولت إلى الإسلام أثناء زواجها من غير المسلم أن تبقى معه حماية للإستقرار الأسرى أو الأطفال أو مصلحة المجتمع أو ما شابه...

-" إذن فالمجلس الأوروبى للإفتاء وجد الحل للكثير من الفتيات المسلمات التى يعيش فى أوروبا... صحيح أن المجلس قد قيد الأمر على من أسلمن خلال زواجهن...، إلا أنه فتح باب للإجتهاد المستقبلى فى هذا الأمر. إن أغلب الفتاوى تقول... "بإجماع المذاهب الأربعة فإن الأمر مرفوض"... متى توفى أحدث أئمة المذاهب الأربعة.؟؟. منذ مئات السنين..، لقد تغيرت الدنيا... وإنقلبت رأسا على عقب عدة مرات. قرأت مرة..، لا أتذكر فى أى وسيلة بل لعله " بوست " على الفيس بوك.. أن فترة مضاعفة حجم المعرفة العلمية تقصلت كثيرا من 150 عاما قديما...، حتى باتت ربما 15 عاما.... صحيح...، منذ عشرين سنة.. من كان منا يتوقع ظهور الموبايل أو إنتشار الانترنت أو القنوات الفضائية.؟!!.. بخلاف ذلك..، من كان يتوقع منا أن يظهر الفيس بوك منذ عامين أو ثلاثة ليقلب الدنيا رأسا على عقب...؟.، فيعيد الوصال بين المتباعدين منذ عشرات السنين،الدنيا تطورت وتغيرت..،وهؤلاء الشيوخ مازالوا عاجزين عن إستيعاب ذلك"....

تواصل حوارها -أو بمعنى أصح تشاجرها النفسى -على النحو التالى :

-"إن المنطق وراء تحريم أغلب الفتاوى...،هو الخشية من تأثير الزوج أو الأب على الأبناء حتى

لا ينشأوا غير مسلمين...، فإذا ما تم النص على ذلك فى عقد الزواج..- أى أن يكون الأبناء مسلمين.. أو أن نترك لهم حرية القرار مستقبلا..، إذن تنتفى الحجة التى يستندون لها.!! ثم من هذا الذى جزم بأن تأثير الأم على الأبناء يكون عادة أقل من تأثير الاب...، ربما كان هذا صحيحا أيام عهد " سى السيد "، أما الآن فتوجد حرية ومساواة... فالمرأة تعمل وتنفق مثلما يفعل الرجل..، ومن ثم، فإنهما يتشاركان المسئولية والتأثير. هذا ما عجزت الفتاوى عن إدراكه.. كذلك، فإن الإستناد لبعض الآيات والآحاديث ربما يخضع للاجتهاد..، قد تكون تلك الآيات والأحاديث نزلت فى سياق معين لظرف معين....، عموما أنا لست مهتمة كثيرا بالقراءات الدينية.. ولا أستطيع أن أفتى...، أننى حتى لا أؤدى الفروض بانتظام...، ولكن كل شئ لابد أن يقاس بالعقل.. وأنا لدى عقل يمكن أن أقيس به الأمور...ولن أسلم عقلى أو قرارى لأحد".

-"لكن ماذا سيكون رد فعل أهلى وأقاربى...؟؟!!... بالمناسبة أين هم هؤلاء الأهل والاقارب؟!!.. منذ وفاة والدى ووالدتى.. لم يسأل أحدهم عنى و شقيقى الاصغر الإ مرات معدودة.!!.. أنهم حتى ينظمون لقاءات عائلية ولا يدعوننى أو شقيقى إليها.!!..، من كان منهم يعطينى شيئا فليأت ليسترده!. أنهم حتى لم يساعدونى على تصفية تركة والدى المالية..، وتركونى بمفردى وأنا مازالت طالبة جامعية لكى أسعى بين المحامى والمحكمة والشركة.!!. هم أهل والأقارب بالإسم أو بالنسب فقط أما بخلاف ذلك..، فالله أعلم بنواياهم..، هؤلاء لا شأن لهم بى أو بشقيقى...، ولا متعة لهم الإ الكلام دون إنجاز أو عمل..، فسيتكلمون عنى سيئا فى كافة الإحوال....، ليس لى فى الدنيا سوى شقيقى... ماذا سيكون رد فعله؟!!.. هو مآله إلى الزواج والإنفصال عنى..، ومن حقى أن أبحث عمن يحقق سعادتى...، سيرفض وربما سيثور...، ولكنى دوما قادرة على إحتوائه..، سأقول له أننى مسلمة وسأظل كذلك..، وأن مارك يدرس الإسلام مرحليا كى يسلم فيما بعد...، معلش..كذبة بيضاء لمراعاة الخواطر لا تضر كثيرا...، بلا...أنا فعلا سأحاول أن أقنع مارك بالإسلام قبل الإرتباط أو بعده "..، فإذا لم يتسن ذلك..، فلسوف أتفق معه على أن نترك لأبنائنا حرية إختيار دينهم.. وبالطبع سأكون أنا صاحبة اليد العليا فى هذا المضمار..، فمارك غير متميز فى أى شئ فى الحياة... الإ فى العمل."...

إختتمت نادية حوارها الداخلى المحتد حول آفاق إرتباطها المزمع بمارك ثم قامت...، وأخذت دشا دافئا سريعا...، ثم على غير العادة وجدت نفسها تتوضأ وتصلى ركعتين.الغريب أنها لم تصل منذ فترة..، ولا حتى إكترثت بأن تؤدى مثلا صلاة العشاء قبل تلك الركعتين... فقط وجدت نفسها بحاجة إلى بعض الهدوء والإستقرار النفسى،ثم خلدت إلى النوم مثل طفلة صغيرة خائفة من عقاب

المدرسة غدا!!. لم يكن الأمر محسوما بصورة كلية بعد.

علاقتها مع مارك صارت محور حياتها.فهى تشاركه رورديات العمل والجراحات بإختلاف مستويات خطورتها، تستشيره ويستشيرها فى كل حالة تقريبا..، تذهب معه إلى دور السينما و تدريبات اليوجا (حسبما أطلقت هى على ممارسات الديانة البوذية)، ويرقصان أحيانا فى قاعة فندق كارلتون بنيتزبريدج لأنها عادة ما تكون خاوية أو هادئة على أسوأ تقدير. تعد له بعض الطعام الشرقى، وهو يدعوها إلى الغذاء بكافتيريا المستشفى. وصلا إلى حد أن يساعد أحدهما الآخر فى إختيار وشراء ملابسه ومستحضرات التجميل. كل هذا التواصل المتواتر، ولم يطلب منها مارك إجابة واضحة على عرضه للزواج.

ذهبا ذات مرة لمشاهدة عرض مسرحى بعنوان " فى إنتظار شكسبير". جلسا معا فى هدوء، فالمسرح البريطانى يعامل مثل المحراب، ويتمثل المشاهدون فى تصرفاتهم بالمصلين تقريبا من حيث الهدوء والخشوع، فيحسنوا إختيار أوقات التصفيق أو إبداء الإستحسان.. لم تنتبه نادية إلى أى فحوى للمسرحية لأن ذهنها كان منشغلا بما هو آت...، بمجرد إن أنتهى الفصل الأول من المسرحية والذى عادة ما تعقبه إستراحة 15 دقيقة تقريبا يتم خلالها شراء الأيس كريم تحديدا كجزء من تقاليد المسرح - مالت نادية نحو مارك، وأراحت رأسها على كتفه، وكأن رأسها من فرط ما يحمل من أفكار ومشاحنات ذاتية بات ثقيلا لا يمكنها تحمله...، فإبتسم لها مارك فى حنان.بقيت نادية فى هذا الوضع طويلا حتى عندما بدأ الفصل الثانى، ولدهشة مارك، فإنها غضت فى سبات هادئ لفترة طويلة دون حراك، ولم تستيقظ إلا عند تصفيق الجمهور فى نهاية العرض...أدرك مارك أن نادية متوترة، فالإنسان عادة ما يلوذ بالنوم هربا مما يخاف منه أو يقلق بشأنه!! فإصطحبها بهدوء إلى خارج المسرح..

-"نادية... لماذا أراك متوترة بعض الشئ"..؟!!

-"أنا بخير يا مارك.. أنا بخير..، لا تقلق..، فقط بحاجة إلى بعض الإسترخاء..، لقد بذلت مجهودا مضنيا طوال هذا العام الدراسى بأكمله..، دراسة وعمل وتدريب وتدريس ولقاءات إجتماعية".

-"بالتأكيد . ولم لا تضفين إلى ذلك ما أمثله أنا بالنسبة لك من عبء"

-"أنت أفضل ما حدث لى يا "صغيرى".

-"أعرف يا نادية أنك تخوضين صراعا نفسيا وذهنيا بخصوص ما تكلمنا بشأنه..، لذلك لم ولن أطلب منك رد فى هذا الخصوص"..

-"الصراع النفسى ليس بشأن شخصك يا مارك..، فأنا معجبة بك فعلا وأراك حنونا دافئا..، وتلك

الصفات هى ما تحتاجها المرأة بصفة عامة، وأنا بصفة خاصة منذ أن فقدت والدى ووالدتى... ما لدى هو الخلاف العقائدى بيننا"..

-"قلت لك أننى لست مسيحيا تقليديا بل أن لدى رؤيتى الخاصة،فلن أفرض عليك شيئا".

-" وماذا عن الأطفال"؟!!

-"أنا لا أريد أطفالا على الاطلاق"؟!!

-"ماذا تعنى"؟!

-"دعينا نستمتع بحياتنا ونخطط لها مثلما إتفقنا من قبل.. الأطفال هم عبء كبير علينا.. سيحد ذلك من قدرتنا على الإنفاق والسفر والترحال.. دعينا نخطط لما بعد التقاعد..يمكن أن نذهب لنشترى بيتا صغيرا أو نعيش فى إحدى المنتجعات أو القرى الجميلة فى أسبانيا أو جنوب فرنسا... يمكننا أن نطوف العالم بأسره"..

-"ولكننى أريد أطفالا يا مارك".

-"أنا لا أحبذ ذلك. هذا هو منطق التفكير السائد حاليا فى أوروبا..لابد أن تتفهمى موقفى..."

-"إذا قلت لك أن زواجنا من عدمه مرتبط بالإنجاب "؟!

-"هل هذا شرط يا نادية"؟!!..

-"إذا قلت لك أننى أريد ذلك.. فماذا سيكون ردك"؟!

صمت مارك صمتا مطبقا لمدة عشرة دقائق أو يزيد، وتقطب جبينه.واحدودب ظهره وتقلصت وجنتاه.. وبدا وكأنه يحسب حسابات عملية جراحية معقدة.. ثم ما لبث أن قال...

-"جيد يا نادية.. إذا ما كان ذلك ما تريدينه فسأقبل." ثم إرتفع صوته قليلا قائلا " ولكن أرجو أن تكون تلك التضحية محلا لتقديرك.. وأن تعرفى إلى أى حد أنا على إستعداد للتنازل والتواءم مع متطلباتك."..

تورد وجه نادية ثم قالت :"مارك.. يجب أن نمنح أبناءنا الحرية الدينية، فلا نفرض عليهم شيئا (قالتها نادية بأسلوب تفاوضى توطئة للحصول على تنازلات أخرى)..

-"بالتأكيد... أنا لا أقبل أن أفرض معتقداتى الدينية على أحد.. فأنا أرى أن المسيحية ترتكز على قاعدتى الحب والتسامح، ولذا فهى تشمل الجميع... الكل خراف الرب"!!

إنتهى اللقاء، لتعود نادية إلى غرفتها وهى ما بين الحلم والحقيقة..الوهم والأمل..الخوف والرجاء ثم إستلقت على السرير وهى شاخصة للسقف تتخيل أشكالا وتتوهم أفعالا... ثم ماذا... قالت لنفسها إن كان مارك قد تنازل من أجلها وقبل مبدأ وجود أطفال.. فلماذا لا تتنازل هى من

أجله؟!.. ستتنازل عن ماذا؟!! طبيبة نابغة مثلها تعيش فى قلب العالم...لماذا تتقيد بفتوى رجل دين عاش فى زمان خلاف الزمان... وبيئة خلاف البيئة....لا يمكنها القبول بهذا الظلم..،خاصة أنها لن تغير ديانتها كما أنها ستتأكد من الأطفال سينشأوا مسلمين.، ستعمل جاهدة على ذلك!! كما أن مارك يحبها بشدة، فلو ضغطت عليه قليلا.، فسينصاع لها مثلما حدث اليوم.

فى الواقع، فأنها أيضا تشتاق جنسيا إلى مارك.، وهى لم ولن تقيم أى لقاء جنسى إلا فى إطار زواج مهما كنت الظروف، لأنها إنسانة محترمة لا تفعل مثل ما تفعله الأخريات منذ أن كن فى المرحلة الثانوية...،وحتى بعض المتزوجات من زميلاتها اللاتى لا يمانعن من بعض العبث مع رجال أخرين من حين لآخر!!. حقيقة الأمر، أنه ما عاد يوجد مستقبل لها فى مصر... فعلا.. لا يمكنها أن تبقى فى المستنقع المصرى إلى ما لا نهاية.، مارك بالنسبة لها هو سفينة نوح التى سوف تنتشلها مما عانته وما يمكن أن تعانيه مستقبلا.، إنها مثل الغريق الذى لا يمكنه أن يمتلك ترف إختيار السفينة التى سوف تنقذه من الغرق!.يكفى أن زواجها منه سيتيح لها إقامة دائمة بأوروبا وتصريح بالعمل.. ومن يدرى لعلها بتفوقها وكدها يمكنها أن تصبح أستاذة جامعية أيضا....، تداعت الأفكار والأحلام على رأس نادية، فأسلمتها إلى النوم قريرة العين وقد إختمرت فى ذهنها نواة قرار معين باتت عازمة عليه....، وفى الصباح إستيقظت.، لترسل رسالة نصية إلى هاتف مارك هذا نصها.." صباح الخير.. مارك لا يقاوم.. سنتشارك حياتنا"..

ثوان بعدها.، لترد إليها رسالة نصية من مارك.، " نادية لا تقاوم أيضا.. كنت متأكدا من أنك ستصلين إلى القرار الصحيح.. تحياتى". لتعقب نادية... " سنتزوج زواجا مدنيا... وسيبقى الأمر بيننا فقط خلال تلك المرحلة".

(٥) مدحت...وجوانا

مضت الأيام ثقيلة بطيئة منذ لقاء المكاشفة التى تم مع جوانا.لا يعرف مدحت إن كان قد أدار الموقعة بالقدر المناسب من الحكمة والحيطة والحذر، أم أنه تسرع أو أخطأ فى التقديرات الخاصة بتطوير الهجوم..هو يعذر نفسه.....، فمن أين له بخبرة التعامل مع الأجانب وهو الذى قبع فى سجن حياته الزوجية فى الزقازيق عشرين عاما ونيف...؟

-" صحيح.. أنا شخصيا لا أعرف ماذا قلت وفعلت مع جوانا...، هل أريد أن أسد فراغا فى داخل شخصيتى؟.. هل لدى ضعف أريد أن أداويه؟؟... لا أعرف.. ولكننى إستشعرت لذة من علاقتى معها، مجرد أن أتحاور وأتجاذب مع سيدة انجليزية شئ ممتع...، لم أنله من قبل..، هؤلاء عنصريون أيضـــا..، ولكن ليسوا تجاه أبناء جلدتهم مثل الأغبياء لدينا"..

وأثناء حواره النفسى المحتد، تلقى مدحت رسالة مكتوبة على تليفونه المحمول من جوانا.. تقول فيها " هاى..، لقد فكرت بالأمر..يمكنك زيارتى فى غرفتى رقم 5503 الساعة الثامنة مساء غد..، سنقضى وقتا ممتعا". على كثرة ما مر به من مواقف على مدار الخمسة والأربعين عاما، لم يشعر مدحت بمثل هذا الدوار العقلى والجيشان الشعورى الذى حاق به عند قراءة نص الرسالة!!. معنى ذلك أنها تريده وترغب فى أن تقضى ليلتها فى أحضانه..." يا الهى.. ما هذا؟!!.. نعم ما فتئت شابا يافعا يجذب النساء، ومنهن الأجنبيات.، هل حانت اللحظة المناسبة..؟!!.. هل سأتذوق أخيرا اللحـــم الأبيض المتوسط...؟!!"..ضربات قلبه تتسارع..، فأخذ يصول ويجول داخل الغرفة، حتى يهدئ من نفسه!!

فى اليوم التالى مرت الساعات بطيئة حينا.، وسريعة حينا أخر.، وهو لا يستقر على حال مثل بندول الساعة فى إهتزازه وتأرجحه...، إنه يتقدم بلا وعى نحو نيل ما كان حلما بعيد المنال. قبل الموعد بأربع ساعات إستحم جيدا.، وحلق ذقنه...، وتعطر ثم أخرج بعضا من نبات "جوزة

الطيب" - -الذى أحضره معه من مصر تحسبا لمثل تلك المناسبات - ووضعه على الأرز والخضار بكثرة.. ثم تناول عقب الطعام معلقتين من غذاء ملكات النحل...، ثم جلس يهدئ من قلقه بترديد الأغنيات تارة والصمت تارة أخرى.!!..

حتى يتأكد أيضا مما ستؤول إليه الأمور.. توجه الى إحدى صيدليات إدجوارد رود العربية والتى تبيع الأدوية بلا روشتة بالمخالفة للقانون.. وأشترى قرص فياجرا ثم تناوله سريعا على سبيل التحذر - فهو اليوم سيتحمل عبء وشرف تمثيل مصر بكل حضارتها وعراقتها -، قبل أن يستقل الحافلة رقم 36 الى "راسل سكوير". إشترى باقة ورد وعلبة شيكولاته...وفى الموعد المحدد بالدقيقة والثانية،... طرق باب غرفة جوانا. إستقبلته بترحاب بلا مبالغة، وهى ترتدى ملابس رياضية وان كانت قد تركت شعرها منسدلا على كتفيها على غير المعتاد!!. عرضت عليه أن يشرب مشروبا روحيا. إلا أن مدحت بإضطراب بالغ إعتذر لأنه لا يشرب الخمر.. فابتسمت جوانا من تلك المفارقة دون تعليق...، فرفيق ليلتها لا يشرب الخمر ولكنه يقبل معاقرة النساء بالمخالفة لأساسيات دينه.!! كعادة الإنجليز لم تكرر دعوتها أو تلح عليه أن يشرب شيئا أخر.. بل أبلغته بلغة من يؤدى عملا روتينيا معتادا :..

-"مدحت.. سوف أغيب دقائق للإستحمام كى أستعد.. يمكنك الحصول على الفاكهة من الثلاجة حتى أعود..."

لم يرد مدحت مكتفيا بإبتسامة باهتة وبعض التمتمات غير المفهومة.. وإن تقلص فى مقعده بلا حراك، وكأنه يشاهد مدهوشا فيلما سينمائيا يجرى أمامه ولا يشارك هو فى أحداثه.!! كان فى تلك اللحظات على الجسر الفاصل بين مدحت القديم ومدحت الجديد.. هو قرر أن يعبره.. أن يجرب ولو مرة الحرام.. ولم لا....أليس رجلا مثل كل الرجال ومن حقه أن يعيش حياته بشكل أو بآخر؟!!

عادت جوانا وقد انتهت من الإستحمام.. وهى تلف جسمها بمنشفة بيضاء كبيرة.. حتى بدت وهى تجفف شعرها المنسدل بجوار خدها الايمن، وجسمها المندى المتورد بحمرة المياة الساخنة والبخار، كأنها أشبه بحورية قادمة من قصص الخيال... نظر إليها مدحت وجلا...كأنه لا يصدق ما يحدث.. أنها الأن أجمل كثيرا مما كانت تبدو عليه...أنه الآن على بعد خطوات وثوان من هذا الكنز الكائن أمامه...، هل سينالها؟!!..تسارعت ضربات قلبه أكثر فأكثر.. وتفصد جبينه بالعرق الغزير.. حتى أن تلمح إضطرابه، فتظاهر بالإقدام والشجاعة...، وتقدم إليها.. وهى تبتسم.. ووضع يديه على رقبتها.. وهى مستسلمة تماما لإرادته.. ثم ألصق شفتيه بشفتاها وغابا معا فى

قبلة طويلة.. وهما يتشبسان ببعضها البعض.، لم ينتظرا حتى يتوجها إلى السرير. فى ثانية واحدة جذب مدحت المنشفة عن جسدها العارى.، بينما إستلقت جوانا من فورها على الأرض باستسلام تام. بدت عبارة عن كتلة رائعة من اللحم الأبيض.، كصورة مرسومة فى متحف بريطانى لعشيقة ملك من العصور الوسطى. خلع مدحت ملابسه على عجل.، وهو يشعر أن شخصا ما هو الذى يسيره فى تلك الحظات التى لم يعشها من قبل مع إمراة فيما خلا زوجته!!.. ألقى بنفسه عليها، مقبلا كل سنتيمتر فى جسدها، من منبت شعرها حتى أخمص قدمها....، بينما جوانا تتأوه فى نهم وشبق تامين. وحينما بدأ الإيلاج ليقضى منها وطره.، إنتفض مذهولا للخلف!!!. صرخت به جوانا برعشة تجتاحها.. " مدحت...ماذا حدث؟.. لماذا تتوقف؟!!.. مدحت.. ماذا بك؟".

لم يرد مدحت.،بل سارع بإرتداء ملابسه.، ثم ليغادر الغرفة وسط ذهول جوانا ونداءاتها المتكررة، ثم ليعدو كالطفل الذى تطارده عصابة الأشرار على السلالم وصولا إلى الشارع. خشى أن يرتاب الناس فى أمره بسبب ملامحه العربية والشرق أوسطية.، فتظاهر بالهدوء.، وسار بتؤدة قليلا. وجد أن ضربات قلبه آخذة فى التسارع....، حتى خشى أن يصاب بأزمة قلبية.، فجلس على إحدى محطات الحافلات الخاوية..ريثما وصلت الحافلة فاستقلها عائدا إلى محل سكنه...

دلف إلى غرفته ثم أحكم إغلاقها.، ثم توجه إلى المرآه ليطالع صورته، وكأنه غير متأكد من ملامحه. نظر مليا إلى ما تبدى له...، فلاحظ أنه غدا أكبر سنا بكثير عن مدحت الذى كان يعرفه.. بات أشيب الفودين. نظر مجددا...، فوجد أن هناك صلعا متزايدا فى أعلى الرأس.، نظر إلى جسده.، فوجد بعض الترهل ببطنه.. عاد كالمذهول ليجلس على الأريكة..، واضعا يديه على وجهه واحدودب ظهره وتقلصت وجنتاه، حزينا كمن تلقى خبر وفاة نفسه. أعقب ذلك قيامه بأخذ دش طويل ثم عاد ليطالع صورته مجددا فى المرآه..!!

- " إيه ده يا مدحت... هل سنخيب على كبر"؟!!..

من فوره، ولج إلى شبكة الأنترنت.، ليحجز تذكرة عودة إلى مصر باستخدام كارت الإئتمان.، ثم بعث برسالة الكترونية إلى جوانا هذا نصها " عزيزتى جوانا..أعتذر عما حدث...، أنا عائد إلى مصر. "!!

obeikan.com

(٦) سلوى مفيد

إنقطعت سلوى عن الإتصال بأياد لفترة من الزمن. لا تعرف كيف راهنت على شئ هلامى غير واضح المعالم.، بينما إنتقصت كثيرا من الاحتمالية الأخرى رغم أنها لم تكن أبدا بالقليلة أو الهينة!!... أخذت سلوى تؤنب نفسها، وكأنها تجرى عملية رياضية مجردة خالية من أى عواطف أو أحاسيس!.

أسابيع أخرى، وإتصل بها إياد هاتفيا!!

-"خير يا سلوى.. فين مختفية أسابيع طويلة.. لا حس ولا خبر.."!

-"أبدا يا أياد... كان عندى مذاكرة وشغل كتير"

-"يعنى ما فى شئ آخر"!!

-"شئ مثل ماذا "؟!!

- "لا أعرف".

-"يبقى لا يوجد شئ"!

- "لا...هناك شئ يا سلوى...أنت تغيرت منذ أن أبلغتك أن لدى طفلين"!!

-"أياد... لماذا لم تقل لى منذ البداية أنك متزوج ولديك طفلين؟"

-"إيش يا سلوى...أنا لم أكذب قط.، أنا قلت لك أنا غير متزوج لأنى بالفعل منفصل عن زوجتى منذ سنوات.، ولم يكن هناك ما يستدعى أن أذكر أن لدى طفلان.".

صمت طويل إستمر بينهما...قطعه أياد قائلا :

-"شوفى يا سلوى..، أنا لا أكذب أو أدعى شيئا.، أقولك.. خلينا نلعب على المكشوف، زى ما بتقولوا فى مصر، أنت كيف ترين مستقبل العلاقة بيننا"؟!!

-صمتت سلوى ولم ترد!! فعاود إياد الكلام...

- "يا سلوى... ليش ما بتردى... أأنت خجولة؟؟.. أنت إنسانة مثقفة ومتعلمة... أقولك.. خلينى أكلمك بصراحة... " الشغلة اللى أريدها.. هى نفس الشغلة اللى بترديها....إذا فيكى بنبقى مع بعض...أنا بالفعل معجب ومشتاق لك"...

-(صارخة محتدة) "نبقى مع بعض إزاى يا أياد"!!

-"على رسلك يا سلوى...على رسلك.....إحنا..هون فى قلب أوروبا.. الحرية والديمقراطية... حاولى تتخلصى من ميراث التخلف الشرقى القابع ببلادنا...، أقولك...إذا بدك نكتب ورقة... ما فى مانع...، زواج مسيار.. وهذا جائز شرعا...مثل الزواج العرفى فى مصر ...أو كيف ما بدك"!!

حينئذ إستشعرت سلوى الإختناق وتسارعت ضربات القلب حتى كاد أن يغمى عليها.. فأغلقت الهاتف فى وجهه.. ثم إنخرطت فى البكاء... فلم تتصور يوما أن أحدا سيتطاول عليها وينال من كرامتها بمثل هذا العرض المهين ... هل تردت إلى الحد الذى يطمع فيها رجل ويكتفى أن يعرض عليها زواج مسيار أو زواج عرفى مثلما يفعل شباب ثانوى والجامعة لتفريغ طاقاتهم الجنسية؟!!...

عندما تمالكت نفسها...أمسكت الهاتف..فوجدت رسالة من أياد نصها :

" سلوى.. أنا لا أقصد شيئا غير لائق... الزواج المسيار موجود فى الإسلام... المسلمون الأوائل كانوا يقومون به بلا حرج...، حتى أثناء هجرتهم للدعوة. فيتزوجون بشروط واضحة ولوقت المكوث داخل منطقة الهجرة ليس أكثر... إحنا لدينا نفس الظروف... فما الضرر إذن؟؟.. أنا لا أستطيع أن أتزوج إثنتين وإلا تم القبض على...، ولا أستطيع أن أطلب من زوجتى الإنفصال حتى لا أكون أنا الراغب فى الطلاق، فأخسر نصف ثروتى... أنا قصدى شريف..."!

ردا على ما سبق، بعثت برسالة إلى إياد..

" لا تتصل بى ثانية...، والإ سأبلغ الشرطة"..

كانت مثل هذة الرسالة، مثلما قدرت، حائطا لصد ومنع أى اقتراب آخر من إياد لأنه يعلم أنه يكفى بلاغ واحد منها بعد ذلك للشرطة - تقوم خلاله بإثبات قيامها بإرسال تلك الرسالة التحذيرية إليه - لكى تنال منه. بالفعل أدرك أياد الرسالة وفحواها ونية سلوى من ورائها، فإمتنع تماما عن الإتصال بها!!

أسابيع أخرى مضت، وعاودت سلوى الإتصال بالقنصل محمد..

-(بلهجة يخالطها المرح المصطنع) "ألو.. محمد.. إزيك.. إيه اخبارك؟

-(ببرود وحيادية أقرب ما تكون جفاء) "أهلا يا دكتورة.. خير..، هل لديك أى مشكلة قنصلية."..؟!

-"لا أبدا...أنا عندى توكيل أود أن أبعث به إلى والدى"...

-" يمكنك الحضور صباحا إلى قسم الموطنين..،الأستاذ حسنى..،سأوصيه بالإعتناء بك"...

- "كمان... حبيت أسأل عليك...،يعنى قلت ما فيش حد بيسأل علينا..،يبقى إحنا لازم اللى نسأل".

-"متشكر.. أنا بخير"...

-"إيه...كمان الأخبار"؟!

-"بخصوص"!!

-"يعنى أى حاجة....،إيه أخبار الدراسة..،العمل...،لماذا إنقطعت عن لقاءات إدجوارد رود "؟!!

-"الحمد لله كل شئ كويس...، أنا مشغول شوية ليس أكثر"...

-"طب ضرورى..نتقابل قريب"...

-(حانقا متغاظا وإن ضبطت طبيعة المهنة حدة الإنفعال) "لا أعتقد يا دكتورة سلوى.. أن هذا ممكن"...

- "لم؟ أأنت زعلان منى ولا حاجة"؟

-"أنت إنقطعت عن الإتصال بى دون تفسير قبل شهرين أو ثلاثة..، وبالتالى لا يحق لك إستئناف الصداقة بيننا عندما يروق لك ذلك"...

-"هل كان ما بيننا صداقة فقط يا محمد"...؟!

صمت الأثنان مجددا عاجزين عن الإسترسال، فلا هى قادرة على إستنطاقه..، ولا هو راغب فى الخروج من نهج الردود القصيرة الموجزة..

-"عموما يا محمد...، أنا فقط حبيت أطمئن عليك..، لو محتاج أى شئ.. أبقى سمعنى صوتك".

إنتهت المكالمة...، ولتعاود سلوى البكاء مجددا لإفراغ شحنة عاطفية زائدة...، حقا ما أسوأ المقامرة الإنسانية التى يجريها المرء أحيانا بدعوى أن فلان قد يكون أفضل من علان...، وننسى أن ما هو يتبدى أفضل فى المطلق قد لا يكون الأكثر تناسبا لنا بالضرورة!!

الخاتمة

إحباط بات أحمد يستشعره مع فشل مشروع إرتباطه مع أميرة محسن. فعلى كثرة ما عرف من الفتيـات والسيدات من شتى الجنسيات بإمتداد حياته الماجنة، فان احدا لم يستثر إهتمامه مثل أميرة.عموما لا يوجد ما يدع للندم او الأسى. فهو لا يلام البتة على تلك الخاتمة غير السعيدة لمشروع بدا متألقا ثم سرعان ما إنهار بسبب عنادها وتصلب موقفها حيال كيفية تربية الأولاد مستقبلا.

حالة من الجدب العاطفى بات يعانيها بوضوح... دفعته حتى إلى أن يزهد فى الذهاب للبار لإصطياد مزيد من الفتيات والنساء الشبقات. الملل يحاصره من كل جانب!!! حاول أن يشغل نفسه بالمذاكرة التى لم ينقطع عنها يوما، فوجد أنه بالفعل بات مستوعبا كل شئ، ولا يوجد ما يستوجب الإستزادة. للتغلب على حالة القنوط والزهق اللذين باتا يحاصرانه ، ذهب للحصول على جلسة مساج صينى فى المركز المقابل للجامعة، بعدما لاحظ أن كثيرين بالجامعة يواظبون على الذهاب إليه لما يتردد بشان فوائد المساج الصحية مثل تحسين الدورة الدموية ، وتهدئة الاعصاب، والقضاء على القلق، وإراحة العضلات وغيرها. خلع أحمد ملابسه، ثم إستلقى فى هدوء، أملا أن يفضى إسترخاؤه إلى أن يفرغ عقله من أى أفكار شائبة، وفؤاده من أى مشاعر مضطربة!!

مرت ربع ساعة والفتاة الصينية تقوم بتدليك ظهره ورقبته، إلى أن تنبه على حديثها إليه بإنجليزية مكسرة!!

- مستر.. طبيب...أنت تذهب.. هنا أسفل الرقبة.

لم يعر أحمد الأمر أى اهتمام ثم دفع الحساب وانصرف، فقد تبدى أن مزاجه بات رائقا ...، فقرر أن يواظب على جلسات المساج الصينى. بعدها بأسبوع، ذهب إلى نفس المركز فى نفس الميعاد تقريبا، فوجد أن فتاة أخرى هى المسئولة عنه.. ليتكرر ذات السيناريو.!! فبعد عشرة أو خمس عشرة دقيقة، توقفت الفتاة وقالت بإنجليزية معقولة،". سيدى..أعتقد ان هناك مشكلة ما أسفل الرقبة..عند الإلتقاء بأعلى الظهر.. سيكون من الأفضل الذهاب إلى الطبيب "

لف أحمد المنشفة سريعا على وسطه،ثم نهض منزعجا لكى يرى ما تشير إليه الفتاة..التى بادرت بدو ها بإخراج مرآه صغيرة من حقيبتها. وقف أحمد أمام مرآة الغرفة الكبيرة محكما لف المنشفة حول وسطه – فهو لديه قدر من الحياء -، ثم وضعت الفتاة المرآة الخاصة بها مقابل المراة الرئيسية حتى يستطيع أن يرى أسفل قفاه.. فابتسم أحمد وإنفرجت أساريره عندما وجد أن الأمر لا يعدو كونه مجرد " دمل صغير".!!!.

-" آه....، هؤلاء الأجانب لديهم قدرة عجيبة على الإتقان فهم ينزعجون حقا من أبسط الاشياء

ويعملون من الحبة.. قبة. هذا مجرد دمل صغير لا يزعجنى البتة...، ولا أشعر بأى ألم منه..، يمكننى أن اضع عليه إن شئت مضادا حيويا موضعى وكفى..“، شكرها أحمد وإستانف جلسة المساج بشكل طبيعى”.

فى اليوم التالى، ذهب إلى صيدلية الجامعة لشراء المضاد الحيوى. أبلغته الطبيبة الصيدلانية البريطانية من أصل باكستانى أن عليه الحصول على روشتة طبيب لكى يتسنى له الحصول على المضاد الحيوى بالمجان. جادل أحمد معها على إعتبار أن الأمر بسيط، ولا يستحق أن يتكبد عناء حجز ميعاد مع الطبيب ثم الذهاب إليه...، فهذا مجرد دمل صغير به بعض الصديد على ما يبدو...، كما أنه مشغول جدا، لاسيما أن موعد عقد الامتحانات قد أقترب!!!

على عكس المتوقع، تعاطفت معه الصيدلانية - ربما لأن دماءها الباكستانية مازالت تحوى بعض العواطف -، فابتسمت برقة، وذكرت أن هذا الأمر مخالف للقواعد، ولكنها ستفعله كنوع من التعاطف الإنسانى..، فهى بدورها تدرس الماجستير وليس لديها وقت لتضيعه. فقط..، طلبت من أحمد أن يجعلها ترى أسفل رقبته على سبيل التحوط...، ففك أزرار قميصه على الفور وأدار لها ظهره. تفحصته صامتة ثم مدت يدها لتلمس أسفل رقبته بهدوء. لتقول بحَزم وحسم كاملين : ” سيدى.. لا أستطيع أن أصرف لك المضاد الحيوى...أعتقد أنك مضطر للذهاب للطبيب...،، ويستحسن أن يتم ذلك على عجل“!!!!”.

إرتاع أحمد هذة المرة كثيرا، فها هو الطلب يتكرر ثلاث مرات...، رغم أنه لا يشعر بأى ألم. وجد ساقاه تحملانه إلى شارع هارلى - المتفرع من شارع اوكسفورد -الشهير الممتلئ بعياداته التى يرتادها الزائرون العرب .أخذ يسال عن طبيب للأمراض الجلدية، فوجد طبيبا عراقيا يدعى هاشم فتوجه من فوره إلى عيادته. إعتذرت موظفة الإستقبال عن إمكانية الكشف لأنه كان يتعين عليه الحصول على موعد مسبق. أبلغها أن الموضوع عاجل، وأن لديه إمتحانات ولا يستطيع الانتظار. فإعتذرت الموظفة الإنجليزية، فهى كأبناء جلدتها لا تستطيع نفسيا أو ذهنيا أن تخرق القواعد او النظام أو أن تفكر خارج الصندوق كما يقولون.

جلس أحمد حائرا إلى أن تفتق ذهنه عن فكرة جيدة..، فإتصل بالقنصل محمد شارحا فى عجاله الموقف مستفسرا عما إذا كان بمقدوره المساعدة. صمت القنصل لبرهة ثم قال إنه لا يعرف هذا الطبيب، ولكنه سيبحث عن طريقة للمساعدة وسوف يتصل به بعد قليل. مضت الدقائق ثقيلة متباطئة ثم إتصل به القنصل بعد قرابة ربع ساعة ليبلغه أنه أتصل بالقنصل العراقى بلندن، وأن الأخير رحب بالمساعدة وسوف يتصل بنفسه بالطبيب من أجله...، وأن عليه أن يعاود الحديث

obeikan.com

مع الموظفة، وأن يذكر لها أنه من طرف القنصل العراقى عدنان سالم.

إستمعت الموظفة بحنق إلى كلام أحمد مجددا، ثم إتصلت بالطبيب لكى تستوثق من كلامه، ثم بان الإشمئناط تدريجيا على ملامح وجهها، مما حدا بأحمد أن يدرك أن الطبيب قبل الكشف عليه، وأنها مغتاظة من هؤلاء العرب الذين يعلون من قيمة الخواطر على حساب قيمة النظام. بالفعل، أبلغته أن الطبيب سيراه عقب الإنتهاء من كافة المرضى اذ أن لكل منهم توقيتا محددا.

ثلاث ساعات كاملة قضاها أحمد فى الإنتظار، وهو يخفى قدرا كبير من التوتر والقلق. لماذا يهولون من الأمر؟ ربما يكون إلتهابا أو ندبة سنط أو ما شابه. تبا لهؤلاء!!! ذات مرة أصيب بجرح سطحى أثناء حلاقه ذقنه، وذهب الى الصيدلية ليضمد الجرح.. ليفتح الموظف معه تحقيقا..هل لديك أمراض؟.. هل تعانى من السكر؟!! وكأنه سيعمل له عملية جراحية وليس مجرد وضع قطعة شاش ومطهر!!. هذة هى ضريبة العيش فى دول متقدمة. ولكن ترى هل يمكن أن يكون الأمر جادا؟!!! مثل ماذا؟. ذات مرة أصيب بإلتهاب حاد فى منطقة الجهاز التناسلى،ربما بسبب عدم إحكام وضع الواقى قبل الممارسة مع أجنبية حاملة لعدوى السيلان أو ما شابه، ثم إنقضى الأمر فى هدوء.

أخيرا إستقبله الطبيب بالترحاب وأعاد إليه قيمة الكشف. تمنع أحمد عن قبول ذلك مؤكدا أنه لا يعرف القنصل العراقى بصفة شخصية، وأن الأمر لا يعدو كونه مجرد مساعدة مقدرة منه إكراما لخاطر القنصل المصرى. أصر الطبيب العراقى على إعادة قيمة الكشف، مؤكدا أن للعروبة خاطرا، وأنه يحمل ذكريات طيبة عن المصريين الذين عاشوا بالملايين ببلاده، فعلى أيديهم تعلم حتى المرحلة الثانوية عندما كان أغلب العراقيين يقاتلون فى حرب ضروس مع إيران لثمانى سنوات. أضاف أنه من منطقة الفاو بالعراق، لذا فهو لا ينسى المساندة العسكرية المصرية التى مكنت قوات بلاده من الصمود ثم إستعادة المدينة من أيدى الايرانيين بعد طول أسر. فهو إذن يجامل مصر ولا يجامل القنصلين المصرى والعراقى أو يجامله شخصيا. عندئذ ردد أحمد عبارات الشكر والتقدير وهو يحاول إخفاء توتره!

لحظات من الصمت مرت ثقيلة والطبيب هاشم يفحص أسفل رقبة.. ثم إنتهى الكشف وجلس الطبيب على مكتبه واحمد أمامه مترقبا وجلا.

- "أخ احمد.. أود أن أعرف هل هناك أمراض متوارثة فى العائلة الكريمة "؟!

- "لا أعرف... يمكن... المرحوم والدى ربما توفى بسرطان البروستاتا.. لا أعرف تحديدا كنت صغيرا آنذاك"!!

-"أخ احمد..لو سمحت لى...هل لاحظت صعوبة فى التبرز أو التبول مؤخرا "!

-" لا... ربما... يعنى...لاحظت مرة أن لون البول غامقا.. مرة واحدة لم تتكرر "!

-" غامقا... هل كان هناك نقطة دم به مثلا؟"..

-" لا أعرف... يعنى لست متأكدا... هذة هى مرة واحدة وجدت اللون غامقا على غير المعتاد !"

-"أخ أحمد...أنا أعتقد أنه من الأفضل أن نقوم بعدد من التحليلات"!!!

-"خير يا دكتور...، هل هناك إلتهاب فى الجلد أو.....

- "لا يا سيد أحمد.... لا أعتقد أن ما هو بأسفل رقبتك له علاقة مباشرة بالأمراض الجلدية... لدى إشتباه...، خير إن شاء الله...، ربما يكون شيئا مثل ورم بسيط أو ما شابه".

وقع كلمة "ورم " كان مثل حجر ضخم هوى على صدر أحمد فجأة...، فألقى به فى هوة سحيقة لا قرار لها...إستشعر على الفور أن برودة شديدة ما لبثت تحيط به حتى بات مرتعشا...، ثم لتتقلص عضلات ساقية فى ثوان معدودة حتى إستشعر ثقلا كبير فى ركبتيه وفخذيه!!!

أدرك الطبيب ما حاق بأحمد، فسلك مسلك الطبيب العربى الإنسانى وليس الطبيب البريطانى المجرد من أى عواطف او أحاسيس عند ذكر الحقيقة الصادمة، فقال :

- "أخ احمد.... أرجوك لا تقلق...،هذا مجرد اشتباه...قد يثبت أنه مجرد شئ حميد لينتهى الأمر، وحتى إن كان شيئا اخر،. فإنه بالإمكان التعاطى مع الأمر فى مكمنه"!!!

طفرت دمعتان من مقلتى أحمد الذى بدا ذاهلا عن المكان والزمان.....، فإستطرد الطبيب قائلا :

- "سوف أكتب لك خطابا لزميل لى يدعى ستيفن هاسلر. أثق أنه سيقوم باللازم..، هو الآن فى إجازة وسيعود بعد أسبوع. سوف اكتب لك خطابا كذلك إلى مستشفى كروميل لإجراء عدد من التحليلات والفحوصات حتى ميعاد قدومه "!!!

ذاهلا مترنحا مضطربا غادر أحمد العيادة متوجها إلى شارع إكسفورد للعودة إلى منزله. أشار إلى سيارة تاكسى وإستقلها، ليترك العنان لمشاعره ولينخرط فى البكاء بنشيج متواتر!..

تنبه السائق فسأله " سيدى...، هل أنت بخير؟!... هل هناك مشكلة ما.."؟!. لم يرد أحمد ولكنه إشار إليه بالتوجه إلى العنوان المذكور. السائق الطيب إستشعر تعاطفا انسانيا مع إحمد، فإحترم رغبته فى الصمت، حتى إذا ما أوصله إلى دار السكن الطلابى، نزل من سيارته وعلى غير

obeikan.com

عادة الإنجليز، ربت على كتف أحمد.. قائلا " هل أنت بخير سيدى؟!. هل بإمكانى المساعدة؟!! يمكننى أن أصطحبك للداخل، أو أطلب لك الشرطة إذا ما كان أحدهم قد ضايقك أو تفوه بعبارات عنصرية تجاهك".

رد أحمد بكلمات بسيطة شاكرا.، وعندما هم بإخراج المحفظة لدفع الأجرة...تراجع الرجل الانجليزى للخلف قائلا.. " لا عليك سيدى...، لا توجد مشكلة...، فقط إعتن بنفسك.. تمنياتى بالتوفيق"..ثم إستقل سيارته ورحل فى هدوء وسط دهشة أحمد!، فالإنسان هو الإنسان فى كل زمان ومكان.، بطيبته وخبثه ونقائه وتدنيه بعواطفه الحسنة ونواياه الشريرة....، فقط البيئة والظروف هدا ما يخرجان أفضل أو أسّوا ما فينا...، وحتى فى رحاب الحضارة المادية لا يخلو التعامل أحيانا من لمسات إنسانية مذهلة.

دخل أحمد إلى غرفته وآلاف الأفكار تتداعى والإحتمالات تتوالى على رأسه. لا يعرف ماذا يفعل.. هل يعود الى مصر؟، هل هو سرطان بالفعل؟! هل سيموت هنا وينقل فى نعش أسفل الطائرة؟! ان هذا ليس عدلا..أنه لا يتجاوز الثانية والثلاثين... ومن ثم فهو ما زال صغيرا على الموت!!!!كما أنه لم يكن يوما مدخنا حتى يصاب بذلك.

-" يا الله.، هل سأموت.؟؟..إننى لم أستعد يوما لهذا الإحتمال...، ربما يكون الورم حميدا وقد لا يكون...يا الهى لقد عشت حياتى بالطول والعرض..، إننى لم أصل الإ أياما معدودات فى عمرى باكمله...ماذا سأفعل؟!...سأعود لمصر أيا كانت الإحتمالات لأموت وسط اهلى..سحقا للدراسة فلن تنفعنى قيد نملة فيما أنا قادم عليه"...ثم لينفجر مجددا فى بكاء مرير طويل حتى تبلل قميصه بالكامل.

بدأ فى القئ على ملابسه وعلى أرضية الغرفة، فلم تقو أقدامه على الذهاب إلى دورة المياة...، وبات يتمرغ على الأرض حتى إصطدمت رأسه بأسفل المنضدة. سكن قليلا ثم نهض ليلتقط جهاز اللاب توب وليفتح ملفات صوره وما دونه من ملاحظات على علاقاته الجنسية مع عشرات الفتيات من شتى الجنسيات...وكلما قرأ كلما إزداد رعبا وبكاء، ثم ما إنفك يلغى كافة الملفات. طلب هاتفيا من موظف الاستقبال بأن يبعث اليه بدواء مهدئ أعصاب مدعيا أنه سمع للتو خبر وفاة والده.. بالفعل أتاه الرجل بعد دقيقتين بالدواء فتناول حبتين.. ثم استلقى على الاريكة لربع ساعة حتى استرخت أعصابه وانقضى تقلص عضلاته.. ثم أخذ يبحث فى محرك البحث جوجل عن شروط التوبة .

obeikan.com

(١) عقد قران سها ومحمود!

فى الواقع أن قرار زواج محمود وسها يمكن إعتباره نوعا من زواج المصلحة.. فلكل منهما غاية ما من ورائه. فالأثنان يريدان الخروج من شرنقة الوحدة التى لا يملؤها إلا شريك حياة بصفة مستمرة...، وسها تتوق للإنجاب وترى فى محمود عدة مميزات أهمها أخلاقه العالية ودرجة تأدبه فى التعامل معها. أما محمود فقد أيقن أخيرا أن بالونه صبـره واحتماله وكبته لشهوته قد إمتلأت وقاربت على الإنفجار..، ولذا، فهو لم يعد باستطاعته أن يقاوم أو يتعفف بأكثر من هذا. فسها هى بمثابة ملجأ يأوى عليه ويحافـظ بداخله على " محمود " الذى يعرفه، فأمثال محمود يجب أن يبقوا دوما متسقين مع ذواتهم. فضلا عن ذلك، فإن سها رائعة الحسن، وبها مميزات عديدة، ومن شأن هذا وذاك أن يجعلا محمود يغض الطرف عما لا يروق له بشخصيتها!!. فلكل إنسان عيوبه، وبالتأكيد فأن سها قبلت أن تتحمل عيوبه، مثلما هو عليه أن يفعل.

فور أن أبلغته سها فى اليوم التالى مباشرة بموافقتها على مشروع الإرتباط...، صلى محمود ركعتى شكر لله، ثم أبلغها أنه سيشرع فورا لترتيب أمر زواجهما فى الأجازة الصيفية المقبلة بعد أسابيع قليلة بالقاهرة. فأجاته سها بأنها ترغب أن يتم عقد زواجها هنا بالقنصلية...، فلا أقارب لها.. (لعلها بذلك ودت أن تعاقب شقيقاتها بأن تحرمهن من حضور عقد قرانها). بذات الجدية والصرامة اللتين تبدوان دائما فى صوتها عندما تتحدث فى موضوع هام، طالبته بأن يتم ذلك، على أن يقيما بعد ذلك حفلا صغيرا بالقاهرة فور عودتهما. حاول محمود معها أن يثنيها عن ذلك، لأنه لا يوجد مبرر للعجلة..، إلا أنها بعقلية المفاوض التجارى ذكرت :

-" محمود...، هذا طلبى..، إذا ما كنت تريدنى حقا..، فيجب أن تستجيب...، ليس لدى أحد يهتم بى فى مصر منذ وفاة والداى..، أنا لم أطالبك بأى شئ (كانت تلمح إلى عدم تحدثهما فى أمور الشبكة والمهر وخلافه)... وهذا هو طلبى الوحيد "!!

-(تفهم محمود ما تقصده).. طبعا يا سها.، لابد أن أدفع المهر وأن أشترى الشبكة التى تريدنها...وربو:

-(مقاطعة)..“ محمود.. رجاء...، هذة أمور لا تهمنى...، أنا الحمد لله ميسورة.. وسيكون لى شقة بلندن بعد وقت قليل...، ما أريده...، لأسباب نفسية بحتة...، أن نعقد القران هنا... على أن ننظم ما تراه أنت بعد ذلك مناسبا بالقاهرة... فهل هذا بالكثير على؟!!

أيقن محمود أنه ما سبيل لإثنائها عما تقدم، فخضع لرغبتها. قدرت سها ذلك، فقالت ضاحكة..

-“ محمود.. من الأول أهه... أنا أقولك...حجاب ما بتحجبش ”. إصطنع محمود قدرا من الدهشة وهو ينفى عزمه المطالبة بذلك. فأجابته بأن خبرتها فى التعامل مع البشر أكبر من خبرته بكثير -وأنه لا يعدو مقارنة بها سوى مجرد تلميذ نابه ليس أكثر.-. وأنها إستقرأت جيدا محددات شخصيته ومنهاج تفكيره فأرادت أن تستبق بتلك الكلمات طلبه المتوقع..

أضافت ضاحكة ” والنبى يا محمود... – ولو مؤاخذة يعنى على رأى مدحت -،ياريت تفك نفسك شوية... يعنى بلاش فذلكة وقتامة...، يعنى بصراحة لا أستطيع أن أتحملك هكذا.. وبعدين كفاية قوى إنى أرضى بك وأنت كده على حالك دى...هادى ومش مدردح.. ”!!.. ضحك محمود بدوره.. وبادلها مداعبة بأخرى.

إتصل الإثنان بأصدقائهما لكى يشاركوهما فى حضور عقد القران بالقنصلية. وفى الساعة المحددة توافد على مبنى القنصلية عدد من زملاء الدراسة، وكل من الملحق الثقافى، ونادية، وسلوى وهم كل من حضر من شلة أصدقاء إدجوارد رود – فأحمد لم يرد على الدعوة ومدحت غادر فجأة إلى القاهرة -.إستقبلهم القنصل محمد بترحاب كبير، ووجدوه قد أحضر زجاجات عصير فراولة ورمان من محل ”ويتروز“ القريب من القنصلية، فبدت وكأنها شربات معد للتوزيع على المدعوين..

دقائق بعدها، نزل القنصل ياسر عثمان والقنصل هبة زكى إلى صالة المواطنين بالدور الأرضى بالقنصلية لحضور مراسم عقد القرآن.. قالت القنصل هبة بصوت نسائى عال.. ”ألف مبروك يا جماعة... من أول ما إلتقينا وأنا قلت سها ومحمود.. لايقين على بعض.. ”، بينما أكتفى القنصل ياسر عثمان بالترحيب ضاحكا بكل فرد على حدة.. وليبدأ الموظف المسئول..فى ترديد جمل الإرتباط الذى طالما إنتظرها العروسان. أثناء ذلك، مالت نادية على مارك وذكرت له شيئا فى أذنه، بينما دمعت عينا سلوى من العواطف المحيطة بالمشهد...، وتبدى لها أن القنصل محمد عاملها بشئ من الروتينية.

تبادلا الضحكات والإبتسامات..، وطبع محمود قبلة على مقدمة رأس سها...، التى مالت نحوه

قائلة، وهى تغالب ضحكها بأكثر ما تستطيع... "..تعرف يا محمود...، رغم أنى متأكدة أن زواجنا هذا مشروع فاشل بالثلث...، بس يلا..، خلينا نجرب...، ما إحنا خلاص أتورطنا مع بعض واللى حصل حصل "!!.. ليضحك محمود بدوره بملء شدقيه!!. فكلاهما يعرف أن الاختلافات بينهما ليست بالقليلة وأن أحدهما لو كان أصغر سنا لما قبل بالآخر!!.

هكذا مضى العام الأول من الدراسة..، بكل ما فيه من صعود وهبوط..،وإنتصارات وإنكسارات... آمال وآحلام...، ونوائب وهزائم. هذا ما حدث لمجموعتنا التى تآلفت على الرغم ما بها من تباين فى المشارب والتوجهات!!...جاءوا إلى لندن تراودهم أحلام رغد العيش وهنأته..، دراسة تفضى إلى عمل، أو زواج يؤدى إلى إستقرار فى مدينة الضباب..لندن، والتى يراها كثيرون بمثابة سقف العالم لتميزها وتمايزها عن العواصم اخرى. جاءوا إلى هنا بعد أن تبدى أن الحياة فى مصر غدت أصعب من أن تحتمل..!!.. على الرغم من أنهم جميعا - أو أكثريتهم - من أعلى شرائح الطبقة الوسطى المفترض أن تكون الأكثر إستقرارا وهدوءا مجتمعيا. بل ربما لأنهم كذلك...، ربما لأنهم من الطبقة المتوسطة المتعلمة - والتى هى بالضرورة عماد المجتمع وقاطرة تنميته - باتوا يدركون أكثر من غيرهم أن الحياة فى مصر ما عادت تليق بشعب متحضر، فالأغنياء يرفلون فى النعيم والفقراء ينغمسون فى ضنك الفقر ووحشيته...، وهم يرون بأوضح مما يرى غيرهم - بحكم التعليم والثقافة والإطلاع - قسوة الحاضر وغمام المستقبل وشظف العيش وقسوته!!...

مر عليهم العام الدراسى الأول سواء لمن درس الماجستير أو الدكتوراة..بنجاح..، لتصدق بذلك كلمات المستشار الثقافى خلال اللقاء الأول...، بأن نسبة نجاح الطلاب المصريين غالبا ما تكون مائة فى المائة...هكذا هو حال أغلب المصريين الدارسين وغير الدارسين فى لندن وغيرها من مدن العالم المتحضر. قصص رائعة من الكفاح المضنى والتفوق المبهر فى كافة المجالات. وكيف لا..، وهؤلاء يدركون أنه ما من سبيل للفشل..، وأن العاقبة هى التردى....، فالإنسان - أى إنسان - لا يعرف حقيقة قدراته إلا عندما تمتحنه الأيام والليالى بخطوبها وأزماتها...، مثلما تصهر النار المعادن النفيسة لتصقلها و تنقيها من الشوائب..!!

أفلا يدل ذلك على أن المصريين هم من طينة فاخرة تحتاج فقط إلى صانع ماهر لكى يشكلها كتحفة فنية مبهرة...وأن ما باتوا فيه هو من جراء غياب ذلك الصانع؟!.

أنقضى العام الأول من الدراسة بعقد قران سها ومحمود..، فكلاهما أدرك أنه حان وقت التنازلات والمواءمات حتى يحصلا على نصيبهما من السعادة والهناء.نادية بدورها صارت مرتبطة بشكل أو بأخر بالدكتور مارك...، أما سلوى،فلقد عادت إلى القاهرة بعد أن جمعت أكثرية المادة

العلمية المطاوبة لإعداد رسالة الدكتوراة.. وإن تبقت فى حلقها غصة بسبب ما حاق بها من عدم توفيق فيما -خلا الدراسة. ما نعرفه عن أحمد أن أطباء مستشفى كروميل طمأنوه تباعا بأن الأمر لا يزال فى بد يته، وأنه يمكن أن يتم إحتواؤه ببعض الصبر، فلم يعد المرض مميتا مثلما كانت عليه الحال قبل عقود. وفى هدوء وصبر عظيمين، وبدون أن يبلغ أحدا، بدأ أحمد فى تلقى جلسات العلاج، وتراه خلالها لا يفارق مصحفه ممسكا به حتى فى غفوته. وما شد من أزره أنه وجد أن أغلب شروط التوبة تنطبق عليه من ندم إلى توقف إلى عزم على عدم التكرار.. صحيح أنه يعلم فى قراره نفسه أنه إضطر إلى ذلك إضطرارا، ولكنه يلتمس لنفسه بعض الأعذار، فهو فى جميع الأحوال لم يجبر أحدا على شئ، كما أنه يثق فى الرحمة الالهية التى هى تسع بالضرورة كل شئ!. وفى ذات الوقت، بدأ فى شغل نفسه بمعاودة التراسل مع أميرة محسن دون أن يبلغها بما حدث.!!

وختاما، فإن مدحت عاد إلى مصر فى أجازة الصيف الطويلة.. وحاول قدر المستطاع أن يكون لطيفا ودودا مع عائلته...، فهو لم يعد حانقا بالضرورة على حياته، بعد أن رأى أن بمقدروه – لو أراد – أن يعيش حياة أخرى ولكنه لا يرتضيها. وهو أيضا أعاد حساباته.. عندما وجد أبناءه الثلاثة ينتقلون من عام دراسى لآخر بنجاح...، عليه إذن أن يقنع بما لديه وأن يركز بصره على نصف الكوب الممتلئ، خاصة أن نيله الدكتوراة لربما سيعجل بملء النصف الآخر. فقط طالب زوجته بأن تصطحبه العام الدراسى القادم مؤكدا أنه سيقدم طلبا بذلك إلى إدارة البعثات.. وهى لا تزال تفكر فى الأمر

هكذا.. إنقضت الصفحة العمرية لأفراد المجموعة التى طالما تكررت وستكرر بتفاصيل مشابهة وأخرى مختلفة مع مجموعات طلابية أخرى أعتادت أن تلتقى كل عام بادجوارد رود، فالهم الوطنى دائما حاضر حيثما وجد المصريون.

ولم تمض سوى شهور قليلة، إلا وإنقضت صفحة أخرى من تاريخ مصر، بإندفاع الملايين إلى الشوارع فى أواخر يناير 2011...، ليتذكر أفراد المجموعة، على تشتتهم، مناقشاتهم حول الأحوال بمصر...وليبق ما ذكرته سلوى فى ختام جلساتهم عالقا بأذهان الجميع، بأن البديل لمبارك لن يكون سوى الأخوان ..،وهكذا تنتقل مصر من عصر إلى آخر، من نظام بوليسى فاشل إلى نظام استبدادى بفاشية دينية... كالمستجير من الرمضاء بالنار.!!...

ويتبقى التاريخ شاهدا على ما جرى ويجرى فى بر المحروسة... ولكن كيف سيشهد التاريخ التطور الجارى؟. يقول أهل التاريخ وعلماؤه أن التاريخ إما أن يمضى كالدائرة، فيعيد نفسه بنفسه بذات التراتبية أو باختلافات قليلة، أو أن يمضى مثل " السهم " أى يندفع دوما إلى الأمام من مرحلة

إلى أخرى بخطوات يفضى كل منها إلى الآخر دون أن تشهد أحداثه أى تكرار... وهناك من يرون – ومنهم الكاتب الكبير جلال أمين -أن حركة التطور التاريخى فى بلادنا تسير مثل موج البحر...، أى ترتفع ثم تنخفض..، ولكنها فى الإنحسار لا تعود إلى ذات النقطة التى بدأت منها.. بل تتقدم عليها بعض خطوات للأمام..،هكذا كان مشروع محمد على..، وثورة 1919، ومشروع ثورة يوليو... هكذا تمضى السوابق، وربما تشير إرهاصات الأمور...،فلنر ماذا سوف تكشف عنه الأيام المقبلة هل سنمضى مثل الدائرة أم السهم أم موجة البحر!!.

محمد مصطفى عرفى

obeikan.com

كتب أخرى للمؤلف باللغة الانجليزية:

- NATO and the Middle East : The Geopolitical Context post 9-11
- Routledge, Taylor & Francis , 2010.
- -Islam and International Human Rights : Can Muslims and Non-Muslims Live together? Lambert Academic Publishing ,2010.
- -The age of the American empire?: What went wrong?: Lambert Academic Publishing ,2010.
- -The Transatlantic Alliance in the Middle East post 9-11
- Redlead Press – USA ,Amazon & other Internet Webs, 2008
- -The New NATO: Its Survival and Resilience
- Author House – UK (Amazon & other Internet Webs). 2007

كتب للمؤلف باللغة العربية

- كتاب (كلام بيني وبينك) .. الصادر عن مؤسسة (الدار) عام 2009 . (وهو يحوي العديد من المقالات العلمية والسياسية والادبية).
- للمؤلف كذلك عشرات المقالات بالصحف يمكن العثور على كثير منها بشبكة الانترنت .

MOHAMMED.ORFY@YAHOO.COM

MMKORFY@HOTMAIL.COM

obeikan.com